التــوجهـات الغربيــة
نحو الإسلام السياسي
في الشرق الأوسط

تقــديــم
محمـــود الشريــف

تحــريــر
أحمــد البرصـــان   محمـــــد صقـــــر

المشـــاركـــون
إيــــاد البرغوثـــي   سعد ناجي جــواد
عبد الفتاح الرشدان   غراهـــام فولـــــر
فتـــحـــي ملكـــاوي   فرانســـوا برجيـــه
فيصـــل الـــرفـــوع   مـــايكـــــل ولـــس
محمد عثمان شبير   محمـــد عويضـــة
هشــــــام جعـــفـــر

نـــــدوات ٢٩

الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة عن
توجهات يتبناها مركز دراسات الشرق الأوسط

الطبعـــة الأولى
عمـان ـ ٢٠٠٠

كافة الحقوق محفوظة لمركز دراسات الشرق الأوسط

تطلب منشوراتنا من
مركز دراسات الشرق الأوسط
هاتف ٤٦١٣٤٥١ - فاكس ٤٦١٣٤٥٢
ص.ب ٢٠٥٤٣ - عمان (١١١١٨) الأردن
E-mail: mesc@mesc.com.jo
http:// www.mesc.com.jo

وجميع المكتبات الأردنية والعربية الكبرى

رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية
(٢٠٠٠/٣/٨٢٧)

- **رقم التصنيف** : ٢٦٩,١٦
- **المؤلف ومن هو في حكمه** : مركز دراسات الشرق الأوسط
- **عنوان الكتاب** : التوجهات الغربية نحو الإسلام السياسي في الشرق الأوسط
- **الموضوع الرئيسي** : ١- الإسلام والسياسة
  ٢-
- **بيانات النشر** :
- **تم إعداد بيانات الفهرسة الأولية والتصنيف الأولية من قبل دائرة المكتبة الوطنية**

المحتويات

التقديم ٧

الافتتاح ٩

الفصل الأول :

التحولات في علاقة الغرب بالإسلام والمسلمين خلال القرن العشرين ٢٣

الفصل الثاني :

دور الصراع العربي–الصهيوني في تشكيل العلاقة بين الغرب والعالم الإسلامي ٣٧

الفصل الثالث :

تجربة الإسلام السياسية كحركات وحكومات في التعامل مع الغرب ١١٣

الفصل الرابع :

مستقبل علاقات الغرب بالإسلام السياسي في الشرق الأوسط في مضمار التنافس والاختراق الاجتماعي..... ١٥٩

الفصل الخامس :

مناقشة عامة وتوصيات ١٩١

تقديـــم

محمود الشريف *

برزت إلى الوجود خلال العقدين الماضيين ، وبخاصة بعد نجاح الثورة الإسلامية في إيران عام ١٩٧٩، وقيام الحرس الثوري الإيراني باحتجاز عدد من موظفي السفارة الأمريكية في دار السفارة في طهران لما يقرب من ٤٠٠ يوم (ظاهرة) الحملة على الإسلام في الدوائر الإعلامية والأكاديمية في العديد من دول الغرب.

وقد اتخذت هذه الحملة صوراً وأشكالاً مختلفة ، واستخدمت كل ما استطاعت أن تستخدمه من وسائل الدعاية والإعلام لتحقيق أهدافها ، بدءاً بالمقالات في الصحف ، وانتهاءً بالمسرحيات والصور المتحركة وأفلام السينما.

وقد ارتكزت هذه الحملات على تصوير الإسلام ديانة (متوحشة) تحض على القتل وسفك الدماء ، وأنها بطبيعتها معادية لكل الأديان الأخرى ، وهي بعد ذلك كله خصم عنيد للغرب ، تحرض أتباعها على التصدي له وتدمير مصالحه في العالم حيث وجدت.

وتأسيساً على هذه الأكاذيب التي حاول مروجوها أن ينزلوها من نفوس الشعوب الغربية منزلة المسلمات ، انطلق أستاذ معروف في جامعة هارفارد هو البروفيسور صامويل هنتنجتون (Samuel Huntington) يبشر في مقال نشرته مجلة (الشؤون الخارجية) ، وهي من أرقى المجلات العلمية في الولايات المتحدة ، بحتمية المواجهة بين الغرب والعالم الإسلامي فيما أسماه (بصراع الحضارات).

وقد كان لهذا المقام بسبب مكانة صاحبه ، ومكانة المجلة التي نشر فيها دوي هائل في الغرب والشرق على حد سواء . وانبرى الكثيرون للرد عليه بين مؤيد ومعارض .ولقد ساهمت في تغذية الحملة على الإسلام والتخويف من خطره أقلام صهيونية عرفت

* **وزير الإعلام الأسبق ، المدير العام السابق لصحيفة الدستور والمحرر المسؤول فيها.**

بعدائها لكل ما هو عربي ومسلم . ولقد اتخذت هذه الأقلام المضللة من النضال المشروع لبعض الجماعات الإسلامية في فلسطين ولبنان ضد الاحتلال الإسرائيلي ، ومما تقوم به بعض الجماعات من أعمال عنف في بعض الأقطار الإسلامية ، ومن ارتباط أسماء بعضها بأحداث تفجير واغتيالات وقعت في أوروبا والولايات المتحدة ، اتخذت من ذلك كله مادة خصبة لإثارة الرعب في قلوب الغربيين من كل ما يتصل بالإسلام والمسلمين.

وإذا كان من الواجب الاعتراف بأن كثيراً من المفكرين والكتاب في مؤسسات الدراسات وفي الدوائر الإعلامية والدينية في الشرق والغرب قد تصدوا لهذه الظاهرة ،و عملوا على تفنيد ما تنطوي عليه من ظلم فادح لدين عظيم ، بشَر بالمحبة بين البشر، ونشر العدل حين شقت أنوار حضارته على العالم القديم طوال سبعة قرون كاملة ، فقد رغب مركز دراسات الشرق الأوسط ، أن يسهم في التصدي لهذه الظاهرة ، من خلال تحليلها وإلقاء الأضواء على جذورها السياسية والاجتماعية ، والتماس الحلول الكفيلة بالقضاء عليها ، بهدف إزالة سوء التفاهم بين العالم الإسلامي وشعوب الغرب ، وإقامة علاقات من الصداقة والتعاون القائمين على الاحترام المتبادل للحقوق المشروعة للطرفين.

ولهذه الغاية أقام المركز ، بالتعاون مع كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية في الجامعة الأردنية هذه الندوة وتحت عنوان (التوجهات الغربية نحو الإسلام السياسي في الشرق الأوسط) في الجامعة الأردنية . وقد أثرى الحضور الندوة بمداخلاتهم وتعليقاتهم . كما تدفقت على الندوة مجموعة من الأوراق المهمة حول الموضوع أعدها باحثون متخصصون أردنيون وعرب وأجانب . وقد رأى المركز أن يجمع هذه الأوراق بين دفتي كتاب يكون سجلاً تاريخياً لأعمال الندوة ، ومرجعاً مفيداً للباحثين والدارسين في موضع العلاقة بين الإسلام وشعوب الغرب في هذا الهزيع الأخير من القرن العشرين وبخاصة ما يتعلق بتوجهات الغرب في التعامل مع ظاهرة الإسلام السياسي في الشرق الأوسط . والله من وراء القصد وهو نعم المولى ونعم النصير.

١٩ أيار ١٩٩٩

كلمة الناطق الرسمي باسم الندوة

الأستاذ جواد الحمد *

السادة والسيدات الضيوف ...

يسعدني في بداية الندوة أن أرحب بكم أجمل ترحيب ، شاكراً لكم استجابتكم الكريمة لدعوتنا للمشاركة في أعمال هذه الندوة ، أملاً أن تكون جلساتها ومناقشاتها مخصصة للأهداف التي من أجلها عقدت .

ويشرفني أن أرحب بكم في هذا الصرح العلمي الشامخ من صروح الأردن، مرحباً بضيوفنا العرب والغربيين على أرض وطننا في رحاب جامعتنا العتيدة " الجامعة الأردنية " .

وإنه لمن حسن الطالع أن نجتمع اليوم في هذا الحرم الجامعي العريق لبحث مسألة أساسية ومهمة في علاقات أمتنا العربية الإسلامية مع الغرب ، وإنه برغم التداخل الحضاري في جوانبه الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والثقافية بين أمتينا وعلى مر العصور، وبرغم ما اعترى تاريخنا المشترك من حروب واستعمار وتقاتل وتعاون وتبادل علم ومعرفة غير أننا نعتقد –باعتبارنا فئة مثقفة مستنيرة في الأمتين– أن خيارنا الوحيد أن نتلاقى ونتبادل الأفكار، ونبحث في جوهر الهموم والإشكالات التي تعترض تعايشنا وتعاوننا وتفهمنا لبعضنا.

ولئن كان الواقع المعاش اليوم يشهد سيطرة غربية على مقدرات النظام الدولي ومؤسساته السياسية والاقتصادية والعسكرية وحصاراً غير مبرر لبعض دوله في الشرق الأوسط كالعراق والسودان وليبيا ، غير أن الأمة العربية والإسلامية لا تزال تملك العديد من المقومات التي تؤثر على نجاح الحضارة الغربية وتقدمها وتأخرها ، الأمر الذي

* مدير عام مركز دراسات الشرق الأوسط .

يستدعي نوعاً من إعادة النظر في طبيعة العلاقة القائمة ، لمصلحة علاقات أكثر ديمومة ، وتعاون أكثر عمقاً ، وتبادل مصالح أكثر عدلاً وإنصافاً .

إنه وبرغم شعورنا بمرارة وألم شديدين لما قامت به دول الاستعمار الأوروبي في مطلع هذا القرن من توطين اليهود الأوروبيين وغيرهم في ديارنا المقدسة في فلسطين ، وما تبع ذلك من دعم اقتصادي وسياسي وعسكري وانحياز في المواقف الإنسانية والقانونية على مختلف المستويات من قبل الولايات المتحدة أواسط القرن ، وبرغم ما وقع على أمتنا في فلسطين ولبنان وغيرها من ظلم صهيوني وجور عالمي وتواطؤ غربي غير أننا نجلس اليوم في محاولة لرسم معالم جديدة لهذه العلاقة ، وفي محاولة لتنوير صنّاع القرار في بلادنا جميعاً بالمنهج الأفضل للوصول بعلاقاتنا إلى مستوى التعاون الإنساني الحقيقي، القائم على الاحترام المتبادل، والقبول بالتعددية الاجتماعية والثقافية والحضارية والسياسية على حد سواء .

ومن المعلوم أن الفئة الأكاديمية والسياسيين العاملين في بلاد العرب والمسلمين من الغربيين يدركون الكثير من هذه المعاناة ، كما يتطلعون –ربما مثلنا– لملامح مستقبل تختلف معالمه ، وهم يرقبون بأنفسهم حركة تغير اجتماعي وسياسي في شتى أرجاء الوطن العربي الإسلامي، ولا سيما ما يتعلق بحضور الإسلام في السياسة العامة، وتنامي نفوذ حركات الإسلام السياسي وحضورها وتأثيرها كما في إيران والسودان وتركيا والجزائر واليمن ، بل وحركات المقاومة ضد الاحتلال والاستعمار كما في لبنان وفلسطين .

وتعطي هذه المؤشرات دلالات ذات وزن كبير على طبيعة مناقشاتنا لملامح المستقبل الذي يرتسم فوق أرضنا ، وفي سماء النظام الدولي ، حيث أن حركة النمو الحضاري التاريخية كانت تشهد دوماً صعوداً وهبوطاً للحضارة الواحدة وللحضارات المجاورة. ولئن كنا –باعتبارنا فئة مثقفة– مطلعين على الكثير من الحقائق عن واقع أمتنا العربية والإسلامية وواقع الغرب ذاته نتفهم الكثير من المشاكل التي يعاني منها الغرب وتاريخ ارتباطه بالمشروع الصهيوني في منطقتنا ، فإننا لا نتفهم استمرار هذا الارتباط

برغم التحولات العظيمة التي طرأت على طبيعة منطقتنا ومجتمعاتنا ، وطبيعة مجتمعات اليهود في العالم ، وكذلك على طبيعة المجتمعات الغربية وتكوينها، التي يعيش بين جنباتها الملايين من المسلمين والعرب . . كما أن حجم الظلم والجور الذي وقع علينا أصبح مدركاً لدى الساسة كما هو لدى العلماء والمفكرين ، تماماً كما أن المصالح الغربية على المدى الاستراتيجي اتضحت لصانعي القرار، وأنها واقعة في دائرة وطننا العربي والإسلامي. إن كل ذلك مدعاة لجعل الحوار والتعاون والتلاقي وتبادل المصالح عملية مباشرة لا تدخلها عوامل جانبية طارئة يفرضها البرنامج الصهيوني أو برنامج فئة محدودة الحضور والتاريخ في مجتمعاتنا ومجتمعات الغرب ذاته ، تلك التي ربما تنظر إلى التاريخ بضيق شديد ليبدأ بحياتها وينتهي بمماتها، متناسية مصالح الأجيال القادمة ومتطلباتها في العدل والحرية والمساواة والتنمية .

لقد جاء انعقاد هذه الندوة في ظل ظروف تحول كبير يشهده العالم على أبواب القرن الحادي والعشرين ، وفي ظل تزايد التنبه لما سبق من معطيات لدى الفئات النخبوية والعامة في أمتينا .

السادة والسيدات :

يشير سياق برنامج الندوة إلى وضوح الرؤية لدى اللجنة التحضيرية المشتركة بين مركز دراسات الشرق الأوسط والجامعة الأردنية، لك أن تناول طبيعة التحولات خلال القرن المنصرم، ودور الصراع العربي–الصهيوني في تشكيل العلاقة بين الغرب والعالم الإسلامي، والتأثير الذي أحدثته تجارب الحركات والحكومات الإسلامية في بلورة توجهات الغرب في التعامل مع الإسلام السياسي ، وكذلك تناول التنافس الحضاري والتداخل الاجتماعي بين الأمتين، يعد سبيلاً أساسياً للتوصل إلى ملامح وتوجهات مستقبلية حقيقية لطبيعة العلاقة البناءة المقترحة بين الجانبين ، والقائمة على الانفتاح والاحترام المتبادل ، وأن هذه الحوارات والمناقشات من قبل هذه النخبة المختارة من أمثالكم سيكون لها دورٌ في تكريس الحوار سبيلاً للقناعة والفهم ، كما أنه سبيل إلى التفاهم والتعاون ورسم معالم المستقبل الأفضل للأجيال القادمة .

وقد حرصت اللجنة التحضيرية على تنوع المشاركين من الشخصيات الجادة وتكاملهم في الوصول إلى ملامح مستقبل مزهر لأمتينا .

السيدات والسادة :

إن ما تتداوله أيديكم من الأوراق يقدم مادة أساسية لشحذ الذهن وتقديم التحليلات والرؤى ، وتلمس طبيعة المرحلة القادمة في العلاقة بين الغرب والإسلام السياسي في الشرق الأوسط ، ويحاول تبين معادلات التغيير وانعكاساته الأساسية ، لتكون منارات هادية لصنّاع القرار والباحثين ، وإن لنا أملاً كبيراً أن تحظى هذه الأفكار بالمناقشة والنقد الذي يزيدها عمقاً ونصاعة ويطور قدراتها العملية على خلق مناخ جديد من العلاقات بين الجانبين ، وأنا أقف بين يدي هذه النخبة الكريمة استذكر ما اعتدنا عليه في ندواتنا ومؤتمراتنا سواء في المركز أو الجامعة أو في صروح الأردن العلمية الأخرى من موضوعية وعمق، ومن شفافية وسعة صدر، ومن حرص على الاتفاق وبُعد عن الجدل العقيم، وابتعاد كامل عن كل لفظ استفزازي أو عن الانتقاص من أي فكرة أو تحليل يقدمه أي من الزملاء .

السادة والسيدات الحضور :

إن التعاون والتنسيق بين مؤسساتنا الأردنية العلمية وغيرها قد أخذ شوطاً لا بأس به ولا زال أمامه الكثير، وها نحن في مركز دراسات الشرق الأوسط والجامعة الأردنية نضع لبنة جديدة في صرح التعاون والتكامل الوطني لبحث مواضيع الساعة الوطنية والقومية والإسلامية بل والعالمية، وها نحن نجتمع علماء ومفكرين وقادة رأي وصنّاع قرار تحت سقف واحد لنتواصل مع إخواننا العرب والمسلمين وزملائنا الغربيين في مشوار البحث والدراسة وصناعة الرأي والرؤية ، وليس غريباً على أردن العرب أن يحتضن هذا اللقاء المهم، وهو الذي بادر إلى احتضان عشرات اللقاءات في مواضيع مثيلة على مر العقود السالفة ، وهو يتطلع اليوم ليكون منارة علم وفكر في المنطقة كلها، وليكون ساحة لتبارز الأفكار والطروحات حيال التحولات ورسم معالم المستقبل .

الزملاء والزميلات :

لا يسعني في ختام كلمتي هذه إلا أن أدعو الله أن يوفقنا جميعاً لإثراء موضـــوع هذه الندوة ، والعمل على الوصول إلى ملامح وتوجهات لتبصير صنّاع القرار في أمتينا العربية الإسلامية والمسيحية الغربية فيما يتعلق بعلاقات الأجيـــال القادمـــة. . . كمـــا لا يسعني إلا أن أتقدم بالشكر الجزيل لزميلي ورئيس الندوة د. حسن عبد القادر صالح على حجم التفاعل والتفاهم والتعاون الذي أبداه وزملاؤه في اللجنة التحضيرية معنا ، كما أتقدم بالشكر الوافر لراعي الحفل د. وليد المعاني رئيس الجامعة على توجيهاته الكريمة لتسهيل انعقاد الندوة ولسلفه د.فوزي غرايبة وزير التربية والتعليم الحالي ، وأشكر وسائل الإعلام الأردنية والعربية والغربية التي تشاركنا اليوم وتغطي مناقشاتنا في الأيام القادمة وبخاصة التلفزيون الأردني ، كما أتوجه بالشكر لكل الذين أعدوا ونظموا وسهروا الليـــالي علـــى الإعداد لهذه الندوة وإنجاحها. وأرحب ثانية بضيوفنا الأعزاء ، ضيوف الأردن من الدول الغربية والعربية والإسلامية متمنياً لهم طيب الإقامة في بلدنا .

فأهلاً وسهلاً بكم

والسلام عليكم

كلمة رئيس الندوة

أ.د.حسن عبد القادر صالح *

أيها السيدات والسادة :

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد،

فإنه لمن دواعي السرور أن نلتقي اليوم للمشاركة في أعمال ندوة التوجهات الغربية نحو الإسلام السياسي في الشرق الأوسط. وتنعقد هذه الندوة في رحاب الجامعة الأردنية بالتعاون ما بين كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية ومركز دراسات الشرق الأوسط في عمان. وإن دل لك على شيء فإنما يدل على انفتاح الجامعة الأردنية على المجتمع وتفاعلها مع الأحداث المحيطة به. وانتهز هذه الفرصة لأرحب بالأستاذ رئيس الجامعة وأشكره لرعايته أعمال الندوة وتقديم التسهيلات اللازمة لتحقيق أهدافها.

وتهدف هذه الندوة إلى دراسة التحولات في نظرة الغرب نحو ظاهرة الإسلام السياسي في الشرق الأوسط ، تلك الظاهرة التي شهدت فترات من المد والجزر في علاقاتها مع الغرب منذ ظهور الإسلام وحتى الوقت الحاضر.كما تهدف هذه الندوة الى استشراف مستقبل العلاقة بين الغرب والمجتمعات الإسلامية في ظل تنامي الإسلام السياسي بخاصة في العقدين القادمين . ونأمل إن تتوصل الندوة إلى ملامح الرؤية السليمة التي ينبغي للغرب أن يتعامل من خلالها مع الإسلام السياسي ، وذلك في إطار من التعاون والعلاقات الإيجابية المتبادلة .

وتنبع الأهمية الاستراتيجية لمنطقة الشرق الأوسط من أهمية موقعها وموضعها معاً، فهي تجمع بين خصائص البر والبحر،كما أنها تتمتع بمزايا الانفتاح عليها معاً وليست المزايا التي يتمتع بها موقع المنطقة وموضعها نعمة عليها في كل الأوقات،بل

* عميد كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية ـ الجامعة الأردنية

إنهما نقمة عليها أحياناً،ذلك لأن هذه المزايا تجعلها محط أنظار الطامعين فيها من قوى البر والبحر. ويمكن أن نستعرض وضع المنطقة خلال التاريخ بمرورها في الأوضاع التالية:

١.حالة الخمود السياسي : وتتمثل في تقالب الأمم عليها حيث خضعت لموجات متواترة من الغزوات مثل غزو الفرنجة والغزو الأوروبي الحديث والغزو الصهيوني المعاصر.

٢.حالت التفتت والنزاع : تلجأ القوى المتصارعة على ديار الإسلام الى تفتيت المنطقة وتجزئتها واقتسام مناطق النفوذ والخضوع لهيمنة الاستعمار.

حالة التجمع والقوى: وتتمثل في حركات التحرر والاستقلال الوطني والتضامن فيما بين دول المنطقة.وقد بدأت حركات التحرر الوطني في الجناح الآسيوي من الشرق الأوسط في أواخر الأربعينات وأوائل الخمسينات ،ثم انتقلت إلى المغرب العربي في الخمسينات، وإلى أفريقيا الإسلامية في الستينات ،وتأخرت في بعض دول الخليج العربي إلى أوائل السبعينات.

لقد كان التحدي الذي واجهه السلمون كبيراً.ولم يحاول الاستعمار الأوروبي من جانبه أن ينكر هذا ابتداء من ألنبي في القدس حين أعلن أنه "الآن انتهت الحروب الصليبية"، إلى غورو في دمشق حين أطلق شماتته المعروفة: "لقد عدنا بإصلاح الدين". أمن الغريب إذن أن تلتهب الحماسة الدينية حتى تصبح النبرة الإسلامية ودعوة وحدة المؤمنين هي الشعار المضطرم في طول العالم الإسلامي وعرضه، أليس منطقياً أن يتخندق الإسلام الثخن بالجراح في حمى الدين ،وأن يتخذ العمل السياسي من أجل الكفاح التحرري شكلاً دينياً؟ لاسيما أن الإسلام نفسه -بصفته عقيدة- تعرض حينذاك لحملات لا مثيل لها من التشهير والقذف من جانب المستشرقين وغير المستشرقين.إنها الصليبيات الجديدة،بل أشد هولاً وخطراُ، ولم يكن غير الإسلام -بديهياً-خط الدفاع الأخير والوحيد.

ونتساءل الآن عن الدور الذي يمكن أن يلعبه الإسلام السياسي سواء أكان دولاً أم حركات في علاقاته مع الغرب ؟ كما نتساءل عن طبيعة العلاقات التي يقيمها الغرب مع هذه

الدول أو الحركات الدينية السياسية ؟ هل من الطبيعي في ظل النظام الـــدولي الجديـــد أن يبقى الصراع بين الغرب والمجتمعات الإسلامية ؟وللإجابة على هذه التساؤلات لابـــد أن نشير إلى أهمية إجراء حوار مستمر بينهما في محاولة للتعرف إلى تطلعات كل طرف ، وإلى القاسم المشترك الأعظم لتأسيس المصالح المشتركة بينهما .ولا يمكن أن يحل الوئام بين الطرفين ما لم يتفهم كل طرف مصلحة الطرف الآخر ، وما لم يحافظ كل طرف على إقامة علاقات إيجابية تقوم على أساس من الاحترام المتبادل والتعاون المثمـــر لإشـــاعة الاستقرار وتحقيق السلام العادل والشامل. ومن الخطأ الفادح أن ينبهر الغرب بقوته ، وأن يعتمد على الهيمنة التي ينفرد من خلالها في تحقيق مصالحه السياسية والاقتصادية فـــي الشرق الأوسط . وعلى العكس من ذلك فإن سياسة الاحتواء وصرف النظر عن الخلافات الدينية والتعاطف مع الأقليات المسلمة وحمايتها من الأخطار التي تتعرض لها إضافة إلى الإيمان بحقوق الإنسان ، واحترام حرية الآخرين،كل ذلك من شـــأنه أن يشـــكل قاعـــدة راسخة من العلاقات الإيجابية بين الغرب والمجتمعات الإسلامية.

أيها السادة:

إنني أتطلع إلى أن يسود السلام العادل والشامل في منطقة الشرق الأوسط لتتحول إلى مصدر للاستقرار،وواحة للأمان ،وآمل أن تتوصل ندوتكم إلى نتائج إيجابية مثمـــرة، وأشكر لكم مشاركتكم فيها ،كما أشكر راعي الندوة مرة ثانية، سائلاً المولى لكم بـــالتوفيق والنجاح .

والسلام عليكم ورحمته الله وبركاته

كلمة راعي الندوة

أ. د. وليد المعاني*

ضيوفنا الأعزاء ،

أيها المنتدون الأفاضل ،

أيها الأخوة الحضور ،

إنه لمن دواعي سروري أن أشارككم اليوم أعمال ندوة " التوجهات الغربية نحو الإسلام السياسي في الشرق الأوسط " . وأن ألتقي بهذه النخبة الطيبة من الأساتذة ، والمفكرين، أصحاب الاختصاص ، وأن أرحب بهم ، وبهذا الحضور الكريم من المهتمين والمعنيين في هذه الندوة التي تعقدها الجامعة بالتعاون مع مركز دراسات الشرق الأوسط، تأكيدا على ما تحققه مثل هذه اللقاءات من نتائج طيبة ، وبما يصدر عنها من توصيات تجعلها جديرة بالاهتمام والعناية ، باعتبارها نموذجا بناء من نماذج التعاون والتنسيق.

أيها الأخوة المشاركون الكرام

إن عقد هذه الندوة وغيرها من الندوات واللقاءات في رحاب الجامعة الأردنية ، يأتي انطلاقا من رسالة الجامعة وفلسفتها في الاهتمام بالإنسان ، ودراسة قضاياه ، ومحاولة معالجتها بأسلوب علمي مدروس ، فتحرص الجامعة على عقد المؤتمرات والندوات ذات الصلة الوثيقة بموضوعات الساعة وقضايا المجتمع ، فالجامعة – بوصفها مركز إشعاع حضاري – هي المكان الملائم الذي تتفاعل فيه العقول والطاقات ، فبالأمس القريب احتضنت الجامعة مؤتمر العرب والغرب ، الذي عقد برعاية صاحب السمو الملكي الأمير الحسن ، نائب جلالة الملك ولي العهد المعظم ، ونظم بالتعاون مع مركز

* رئيس الجامعة الأردنية .

دراسة الإسلام والعلاقات الإسلامية المسيحية في جامعة بيرمنجهام البريطانية ، والمعهد الجامعي لمؤسسة أورتيغا الإسباني ، إيماناً من الجامعة بأن التواصل الفكري ، والحوار الهادف الذي تتسع به الصدور ولا تضيق ، هما سبيلان مهمان لاحترام عقل الإنسان ووجدانه ، وإزالة سوء الفهم المستند إلى أسس واهية ، ومعلومات خاطئة حتى في أشد القضايا حساسية واختلافاً ، وصولاً إلى بلورة أفكارٍ واضحة، ورؤى جديدة ، وفهم متقارب للمشكلات الحقيقية ، بعيداً عن المبالغة ، والإصرار على الرأي، والتعصب للفكرة .

أيها الأخوة الحضور

إننا ندرك – ونحن نرى ما تشهده بلدان هذه المنطقة الاستراتيجية من تحولات جذرية وتغيرات بالغة الأهمية ، لعل في مقدمتها نزوع النظم السياسية فيها نحو التعددية السياسية ، وإرساء القواعد الديمقراطية ، وتعزيز علاقات التعاون والحوار البناء ، إننا ندرك ونحن نرى ذلك كله ، أن هناك في الوقت نفسه نزوعا لدى البعض لفرض مفهومه ورؤيته السياسية على الآخرين ، انطلاقا من تصورات مسبقة وراسخة ، لا تستند على تأمل عميق لحقائق الدين ، والفكر ، والواقع ، فما كان الإسلام يوما إلا دين التوسط والاعتدال ، ملبيا لحاجات الإنسان في الحرية ، والمساواة ، والعدالة ، متآلفاً مع ما يستجد في المجتمع من قضايا ، مؤازراً لإعمال العقل والفكر الخلاق الذي يستشرق المقاصد والغايات ، ويحسن التعامل مع الأحداث والوقائع ، وأن هذا ليضعنا أمام طبيعة الدور الذي ينبغي أن تقوم به الجامعات ، ومراكز الدراسات والمتخصصون ، والباحثون في تعزيز هذا الفهم وتوسيع دائرته .

وفي غياب هذه الرؤية ، سنبقى غير قادرين على التصدي لمعالجة قضايانا ، وغير قادرين على تحديد مسارنا، وسنظل متأثرين بالحدث دون أن نؤثر فيه .

ولا أظنكم ، وأنتم أهل الفكر والخبرة ، إلا متمثلين للمقولات العبثية التي يطلقها البعض – بقصد أو بغير قصد – لتشويه صورة الإسلام والمسلمين ، واعتبارهما خطراً داهماً على المصالح والقيم الغربية .

وإذا كانت بعض الحركات الإسلامية السياسية قد أسهمت بغلوها وتطرفها ، اللذين هما مرفوضان شرعا ، مهما كانت الأسباب والمبررات في تعزيز هذه الصورة المغلوطة، فإننا نقول في الوقت نفسه بأن هناك إدراكاً متناميا عند بعض المنصفين بالصورة المشرقة للإسلام، وإسهاماته في بناء صروح الحضارة الإنسانية ، وأنه لا يجوز النظر إلى هذه الصورة القاتمة عن الإسلام بروحه ، وقيمه ، وتراثه الفكري الحضاري الثري والمتنوع . فما أحوجنا هذه الأيام إلى مثل هذه اللقاءات العملية التي من شأنها قراءة التجارب والتطورات في المجتمعات الإسلامية ، ودراسة توجهات الإسلام السياسي في الشرق الأوسط تجاه الغرب ، والتحولات في النظرة الغربية نحو هذه الظاهرة ، وفقا للمعطيات الواقعية ، لتشيع المحبة بدل الكراهية والبغضاء ، وليسود التعاون مكان الصراع والتنافر .

أيها المنتدون الأفاضل

ومع تطلعنا إلى الأفكار الإيجابية البناءة التي ستصدر عن ندوتكم في ضوء ما ستتناولونه فيها من أبحاث قيمة متنوعة ، لا يسعني إلا أن أكرر ترحيبي بجميع الأخوة الحضور الذين حرصوا على تلبية دعوتنا ، وأتوجه بالشكر إلى كل من أسهم في الإعداد والتحضير لهذه الندوة ، متمنياً أن تحقق ندوتكم الأهداف التي أقيمت من أجلها .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

الفصـل الأول

التحولات في علاقة الغرب بالإسلام والمسلمين خلال القرن العشرين

CHANGES IN RELATIONS BETWEEN THE WEST AND ISLAM

IN THE TWENTIETH CENTURY

Graham E. Fuller[*]

INTRODUCTION

Relations between Islam (Muslims) and the West have changed in the twentieth century more than in any other century. The primary reason for these dramatic shifts is the cycle of pre-colonial, colonial, and post-colonial relations all within the same century, or a century and a half, between the states of the Muslim World itself and the West. One might hypothesize that these Muslim-West relationships will never again change quite as dramatically and as sweepingly as they have in this century.

To describe things in this fashion is already to make an important observation: it suggests that relations between "Islam" and the West have very little to do with theology, and a great deal to do with international politics. And indeed, that is my contention. While there are significant theological differences between Islam and Christianity, these differences are not an important in any conflict between the Muslim World and the (ex) Christian world. Indeed, Muslims and Christians to a considerable extent share an ethical and moral outlook that represents one of the more encouraging aspects of relations between the two worlds. As I have pointed out in my book A Sense of Siege: The Geopolitics of Islam and the West, religion tends to be the *vehicle* of conflict rather than the *source*, a thesis in direct contradiction to that of Samuel Huntington.

The major shifts in relations between Islam (Muslims) and the West are essentially expressed in four different phases:

- the transition from the colonial era to the post-colonial era;
- the "neo-imperialism" of the post colonial period;

[*] **Researcher at RAND Corporation – U.S.A.**

- the process of modernization and democratization of the Muslim state;
- and finally, the role and impact of Islam *in* the West.

These changes in relationship between the Muslim World and the West can be viewed as positive or negative, and indeed they contain elements of both. In some ways these changes have improved relations between the two sides, but in other respects they have caused a sharpening of relations. For the sake of clarity, I will separate this discussion into two parts, the first devoted to the phenomenon of sharpening of relations, the second to the softening or smoothing of relations.

The Sharpening of Relations

By the beginning of the twentieth century, virtually every Muslim country (except Afghanistan and Saudi Arabia) had already fallen under the control of Western colonialism. This marked the beginning of a half-century of conflict between the Muslim World and the West in a struggle of anti-colonial liberation. Islam of course played a significant role in this anti-colonial struggle; it provided a major part of the ideological justification and served as a unifying cultural force in areas where there had not always been any clear national borders, a modern state or any kind of nationalism in the Western sense. Thus from a Western point of view, Islam provided an ideology of opposition and resistance in a guerrilla context, thus associating Islam in Western eyes with ideological fervor against Western power. In practical terms, however, Islam was not struggling against Christianity, but against the West as a controlling and dominating force in the Muslim World. This struggle against Western domination characterizes the entire century, even though the forms that Western domination has taken has evolved with time.

The second highly negative development sharpening Muslim attitudes against the West was the founding of the Israeli state. Muslim anger was particularly strong because it has clearly been the West, with its long history of discrimination and persecution of Jews culminating in the holocaust, that created the stimulus for the foundation of a Jewish homeland in Palestine. In effect, Muslims were asked to pay for Western crimes. Whatever the case may be for the Jews themselves to have a homeland in Palestine, the presence of Israel and the wars it has unleashed has been a key factor of instability and conflict in objective terms in the region. The inability of the United States to find an equitable solution has kept the

Arab-Israeli dispute a burning issue down to the present day, affecting all other aspects of Western-Muslim relations in the region -- Gulf policy, problems with Iraq, with Iran, etc. Nearly all policies of the West in the Middle East, and especially of the United States, are perceived as essentially designed to serve the interests of Israel. This is not to say that all problems between East and West would disappear if there were no Israel, but Israel remains at the center of the conflict.

Third, even though nearly all Muslim countries had achieved independence within a decade after the end of World War II, the dominance of the West still continued in the economic, political, military and cultural spheres. This post-colonial Western dominance, known in Marxist terms as "neo-imperialism," has remained a key grievance to most of the Muslim World. Indeed, this term has had particular impact even upon contemporary Islamist thinking which is at least as much concerned about Western cultural domination as it is with Western military or political power. Even though the Muslim World has gained its formal independence, Islamists have perceived the first generation to take over the newly independent Muslim governments to be essentially "clones" of the West in their desire to perpetuate the "Westernizing agenda" within their countries. Many Muslims of course would reject the accuracy of this view, but it has been a strong current of thought within Islamist thinking to this day. This concept too, has tended to perpetuate the idea of basic Muslim cultural hostility towards the West -- or vice versa -- that was not erased with independence.

The concept of "neo-imperialism" of course has not been limited to the cultural sphere. British and American policies in the Gulf in the eyes of many Muslim observers, both Islamist and non-Islamist, are perceived as designed to maintain Western "control" over Gulf oil and its pricing. Ruling families in the Gulf are often portrayed as instruments of Western policy, while the US struggle with both Iran and Iraq are perceived as justification to maintain a major American military presence in the area, and to sell large amounts of American arms to these states. These suspicions too, continue down to this very day.

In this sense, it is difficult to speak of any major improvement in the West's relations with the Muslim World, even after independence. One might say that suspicions of Western intentions in the region are at least as strong as before, and the populations of the region are now better educated, more informed and aware of grievances against the West. In other words,

education and knowledge has contributed to an intensification of anti-Western grievances. Prominent leaders of the Middle East also exploit these ideas among the population in support of their own ideologies and interests: Gamal Abd-al-Nasir, Hafez al-Asad, Saddam Husayn, Mu'ammar al-Qadhafi, the Ayatollah Khomeini and others have all helped perpetuate anti-Western ideas along the lines of the "neo-imperialist" rationale. This is not the place to debate the correctness or incorrectness of their ideological positions, but to suggest that their ideas and slogans have often found fertile ground in the region.

While these ideas are usually associated specifically with the Middle East, they are also closely linked with a lot of general rhetoric in the Third World, and can be included within the framework of "Third Worldism." "Neo-imperialist" concepts have not only regional but global relevance. They focus on economic penetration, particularly in the form of globalization of the international economy today, but also in the cultural realm, or "McDonaldization" and "Hollywoodization" of the Third World. But the question remains, why has the intensity of these ideas remained stronger in the Muslim World than in almost any other part of the world? Is the level of "neo-imperialist" sensitivity actually higher in the Middle East or is there a deeper cultural resistance to the West in the Muslim World than within any other non-Western culture?

Anti-Western thinking was yet further intensified even in the campaign of many Islamists against the state in the Middle East. Some Islamists have often portrayed many of the modern Middle Eastern regimes -- sometimes accurately -- as oppressive, harsh, incompetent, corrupt, and illegitimate. And many of the leaders of these regimes are portrayed as fulfilling the Western agenda, exploiting the West's fear of fundamentalism as an excuse for abuse of human rights and absence of political liberalization. Unfortunately, the West has been susceptible to these fears in many cases and has given support to regimes such as Algeria out of fear of radical fundamentalism, even in violation of its own professions of belief in democracy as a universal good. Sweeping US support for Cairo has also been partly influenced by these same calculations. Fortunately, Washington may slowly be growing more sophisticated in its understanding of the "problem of fundamentalism." In Turkey, for example, even though Washington has no fondness for the Islamist Refah Party, it has very publicly criticized the Turkish government and the military for using extra-legal means to eliminate and ban the Refah party, maintaining that such

steps are bad for Turkish democracy and may only strengthen radicalism within such Islamist circles.

The result is, however, that in Islamist eyes bad governance in the Muslim World has come to be associated in certain cases with pro-Western policies and the support of the West itself. Some Islamic groups or leaders have even portrayed the West as the first source of the problem, arguing that it is the West that keeps such regimes in power and emboldens them to stand against their people. We hear this argument from the FIS in Algeria, in the ideology of the Gama'a Islamiyya in Egypt or from the Saudi dissident Usama Bin Ladin. In the arguments of these groups, to strike against the US is seen as an Islamic obligation as part of a broader struggle against "neo-colonial regimes" in order to attain a "just order" or Islamist government in the region. Here again we see an intensification of anti-Western feelings, this time not only as part of the foreign policy debate of these countries, but as part of the *internal* ideological debate as well. This phenomenon, whether justified or not, has been a major post-independence trend that has involved strengthened anti-Western feelings. The absence of American impartiality in the Arab-Israeli situation has of course intensified these emotions. But if the Arab-Israeli problem were to be resolved with some degree of justice for both sides, would these elements of anti-Western thinking then disappear completely?

The phenomenon of terrorism in the Midde East (and outside the Middle East as well) has also exacerbated relations with the West. The US is given to declaring "war against terrorism" without always fully considering the full causes of those terrorist incidents. Secondly, large proportions of leaders in the Middle East, including Netanyahu, actually prefers to deal with "terrorism" than to deal with political opposition. Terrorism is a black-and-white issue, one need show no mercy, make no compromises, and wins nearly automatic support in the West, whereas dealing with political opposition is a far more complex task involving real compromises. If a "war against terrorism" takes top priority in US relations with the Middle East, it could become a self-fulfilling prophecy, opening the door to a real "clash of civilizations." There must be a struggle against terrorism, but it must come in the context of building genuine support for Western policies in the area, something that is lacking today.

The Western confrontation with Saddam Husayn also presents an interesting problem. The overall frustrations of Muslims with the West are such that Saddam enjoys a great degree of sympathy within the Muslim

World. He justifies his quest for domestic and regional power in terms of building "Arab" or "Muslim" power against the West. Thus the ongoing Western military confrontation with Saddam also intensifies anti-Western feeling in the region, as if Muslims believed that the Iraqi people do not somehow deserve something better than Saddam.

In conclusion, as we look over the last century, it is hard not to see a sharpening, rather than a softening of hostility between the Muslim World and the West in many respects -- at least in terms of ideology. And because popular awareness of these anti-Western grievances are growing, we might hypothesize that the overall growth of democracy will probably intensify anti-Western feelings *in the short to medium term.* This is understandable since their populations as being too pro-Western and doing so primarily to gain external support to stay in power will blame many regimes today allied with the West. Over the longer run, however, it is my belief that the spread of political liberalization in the Middle East will in fact lead to political development, social evolution, and greater political maturity that can only benefit long-term relations between the Middle East and the West.

Factors of Rapprochement between the West and the Muslim World

If there has been an intensification of relations between the Muslim world and the West -- at least at the ideological level -- the picture is not entirely negative. There are many elements in the interrelationship we can point to which suggest rapprochement has taken place as well.

First, movements for Muslim reform at the beginning of the twentieth century, such as that of Jalal-al-din al-Afghani, clearly sought to strengthen the Muslim world vis-à-vis the West. In some ways these reform efforts were

a reaction against some early colonialist moves by the West into the Muslim World, but full-scale colonialism, especially in the Arab world, was yet to come. Secondly, al-Afghani and others were not so much condemning the West, as seeking to strengthen the Muslim World vis-à-vis the West. In one sense it was *defensive* in character, in another it represented a desire to Westernize. Westernization was associated primarily with technical knowledge, social organization, democratization and public support, and ultimately with military power. At that time the Muslim critique of the West was limited to its more aggressive military intentions and confrontations with the weaker Muslim world. It did not involve a critique of Western civilization as a whole, and in general the

West was not associated with support for regimes that were seen to be operating against the interests of the people. Blanket condemnation of the West as a culture was still far off.

In this sense, there is a legacy of admiration for many aspects of Western society. That legacy continues down to today for a majority of Muslims who admire Western education, technology, democracy and civil society, strength and stability even if they do not embrace all aspects of Western culture and lifestyle. Most of the Muslim intelligentsia have traveled to the West, even been educated there. They are familiar and comfortable with many aspects of Western life, but they are also critical of many aspects they see of social decay, moral confusion, and a continuing drive for global hegemony. And the grand question remains: what is the degree of connection between the two faces of Western culture? Can one adopt the "good sides" of Western culture without "the bad?"

Second, during the Cold War the West it self began to develop an appreciation for some of the moral strengths of the Muslim World. In an era of struggle against the Soviet Union and the ideology of communism, Western policy makers began to understand, probably for the first time, that Muslim life and beliefs were a strong bulwark against communism, a power ideological weapon against communism, even when some Muslim countries for geopolitical reasons showed some support for Soviet policies in the region. The culmination of this perception was evident in Afghanistan where the West strongly backed Muslim mujahidin in a successful guerrilla warfare against the Soviet occupation. Many in the West at this time recognized, perhaps for the first time on the ideological level, that there may be at least a few shared political values between the West and the Muslim World.

Third, Western political ideas have filtered into contemporary Islamist politics. Faced with increasing exposure to Western ideas, Islamists have begun to accept the logic of certain kinds of Western political institutions that they now perceive as valuable to them. Foremost among these ideas are those of democracy and human rights. The reason for increasing acceptance of these ideas among many -- not all -- Islamists is the fact that the Islamists themselves have often become the primary victims of the absence of these political values in their own societies. Most Islamists feel that they would be the net beneficiaries of greater democracy, and that they would not be jailed and tortured to the same extent if there was greater observance of human rights. This is not to say that Islamists in

power will observe democracy and human rights; that depends on the country, the movement, and the circumstances. But it does mean that the value of these concepts are growing even in the eyes of many Islamists, which suggests at least one area of greater appreciation of Western political values.

The degree to which society should tolerate bad governance is another key area where Western ideas have infiltrated into Islamist thinking. There is, of course, a centuries-old debate over the question of rebellion against "unjust government" or bad governance. 'Ulama, usually closely linked to the state in the course of most of Islamic history, have emphasized the idea that anarchy (*fitna*) is worse than oppression (*dhulm*). This concept, of course, serves the interests of the state. But in more recent decades there has been a reexamination of this debate. As in any religion, there are philosophical approaches and texts in Islam that justifies the importance of stability. But there are also ideas suggesting that a state can be illegitimate --- often defined in terms of oppression, incompetence, corruption or absence of consultation; -- under such conditions, Muslims may then have a right, if not an obligation, to overthrow such illegitimate rule. These concepts (*takfir al-hukkam*) are important in the thinking of many radical Islamist movements today.

While there is no doubt that these ideas of latent revolt against unjust governance can be found within Islam, it is almost surely exposure to Western political doctrine that has encouraged the reexamination of Islamic political thought in the interests of deriving Islamic justification for action against the unjust or illegitimate state. Such ideas echo very much Jeffersonian political thinking in the Declaration of Independence which has influenced not only the American Revolution, but European political thinking as well -- that there is a positive obligation to overthrow unjust rule. If many Islamist movements today speak in terms of the overthrow of unjust rule, acceptance of the Jeffersonian rationale (even unconsciously) has probably helped the search and promulgation of equivalent ideas in Islamic political thinking.

These concepts of greater democracy and human rights of course do not have to be borrowed wholesale from the West but can be derived from Islamic sources as well. But the impetus for understanding and promoting them may now come primarily from contact with Western governance. This then, is a form of "ideological rapprochement" that will probably grow in importance over time.

Fourth, despite the exercise of Western hegemony in much of the world order today, the West has nonetheless come to accept the sovereignty of Muslim states as well as their integration into the international order. While "power politics" still characterizes the international order, and to some extent always will, Muslim states can now feel themselves to be fully respected players on the international scene. Western and Muslim statesmen are comfortable with each other in most cases, and in the post-Cold War world we are even moving towards a greater degree of consultation and cooperation. This fact represents a major step forward in improved relations between the Muslim world and the West.

Fifth, any discussion of rapprochement between the Muslim World and the West would not be complete without an examination of Muslim emigration to the West. While Muslims who live in the West, especially in Europe, have some grievances about their social acceptability in those societies, they are there in the West by choice, and they value many aspects of Western life beyond the material. Acceptance of many Western ideas by these Muslims is slowly having an impact upon the societies from which they come, and to which they often return. Tolerance of bad governance -- corruption, incompetence, and oppression -- is no longer acceptable in their eyes after exposure to life in Western societies.

Muslims in the West are becoming now a familiar part of the scene, particularly in the UK and the US. Islam is recognized as one of the major religions of the US, there are Muslim chaplains in the US military, the president congratulates the Muslim community on Muslim holy days, and the White House now holds iftar dinners during Ramadan. Muslims may still be far from fully integrated into Western life, but their presence is increasingly familiar and taken as commonplace.

Life in the West has furthermore offered Muslims an unprecedented experience to develop Islamic thinking, in total freedom, for the first time in the history of Islamic society. There is no other place in the world where Muslims can meet, congregate, write, employ the media -- TV, radio, the press, internet, etc. -- to discuss and debate any and all aspects of Islam, reform, justice and good governance. The reform or "modernization" process of Islamic practice is likely to sink intellectual roots in the West before anywhere else and represents a major chapter in the intellectual history of Islam. These trends further assist a rapprochement between the Muslim World and the West.

Finally, there is slowly emerging a body of individuals in both the West and the Muslim World who have an interest in a formal rapprochement between Islam and the West, or Islam and Christianity. Interestingly, this movement in the West has begun in conservative or religious circles who share with many Muslims a concern for crises of modernization that are manifested in the West as well as in the East, particularly as they relate to preservation of values, and problems of the derivation of moral systems in a secular society. In short, the West is arrogant if it thinks that it has the answers to modernization or that it offers the real model to the Muslim World. The West itself is suffering from a crisis of modernization -- at a more advanced level, to be sure -- that is not entirely different from the crisis in the Muslim World. We now hear on both sides the idea of a "common" Abrahamic tradition" that brings Christianity, Islam and Judaism together in an effort to overcome small differences in an effort to confront the larger common problems. An effort to share discussion of these problems and seek common approaches and solutions will do a great deal to affect a rapprochement between Muslim and Western societies.

Conclusion

On balance, I might argue that the confrontation between the Muslim world and the West has grown over the century -- the logical result of the decolonization process in which the Muslim World sought greater independence and sovereignty in a world order created and dominated by the West. But today we witness fully sovereign modern Muslim states able to challenge Western efforts to dominate the international order. And today, after the Cold War, these Muslim states have greater independence and military strength than during the Cold War, or even before. We now have a Muslim nuclear state in Pakistan. Today Islamist ideology is more explicitly anti-Western than ever before. This confrontation need not lead to conflict, but it does suggest a growing tension, requiring Western powers to take Muslim thinking and attitudes more deeply into consideration than ever before in history. If the confrontation is the bad news, the good news is growing recognition by the West of this reality of a diversification of world power.

The ideological confrontation with the West from Islamist ideology will change, in my view, when two conditions are satisfied. First, the Muslim World must itself undergo broad political liberalization or

democratization, granting voice to the public at large to participate in the political decisions of their country. At present people have extremely limited or no input into that process, resulting in a sense of fatalism towards the political process in which people are objects or even victims of the political order rather than participants. Thus the broader Muslim public lacks political responsibility since there is no opportunity to exercise it. When it can achieve greater voice over its own fate, the hope is that members of Middle Eastern societies will be able to react more constructively and creatively towards the challenge of the West.

Second, the architects of the global order will need to take the opinions and concerns of other countries of the world more into consideration in the management of global problems. The Cold War set a bad precedent in which the US was the main power making decisions on behalf of much of the world. Today American preeminence on the international scene is receding somewhat, since American interests are diminishing in the absence of a global threat and the interests of regional players are growing. Issues once vital to the US are now merely important at best, but have become truly vital to the states directly involved.

Americans themselves are also less willing to spend the energy, blood and treasure to maintain a position of absolute leadership in global issues. These two factors mean that the US voice will become less prominent, although of course still important. Under such conditions, Third World countries will be less confronted with situations of US intervention, thereby lessening the scope for friction between the two societies.

Finally, the non-Western world must recognize that the West did not "invent Westernization" Westernization flows out of the experience of Western evolution and could not be significantly deterred. Today the entire world is undergoing such change -- in the social, economic, political, technical, demographic realms -- leading nearly all countries, in one way or another, down the paths of modernization that bring good as well as ill with it. The dilemmas and problems of modernization confront us all. The gap in social structure across the globe will eventually diminish, although there will always be winners and losers on the international scene.

If, then, the past century has been one of increasing confrontation between Islam (Muslims) and the West, the next century may be like to witness the diminution of that confrontation as the processes for change in both the Muslim World and the West outlined above begin to take effect.

الفصـل الثانـي

دور الصراع العربـي – الصهيونـي
في تشكيـل العلاقة بين الغرب والعالم الإسلامـي

دور الصراع العربي – الصهيوني في تشكيل العلاقة بين الغرب والعالم الإسلامي

أ.د سعد ناجي جواد*

منذ اللحظة التي بدأت فيها المشاريع الغربية الرامية إلى إنشاء كيان "قومي صهيوني يهودي" في قلب الوطن العربي، إلى تمزيق الوطن العربي من أجل السيطرة عليه وتمرير هذه المشاريع، بدأت تظهر آثار ذلك على العلاقة ما بين الغرب والعالم الإسلامي. وعندها تبلورت المشاريع ونتج عنها إعلان قيام (دولة إسرائيل) عام ١٩٤٨، وترسيخ هذا الكيان وإنهاء أية مقاومة له في عدوان حزيران ١٩٦٧. والسمة الأساسية التي تحدد طبيعة هذا الصراع هي الترابط العنصري ما بين المشاريع الاستعمارية الغربية في الوطن العربي من جهة والمشروع الصهيوني ودولة (إسرائيل) من جهة أخرى.(١)

ولا بد ومنذ البداية التأكيد على حقيقة أخرى هي أن ما ظهر في نهاية القرن الماضي وبدايات القرن الحالي من مشاريع ترمي إلى إنشاء كيان صهيوني، لا يبتعد عما ظهر في السابق من محاولات رامية إلى السيطرة الأوروبية على بيت المقدس وفلسطين والتي تبلورت عنها حروبٌ صليبية انتهت بإفشال المشروع الأوروبي – اليهودي الذي كان يرمي إلى إنها الوجود العربي – الإسلامي في فلسطين.

وهكذا فإنه لم يكن من المستغرب أن تتضافر الجهود الأوروبية – الغربية – الصهيونية من جديد من أجل وضع حاجز مانع للوحدة العربية ما بين مشرق الوطن العربي ومغربه. ولم يكن مستغرباً أن يبادر الغرب إلى التفكير بمنح كيان لليهود داخل فلسطين منذ عام ١٨٤٠ بصيغة مشروع طرحه اللورد بالمرستون رئيس الوزراء البريطاني، الذي كان يرمي من خلاله إلى إفشال أية محاولة مشابهة لمحاولة محمد علي

* أستاذ العلوم السياسية ـ جامعة بغداد

باشا أو ابنه إبراهيم. ولما تلقفت الحركات الصهيونية هذا المشروع عجلت بتبنيه كهدف سياسي بعيد الأمد لإنشاء وطن لليهود في فلسطين . ثم جاء وعد بلفور (١٩١٧/١١/٢) ليؤكد من جديد الدعم الغربي للمشروع الصهيوني، وليبرهن مرة أخرى أن الغرب والصهيونية كانا (ولا يزالان) متفقين على المشروع الرامي إلى تمزيق الوطن العربي. وبمكن القول أن هذه الحوادث هي التي بلورت الموقف العربي من الغرب بالمقابل . والمسألة أو الحقيقة الأخيرة التي يجب التأكيد عليها هي أن الصراع العربي (الإسلامي) من جهة والصهيوني الغربي من الجهة الثانية هو صراع ديني شئنا أم أبينا . فمنذ اللحظة التي بدأ فيها الإسلام بالظهور وحتى مونبليه ثم الأندلس قوبل هذا الدين وحضارته ومجتمعه بمقاومة يهودية وتآمر يهودي ومحاولات تعاون فيها الغرب مع اليهود من أجل إفشال رسالته أو عرقلة نموذجه الحضاري .

وتتباين الرؤى لهذا الصراع حسب الأطراف المتصارعة فيه والقوى المؤثرة عليه إقليمياً ودولياً ، مع التأكيد على أن موقف القوى الأخيرة يستند بالأساس إلى حجم التأثير الذي يمارسه الطرفان: العرب والصهاينة كل على حده ، إلا أنه يجب الاعتراف مسبقاً أن الطرف الصهيوني يمتلك التأثير الأكبر والأعظم بسبب ما يمتلكه من تأثير على أجهزة الإعلام والدعاية وعلى رؤوس الأموال في الغرب .

وتتمثل وجهة نظر الصهاينة (إسرائيل) في الصراع وأسبابه بإنكار العرب لحق العيش لليهود وإقامة دولة في المنطقة التي يعتبرونها مكاناً تاريخياً لها ، وهذا يعني من جهة أخرى فقدان الشرعية الإقليمية والدولية لهذا الكيان الذي يعتبره العرب دخيل على المنطقة. حاول كتاب ومفكرون وساسة صهاينة بلورة أفكار للرد على هذا الموقف العربي وبما يقنع الغرب . فمثلاً جادل أبا إيبان بأن العرب يرفضون أي شيء غير عربي لأن الإسلام لم يتخذ المساواة هدفاً اجتماعياً ، بل إن الشريعة الإسلامية تعلن بصراحة قيام فرق مدرج بين المواطنين ، فيهم المؤمنون والكافرون وبينهما الرعايا وهؤلاء هم أهل الذمة. ولكن لم يكن في ذاك قط اعتراف عربي بأي شيء يشبه استقلالاً سياسياً لليهود، وعليه فإن فكرة التعايش مع إسرائيل لا كمجتمع رعايا يهود بل كيهود ذوي سيادة، هي

بمثابة هزة عنيفة ، لذا فإن الانزعاج في التفكير العربي أمام استقلال إسرائيل أمر حقيقي لا يستهان به[٢].

أما يوسف تكواه ، ممثل (إسرائيل) السابق في الأمم المتحدة فيقول (إن سبب الحروب التي واجهتها إسرائيل منذ ولادتها ليس الصراع على الأراضي والمنافع الاقتصادية ، وإنما كانت محاولة طرف إنكار حق الحياة وحق الوجود كأمة مستقلة لطرف آخر)[٣].

أما الجنرال الدكتور هركابي " مستشار غولدا مايير " فيرى أن سبب الصراع يعود (إلى رفض العرب الاعتراف بإسرائيل والعمل على منع استمرارها في الوجود كأمة) ويعود هذا في رأيه إلى ما أسماه (أخطاء وأمراض في النفس والمجتمع العربيين)[٤].

وفي الوقت الذي تم إقناع الغرب ، الذي كان مهيئاً مسبقاً من الناحية النفسية والدينية والاجتماعية والتاريخية، لقبول هذه الادعاءات ، لم يشعر العرب –وحتى وقت قريب– بحاجة إلى محاججة هذه الدعاوى . فالأمر لم يكن رفض قيام دولة غير مسلمة ، لأن ذلك حصل في لبنان وبدعم عربي ، وإنما كان رفضاً لاغتصاب أرض وتشريد شعب واستبداله بشعوب مختلفة منحت هوية جديدة. وفي الحقيقة فقد توافقت وجهة النظر الغربية ولأسباب ثم إيضاحها مع وجهة النظر الصهيونية هذه .

أما الرؤية العربية – الإسلامية فلقد توافقت فيما بينها في ناحية النظر للظاهرة الصهيونية ولطبيعة الصراع . فالرؤية الإسلامية للصراع انطلقت من وعي تام بأنه صراع مصيري حيث يكون الوجود الحضاري الإسلامي ذاته في الميزان ، أو أنه الصراع الذي يفرض على الحضارة أن تكون أو لا تكون. وهذا الصراع لا يمكن أن يحل إلا بواحدة من ثلاث طرق . إما أن تستوعب إحدى الحضارات الحضارة الأخرى ، وإما أن تمحو إحدى الحضارات الحضارة الأخرى ، وإما أن تقسم مناطق النفوذ بين هاتين الحضارتين ، الأمر الذي يؤكد أن الصراع المصيري في الرؤية الإسلامية مبني في إطار صراع ممتد وشامل يحشد عناصر المواجهة للكيان الصهيوني الذي يحعل من أهم وظائفه

ضرورة مواجهة أية فكرة أو كيانية إسلامية ، وأن أي حل آخر في هذا المضمار لن يكون مجدياً أو قابلاً للاستمرار[٥]. وهكذا فمن وجهة النظر هذه فإن الصراع هو صراع حضاري وصراع وجود أو فناء[٦]. كما يعتبر هذا الاتجاه القضية الفلسطينية القضية المركزية للحركة الإسلامية وإن الجهاد هو الطريق الوحيد لتحرير الشعب الإسلامي ومناهضة محاولات الاستيطان والاستسلام كافة في المنطقة[٧]. علماً بأن الغرب والكيان الصهيوني يعتبران الصراع صراعاً دينياً أيضاً، ولو أنهم يحاولون إخفاء هذه الحقيقة أو تعتمها.

وينبع العداء العربي لإسرائيل بالأساس من المعاناة السياسية والإنسانية للفلسطينيين أولاً ومحاولات الكيان الصهيوني تهويد معالم القدس وتشويهها ثانياً. كما أن التصور العربي بُني على أساس واقعي يقول إن ما حدث ويحدث في المنطقة من عدم استقرار وتوتر إنما هو نتيجة لقيام (إسرائيل) ونظرتها إلى المشكلة الفلسطينية ، وهي المشكلة التي سيكون استمرار الصراع من عدمه مرهوناً بها[٨].

وإذا ما عدنا إلى التصور الإسرائيلي لهذا الصراع فإن الثابت في المتحول الأمني الإسرائيلي هو عقدة الخوف الدائم حيال الآخر ، ولا سيما الآخر الفلسطيني بوصفه النقيض الوجودي لفلسفة قيام الدولة العبرية . وليس من الغرابة في شيء أن تظل عبارة بن غوريون الشهيرة "أن وجود إسرائيل نفسه معرض للخطر" وهذا الأمر يحكم الأماكن السرية[٩]، بل وكل التفكير الصهيوني – الإسرائيلي. والسلام الذي تسعى إليه (إسرائيل) يكون مرتبطاً ومستنداً إلى القوة. فإذا كان السلام من وجهة نظر رئيس شعبة الاستخبارات العسكرية شلومو غزيت هو (ضرورة حيوية وهو إزالة خطر كياني بالدرجة الأولى)، فإن رئيس أركان الجيش الإسرائيلي إيهود باراك يقول (إن قوة الجيش الإسرائيلي ستكون مطلوبة للدولة حتى في الفترة التي تسمع فيها أجراس السلام)[١٠].

- **فهم الغرب لطبيعة الصراع** :

إذا ما تم الاتفاق على حقيقة أن الكيان الصهيوني هو صنيعة الغرب بوجهه الإمبريالي ، فإن الحال يقتضي بنا معرفة نظرة الغرب للعالم العربي والإسلامي وكيفية التقاء هذه النظرة مع النظرة الصهيونية أو بالعكس .

ويمكن القول أنه عبر التاريخ الوسيط والحديث والمعاصر تشكلت خصومة وعداوة تاريخية بين العرب والغرب ، وتبلورت من خلال الاتصال القسري والطوعي صور نمطية لدى الأولين عن الآخرين والعكس صحيح . وفي مقدمة السمات التاريخية البارزة الفتوحات الإسلامية للأمصار التي كانت تخضع للإمبراطورية الرومانية والحروب الصليبية والاحتلال الصليبي الذي دام ما يقرب القرنين[١١]. بالإضافة إلى النجاحات الإسلامية في أوروبا وآسيا ومن ثم الاستعمار الأوروبي الحديث للبلاد العربية والإسلامية. وتتأطر نظرة الغرب في نوع من الإقصاء الحضاري للعرب والمسلمين، فالإسلام عند الأوروبيين عدو الحضارة، وهو بذلك عدو الغرب، ومن أجل قهر هذا العدو كانت الحروب الصليبية[١٢].

وإذا كانت ثمة شكوى من قبل العرب حيال السياسات الاستعمارية الغربية وأثرها على نواحي الحياة كافة في البلاد العربية والإسلامية، فإن الطرح الغربي المضاد يستند على فكرة أنه (إذا كان المسلون اليوم يرون أنفسهم قد تعرضوا لتدخل الغرب خلال مرحلة الاستعمار ، فإن المسيحية هي التي كانت طوال معظم تاريخهم موضوعاً لمحاصرتهم . فخلال قرن من وفاة نبيهم غزوا إسبانيا ودقوا على أبواب فرنسا . . وهكذا فعلى الرغم من أن تاريخ المسلمين تاريخ إمبريالي فإنهم يركزون بصورة رئيسة على القرنين الأخيرين اللذين تميزا بتفوق القوى الأوروبية تكنولوجياً وسلاحاً)[١٣]. وهذه الصورة كانت سبباً من أسباب توسع نفوذ الصهيونية وتحقيق مطامحها في الحصول على الدعم الخارجي .

ومن ناحية أخرى اقتنع الغرب بأن العرب قبائل رحل جاهلة جائعة كسولة نهمة لا تريد الاندماج في مدينة العصر الحديث، ولا بد لذلك من وجود استعمار في أراضيهم يرفع مستواهم ويضمهم لعالم اليوم. وعندما أنشئت(إسرائيل) كان غالباً ما يشار إليها على أنها دولة اليهود المتمدنين التي أقيمت بين شعوب همجية لن تقبل بها ولن تتحمل وجودها بسبب الفارق الحضاري بين الطرفين. ولهذا ساد الاعتقاد عند الأوروبيين بأن (إسرائيل)

مسكينة لأن مدنيتها أضخم من أن يتفهمها أو يتقبلها جيرانها وأن أي عدوان في الشرق الأوسط لا بد وأن يكون عربيا لا إسرائيلياً[١٤].

ليس هذا فقط ، بل حاول البعض ربط كراهية العرب (لإسرائيل) بكراهية العرب للغرب التي تمتد جذورها حتى الحروب الصليبية وطيلة الاحتلال الغربي للأقطار العربية[١٥]. ولعل أكثر المقولات رواجاً هي أن (إسرائيل) واحة الديمقراطية في صحراء الاستبداد. ولا يمكن إغفال دور اليهود الفاعل في صناعة هذه الصورة بين الإسلام والغرب عن طريق محاولة إقناع ساسة الغرب وصانعي القرار فيه بأولوية الخطر الإسلامي والعبء الملقى على الكيان الصهيوني لمواجهته ، مما يستدعي من الغرب تقوية هذا الكيان باعتباره (حائط الصمود ضد خطر الإسلام الزاحف على الغرب). هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى يمارس اليهود ضغوطهم على وسائل التوجيه والتأثير والإعلام، وبخاصة الصحافة ، ضد العرب لترسيخ هذه الصورة المشوهة عن الإسلام في العقل الغربي الشعبي.

إن كلمة الإسلام عند ثيودور هرتزل تعني العرب وليس الشعوب الإسلامية الأخرى . ويتضح هذا بجلاء حين تحالفت الصهيونية مع الثورة العثمانية (١٩٠٨) في معركتهما المشتركة ضد حركة القومية العربية الوليدة وضد استقلال العرب[١٦]. كما أن هرتزل نجح في إقناع الرأي العام الغربي اليهودي بأن الدولة اليهودية ستكون ممثلة للحضارة الأوروبية في الشرق ، وأنه لو تم لهم الحصول على فلسطين لصار اليهود يشكلون جزءاً من الرديف أو السد الأوروبي بوجه أسيا (الإسلامية) ومركزاً طليعياً للمدنية ضد البربرية[١٧]. إن هذه الطروحات الصهيونية والمستندة على فكرة أن اليهود هم شعب الله المختار، التفت وانسجمت مع الطروحات العنصرية الأوروبية حول رسالة الجنس الأبيض وعلو مكانته، هذه الطروحات التي فندها العالم من جوانبها كافة.

وأخيراً لا بد من القول أن الغرب بصورة عامة، والدول الاستعمارية فيه بصورة خاصة، قد وجدت في الإسلام والقرآن الكريم، الخطر الأكبر والمحبط لمخططاته الرامية إلى استعباد العرب والمسلمين. وأن هذا الدين لم ينجح فقط في إثارة الشعوب المسلمة ضد

الاستعمار وطرده، (والمثل الأوضح الجزائر)، بل أن الأمر امتد إلى حقيقة أن ينجح الإسلام في اقتحام المجتمعات الأوروبية نفسها وأن يثبت له مكانة متقدمة فيها ومؤيدين متزايدين له. والسبب في ذلك أن الدين الإسلامي يحارب وبصورة هادئة وعن طريق الإيمان كل الظواهر التي تهدد المجتمعات الأوروبية[١٨].

وكانت بريطانيا من أكثر الدول الأوروبية تحكماً في مسار القضية الفلسطينية بحكم وجودها في بؤرة الصراع ، ليس فقط كدولة منتدبة على فلسطين ، ولكن كدولة صاحبة نفوذ قوي ومباشر على معظم الدول المحيطة أو القريبة مثل مصر، والأردن، والعراق والخليج العربي .

والموقف البريطاني في التاريخ الحديث يضرب في جذوره إلى أوائل القرن الحالي حيث دعا حزب المحافظين البريطاني إلى عقد مؤتمر في لندن بدأ أعماله عام ١٩٠٥ ورفع المؤتمر توصية عاجلة عام ١٩٠٧ إلى رئيس الوزراء البريطاني آنذاك نصت على ضرورة العمل على (إقامة حاجز بشري وغريب على الجسر الذي يربط أوربا بالعالم القديم ، ويربطهما معاً بالبحر المتوسط بحيث يشكل في هذه المنطقة وعلى مقربة من قناة السويس قوة عدوة لشعب المنطقة وصديقة للدول الأوروبية ومصالحاها)[١٩]. وهذا كما ذكرنا تجديد لفكرة بالمرستون المطروحة عام ١٨٤٠ .

وكان ثمة التقاء بين المصالح البريطانية والصهيونية ، فالاستيلاء على فلسطين كان ضرورة استراتيجية بالنسبة لبريطانيا ، وكان الطريق الوحيد لإدامة النفوذ البريطاني يتمثل في الربط بين الأهداف الاستراتيجية البريطانية ومبدأ تقرير المصير بالنسبة للصهاينة اليهود في فلسطين وفتح باب الهجرة لهم وتمكينهم من السيطرة على هذه البقعة.

ولهذا نجد أن بريطانيا هي التي تعهدت المشروع الصهيوني منذ مراحل نشأته الأولى، بل ومنحته شرعية دولية كان يفتقدها متمثلة بوعد بلفور ١٩١٧. ثم ألزمت بريطانيا نفسها بتنفيذ هذا الوعد ، بل ووضعت ذلك موضع التنفيذ فعلاً بعد تكليفها من قبل عصبة الأمم بالانتداب على فلسطين، حيث ضمن صك الانتداب التزاماً بالعمل على إنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين .

وعندما شعرت بريطانيا بأن هناك إمكانية لتأسيس الوطن القومي لليهود انسحبت من فلسطين لتشكل (دولة إسرائيل) وكانت من أوائل من أيد تأسيسها واعترف بها ودعمها. بل وأكثر من ذلك فإن بريطانيا، وعندما شعرت بأن هناك ما يهود أمن (إسرائيل)، تواطأت معها في شن عدوان ١٩٥٦، وهي التي صممت مشروع القرار (٢٤٢) سيئ الصيت الذي تبناه مجلس الأمن بعد عدوان ١٩٦٧ (٢٤نوفمبر) والذي شكل أساس حركة المجتمع الدولي في البحث عن تسوية تأخذ في اعتبارها حماية (إسرائيل) ، وهي التي أصبحت همزة الوصل بين الجماعة الأوروبية وبين الولايات المتحدة وحاولت أن تضمن عدم ابتعاد الموقف الأوروبي كثيراً عن الموقف الأمريكي ، إلى غير ذلك من المواقف المساندة للاحتلال والتوسع الإسرائيليين .

ولم يكن الهدف الإسلامي ببعيد عن المساعي البريطانية ، لأن بريطانيا كانت سبباً في ضعف المسلمين وتعقد أوضاعهم في جميع أنحاء العالم ابتداءً من القضاء على إمبراطورية الإسلام في الهند مروراً بالقضاء على الدولة العثمانية والخلافة الإسلامية لحساب اليهودية العالمية وانتهاءً بكارثة فلسطين[٢٠]. وهذه الأهداف التي حققتها بريطانيا بخاصة (والغرب بعامة) وسعت إليها منذ القرن الخامس عشر وحتى اليوم ضد التاريخ العربي والشرق كله ، كان المقصود منها شن حملة غربية شعواء (سياسية، أيدلوجية، فكرية، اقتصادية، عسكرية ودينية) كلها تهدف إلى شيء واحد هو تحطيم أية محاولة لإنشاء دولة عربية في قلب الحضارة الشرقية الإسلامية. بل والأكثر من ذلك تفتيت الأمة العربية واقتطاع أجزاء منها لصالح دول الجوار لغرض منع الوحدة أو التقارب بأي ثمن.

وأخيراً وليس أخراً فإن الصهيونية وقادتها لم تكن بالبعيدة عن السياسة البريطانية وصانعي القرار فيها، يساعدهم في ذلك وجود اليهود البريطانيين ونفوذهم وتغلغلهم حتى في المنظمات السرية المنتشرة في أنحاء العالم، مثل الماسونية، التي كانت تعمل بأغطية إنسانية واجتماعية كي تموه على أهدافها السياسية .

ولم يكن الدور الأمريكي بأقل سوءاً من الدور البريطاني، إن لم يكن أكثر سوءاً وأكثر حسماً في التأثير على مسار القضية الفلسطينية ، والسبب في ذلك يعود إلى ثقل

الولايات المتحدة في النظام الدولي من ناحية وطبيعة الثقل الإسرائيلي وتأثيره على السياسة الأمريكية من ناحية أخرى . وممارسة الضغط الصهيوني – اليهودي في الولايات المتحدة كان يستند بالأساس لدعاوى دينية وأبعاد مصلحية . وترجع بدايات قيام أول جماعة ضغط (لوبي) صهيونية في الولايات المتحدة إلى عام ١٨٨٧ حيث أسسها رجل دين بروتستانتي هو بلاكستون لصالح إقامة دولة يهودية في فلسطين . وهكذا ظل الأساس الديني يلعب دوراً فيما يخص القضية الفلسطينية . حيث تلعب الاتجاهات المسيحية بأسسها اللاهوتية دوراً رئيساً في توفير المناخ الملائم للالتزام والانحياز لإسرائيل لدى السياسة الأمريكية نحو نزعة عامة متميزة تجاه الصراع العربي – الصهيوني[٢١].

وقد استفادت الأقلية اليهودية من الخصوصية الدينية للمجتمع الأمريكي باعتباره مسيحياً يغلب عليه الطابع البروتستاني . فالعديد من الكنائس البروتستانية متأثرة بالتوراة وبالعهد القديم، ومؤيدة من منطلقات دينية وعقيدية لحق اليهود في العودة إلى فلسطين، ولذلك لم تكن الحركة الصهيونية بحاجة إلى جهد كبير لكي تتمكن مبكراً وفي فبراير ١٩٤٥، في جمع أكثر من خمسة آلاف توقيع قس بروتستانتي على عريضة تطالب بريطانيا بفتح أبواب الهجرة إلى فلسطين، وإن تحرك أكثر من خمسة آلاف منظمة وناد وجمعية ونقابة أميركية يهودية لاتخاذ مواقف مؤيدة للحركة الصهيونية[٢٢].

أما على صعيد المصلحة فيمكن القول إن النجاح الذي أنجزه اللوبي الصهيوني داخل الولايات المتحدة الأمريكية لا يتمثل في مدى ما أحرزه من قدرة تنظيمية للتأثير بجماعة ضغط على صانع القرار الأمريكي فقط وإنما في نجاحه في تسويق فكرة التوافق الاستراتيجي بين (إسرائيل) والولايات المتحدة، حتى أصبحت قاعدة مستقرة في سياسة الولايات المتحدة [٢٣].

أما عن وزن اللوبي وتأثيره على عملية صنع القرار الأمريكي فإنه يتوضح من خلال معرفة طبيعة النظام السياسي والانتخابي الأمريكي الذي يسمح لجماعات المصالح من أي نوع تنظيم صفوفها والدفاع عن مصالحها رسمياً من خلال علاقة مؤسسية مع

الكونغرس وفقاً للقانون الصادر عام ١٩٤٦ ، كما يسمح لهذه الجماعات من خلال لجان العمل السياسي (PAC) بمساعدة مرشحيهم المفضلين في جميع أنواع الانتخابات الأمريكية عن طريق التبرعات وتنظيم الحملات الدعائية[٢٤]. ويمارس اللوبي الصهيوني تأثيره من خلال مشاركته أنشطة الحملات الانتخابية على كل المستويات التنفيذية والتشريعية باستخدام الصوت اليهودي والمال اليهودي والدعاية اليهودية والإعلان لصالح المرشحين الأكثر تعاطفاً مع الكيان الصهيوني، من خلال المتابعة والرصد الدقيق لكل ما يصدر عن المسؤولين الأمريكيين والمتعلق بموقفهم من القضية الفلسطينية والصراع العربي–الصهيوني، واستخدام كل أنواع الإغراءات والضغوط الممكنة لضمان تأييدهم المستمر. ويجب الانتباه إلى أن نسبة الأصوات اليهودية لا تتجاوز ٢,٥% (٦ ملايين ناخب) من مجموع أصوات الناخبين، ولكن لأن درجة المشاركة السياسية لليهود هي أعلى في العادة من درجة مشاركة المواطن الأمريكي غير اليهودي، وقد تكون هذه النسبة مرجحة وخصوصاً في انتخابات الرئاسة[٢٥]. كما أن الصوت اليهودي يلعب دوراً أكثر أهمية في الانتخابات التشريعية (حوالي ٢٥% من جملة الأصوات)، هذا بالإضافة إلى سعي اليهود وتركيزهم على الوظائف السياسية المتخصصة وعلى كل ما من شأنه التأثير على صياغة السياسة الأمريكية مثل اللجنة البرلمانية للشؤون الخارجية في الكونغرس التي تضم ٢٥% من اليهود، واللجنة الفرعية لشؤون الشرق الأوسط وتضم ٣٠% [٢٦].

وإذا ما علمنا كيف ينظر الأمريكيون إلى الإسلام والمسلمين وعلى حسب ما جاء على لسان الرئيس الأمريكي الأسبق ريتشارد نيكسون ، استطعنا أن نعرف لماذا كل هذا الاندفاع في دعم الصهاينة، علماً أن النظرة الأمريكية هذه كانت قد بنيت على أساس الدعاية الصهيونية في الولايات المتحدة . يقول نيكسون ما يلي (يميل كثير من الأمريكيين إلى تصور المسلمين على أنهم نمط واحد من الناس غير المتمدنين، غير النظيفين، المتوحشين، وغير العقلانيين وعلى الغالب لا يلفت انتباهنا فيهم سوى أن بعض زعمائهم لهم الحظ السعيد في أنهم يحكمون أقاليم تحتوي في باطن أرضها على ثلث الاحتياطيات

المؤكدة من النفط في العالم . . . ليس هنالك من شعب حتى ولا الصين الشعبية، له صورة سلبية في ضمير الأميركيين بالقدر الذي للعالم الإسلامي)[٢٧].

ومن أهم قوى الضغط الصهيونية في الولايات المتحدة الأمريكية :

أ . اللجنة الإسرائيلية – الأمريكية للشؤون العامة (إيباك) ومهمتها رصد التطورات داخل الكونغرس وأعمال أعضاء الكونغرس جميعاً بهدف زيادة المساعدات الأمريكية الاقتصادية (لإسرائيل) . ومن خلال هذه اللجنة كانت تمارس الضغوطات للاعتراف بالقدس عاصمة (لإسرائيل) .

ب . لجان العمل السياسي ، وتمارس وظيفتها بدعم المرشحين المؤيدين (لإسرائيل) في الانتخابات . وقد ذهبت ٧٤% من تبرعات لجان العمل السياسي المؤيدة للكيان الصهيوني في انتخابات مجلس الشيوخ في عام ١٩٨٢ مثلاً إلى المرشحين المؤيدين للصهاينة .

ج . اللجنة القومية للعمل السياسي وهي من أضخم وأشهر وأكبر لجان العمل السياسي المؤيدة (لإسرائيل) .

د . مؤتمر رؤساء المنظمات اليهودية الأمريكية الكبرى وهو بمثابة الذراع الدبلوماسية في رابطة السياسة الخارجية للمؤسسة اليهودية – الأمريكية الرسمية ، ويستخدم الإسرائيليون المؤتمر قناة للاتصال بالإدارة الأمريكية .

هـ. المعهد اليهودي لشؤون الأمن القومي، الذي أسسته مجموعة من المحللين العسكريين المؤيدين (لإسرائيل) ، وتم تشكيل لجنة رصد البنتاغون فيما يتعلق بالقضايا الاستراتيجية الخاصة بالشرق الأوسط في الأمن القومي[٢٨].

□ التيار الإسلامي ودوره في الصراع العربي ـ الصهيوني :

لعب الإسلام دوراً واضحاً في مراحل الصراع ضد الصهيونية ، ولم تكن المسألة تدخل ضمن طروحات الإسلام السياسي وحركاته التي ظهرت معظمها مع بدايات تشكل الدول العربية ، ووصول ذروتها في نهاية السبعينات وبداية الثمانينيات ، باستثناء حركة

الإخوان المسلمين في مصر حيث كان لها بداية مبكرة على مستوى النشاط المصري، بل وعلى مستوى النشاط الفلسطيني.

وفي مرحلة التمهيد لتنفيذ مقررات مؤتمر بال في سويسرا كانت الدولة العثمانية هي الممثلة الرسمية للإسلام. وقبل أن تسيطر جمعية الاتحاد والترقي على الدولة، كان للعثمانيين مواقف تجاه المشاريع الصهيونية والبريطانية تتمثل في ما يلي:

أ . رفض السلطان عبد المجيد خان (والد عبد الحميد الثاني) المشروع الصهيوني – البريطاني المشترك الذي قدمه وزير خارجية بريطانيا لتهجير اليهود إلى فلسطين عام ١٨٥٠.

ب . رفض السلطان عبد الحميد الثاني السماح لليهود الروس بالهجرة إلى فلسطين بعد فشل تآمرهم على قيصر روسيا الإسكندر الثاني عام ١٨٨١ .

ج . إعادة السلطان العثماني عام ١٨٩٢ لليهود الألمان الذين حاولوا استعمار الساحل الشرقي لخليج العقبة – المويلح ، إلى حيث أتوا .

د . الدور الواضح لعبد الحميد الثاني ورفضه للإغراءات المالية المقدمة له من هرتزل في سبيل السماح لليهود بالهجرة إلى فلسطين[٢٩].

بعد الانقلاب ضد عبد الحميد الثاني من قبل جمعية الاتحاد والترقي عام ١٩٠٨، وانتهاج الانقلابيين سياسة مضادة للفكرة الإسلامية بالتعاون مع اليهود ، سخط الاتجاهان الإسلامي والقومي عليهم وانقسم الإسلاميون إلى اتجاهين ، اتجاه يناصر الدولة العثمانية ،واتجاه يناصر الثورة العربية المتحالفة مع بريطانيا. وكان أصحاب الاتجاه الأول يرون في الدولة العثمانية دولة الخلافة الإسلامية وحامية حمى الإسلامي ، أما أصحاب الاتجاه الثاني فكانوا يرون أن الدولة العثمانية تحت قيادة الاتحاد والترقي قد فقدت مصداقيتها الإسلامية وأنها واقعة تحت النفوذ اليهودي والماسوني المعادي للإسلام والمسلمين[٣٠].

بعد صدور وعد بلفور انعقد مؤتمر وطني فلسطيني في مارس ١٩١٩ أعلن فيه الفلسطينيون رفضهم لوعد بلفور ، ورفضهم للهجرة اليهودية إلى فلسطين . وفي هذه الفترة برز دور الشيخ أمين الحسيني مفتي فلسطين ، الذي شارك في تأسيس النادي

العربي عام ١٩١٨، وكان من أهدافه المطالبة بالوحدة مع سوريا ومكافحة الصهيونية[٣١]. ويتضح البعد الإسلامي للحركة الجماهيرية الفلسطينية في نوع المظاهرات التي كانت تخرج من المساجد باعتبارها مراكز تجمع وتعبئة وانطلاق . وهو ما أعطى انطباعاً عاماً بأهمية المسجد في مواجهة العدو[٣٢]. ومنذ عام ١٩١٧ وحتى عام ١٩٢٩ كان التحرك الإسلامي فردياً وشعبياً ، ولم تظهر فيه حركات إسلامية منظمة ذات منهجية محددة مع وجود التأثير السياسي والاجتماعي للعلماء المسلين وظهور مؤسسات إسلامية من أبرزها المجلس الإسلامي الأعلى برئاسة الحاج أمين الحسيني وجمعية الشبان المسلمين[٣٣].

ويتجلى الدور الإسلامي في العديد من الانتفاضات والثورات والنشاطات الجهادية التي حدثت منذ عام ١٩٢٩ ، (ثورة البراق ١٩٢٩، ثورة الشهيد عز الدين القسام ١٩٣٥ وثورة ١٩٣٦ وثورات ١٩٣٧ ، ١٩٣٨ ، ١٩٣٨ ، ١٩٣٩). وفي هذه الفترة ظهر التحرك الإسلامي المنظم وكان أبرز نماذجه حركة الشيخ عز الدين القسام التي وجهت مسار العمل الفلسطيني من الجهاد السلبي المتمثل بالاجتماع والمذكرات، والعرائض والمؤتمرات إلى الجهاد المسلح المباشر ضد الاستعمار البريطاني والنفوذ اليهودي[٣٤].

الفترة من ١٩٣٩ وحتى ١٩٤٨ شهدت نمو النفوذ اليهودي واتساع المؤامرة الدولية على فلسطين وتولي الأنظمة العربية الواقعة تحت النفوذ الاستعماري لقضية فلسطين مما أدى إلى تهميش الدور الفلسطيني . وكذلك شهدت ظهور حركة الإخوان المسلمين في فلسطين التي أسهمت في مواجهة الخطرين اليهودي والاستعماري البريطاني، رغم محدودية هذا الدور[٣٥].

في مرحلة المواجهة العسكرية المباشرة عام ١٩٤٨ كان لحركة الإخوان المسلمين المصرية دورها الواضح على الساحة الفلسطينية ، وبشكل مغاير للدعم الذي سبق هذه المرحلة . إذ بدأ الإخوان المسلمون ومنذ إعلان التقسيم عام ١٩٤٧ يجسدون الاهتمام بالتحرير متخذين من مقرهم في القدس مركزاً للجهاد، وكذلك حث المسؤولين

على اعتماد الحل العسكري وبذل كل الممكن في علمية التحرير[٣٦]. ويمكن تلخيص دور الإخوان المسلمين بما يلي :

أ . إرسال عدد من دعاة الإخوان المسلمين من مصر إلى فلسطين وشرق الأردن وسوريا ولبنان ، لنشر الدعوة لتأسيس وجود قوي لمواجهة الأعداد .

ب . إرسال عدد من المدربين العسكريين بقيادة محمود لبيب لتدريب الإخوان على السلاح .

ج . إرسال برقية إلى زعماء العرب المجتمعين في عاليه في لبنان (مايو ١٩٤٨) يبين استعداد الحركة لإرسال عشرة آلاف مجاهد للاستشهاد في سبيل الله دفاعاً عن فلسطين .

وباندلاع المعركة كان للإخوان المسلمين إلى جانب الجماعات الجهادية الفلسطينية (كالجهاد المقدس ، والنجادة و الفتوة) دور في المعارك وفي الهجوم على المستعمرات وتقديم العديد من الشهداء، حتى صدور القرار العسكري رقم ٦٤ لعام ١٩٤٨ القاضي بحل جماعة الإخوان ثم اغتيال المرحوم حسن البنا في ١٢ شباط ١٩٤٩ ، واعتقال مجاهدي الإخوان وزجهم في السجون[٣٧].

أما بالنسبة لدور حركة الإخوان المسلمين الفلسطينية التي تأسست عام ١٩٤٣ ، فقد شارك الإخوان بشكل كامل في الجهاد عندما بدأت الحرب ، إلا أن حداثة إنشاء تنظيمهم ، وعدم نموه واستقراره بشكل مناسب وقوي قد جعل مشاركتهم محصورة ضمن قدراتهم المحدودة وإمكاناتهم المتواضعة . كمان أن عظم المؤامرة الدولية على فلسطين، ودخول الجيوش العربية وتوليها القتال وتجريدها لأبناء فلسطين من الأسلحة قد أضعف الدور الذي كان يمكن أن يقوموا به[٣٨]. علماً بأنه، وبعد إعلان الهدنة، كان ضباط ومنتسبو الجيش العراقي من أصحاب التوجهات الإسلامية ، يغادرون ثكناتهم العسكرية ويرتدون الملابس المدنية ويقومون بهجمات على معسكرات اليهود ومستعمراتهم ، يقودهم في ذلك الضابط المعروف رفعت الحاج سري . ولم يتوقفوا عن تلك المغامرات الجريئة التي كانت ستودي بمستقبلهم وبحياتهم إلا بعد انسحاب الجيش العراقي .

- **حركات الإسلام السياسي ودورها في الصراع:**

سمتان أساسيتان تميزان فترة نهاية السبعينات فصاعداً أولاهما بروز حركات الإسلام السياسي عاملاً مؤثر في النشاط السياسي في الشرق الأوسط ، وثانيهما التشديد على خطورة هذه الحركات من جانب الغرب والتهويل من أثارها والوقوف موقفاً سلبياً منها متمثلاً في نعتها بالإرهاب والتطرف .

والمراد بحركات الإسلام السياسي هي تلك الحركات التي تصرح بهدف معلن هو السعي بشتى الوسائل لإقامة الدولة الإسلامية وتطبيق الشريعة الإسلامية، والتي تمتلك بنية تنظيمية علنية أو سرية وتحظى بدعم جماهيري يختلف من قطر إلى آخر ومن ناحية لأخرى من حيث الحجم والفاعلية، لكنه صالح لأن يتخذ أساساً لإقامة النظام السياسي الإسلامي المنشود[٣٩]. أوهي الحركات التي تحمل في أهدافها وطموحاتها إقامة الدولة الإسلامية بغض النظر عن الاختلافات الكامنة ليس فقط على الصعيد الإقليمي وإنما على صعيد الدولة الواحدة أيضاً[٤٠]. ووراء تنامي حركات الإسلام السياسي أسباب عديدة، لكنها تتحدد بالأساس في أزمة السلطة وأزمة المجتمع في الوطن العربي. فما بين عام ١٩٦٤ وعام ١٩٧٤ تطورت أزمة السلطة في الوطن العربي التي فشلت تجاربها الوحدوية وفشلت برامجها التنموية ومناهجها السياسية وخسرت حروباً في مواجهة الكيان الصهيوني، تطورت تلك الأزمة من أزمة سلطة إلى بدايات أزمة مجتمع، تفاقمت في الثمانينات. فلقد خلا الوطن العربي تقريباً من السياسة ومن العمل السياسي و من أجواء الحرية.

واستمر تآكل مشروعية الأنظمة التي تخلت عن دعاويها الأيدلوجية واتجهت لفردانية الحاكم وسط بؤس الريف وترييف المدينة وذل مديونيات البنك الدولي والخنوع للجبروت الإسرائيلي والاستتباع للولايات المتحدة [٤١].

والرؤية الأيدلوجية للحركات الإسلامية تتنوع وتتعدد لكن الشيء المشترك بينهما هو ما يلي :

أ . اعتبار الإسلام طريقة شاملة للحياة الشخصية والدولة والمجتمع .

ب. اعتبار التغريب وتبنى العلمانية الغربية سبباً للآفات السياسية والعسكرية والاقتصادية والاجتماعية للمجتمع المسلم .

ج . إن استعادة السلطة يتطلب العودة إلى الصراط الإسلامي المستقيم وهو البديل لكل من الرأسمالية والماركسية .

د . إن إعادة تطبيق الشريعة الإسلامية سوف يؤدي إلى نشوء مجتمع أكثر أخلاقية وعدالة.

هـ. من واجب جميع المسلمين التضحية والجهاد في سبيل الله[٤٢].

ورغم تنوع هذه الحركات الإسلامية وتعدده، ورغم تباين مواقعها وسياساتها فإنها جميعاً تقابل بنظرة عامة من الغرب والكيان الصهيوني، نظرة قائمة على اعتبارها حركات إرهابية ومتطرفة وتهدد الاستقرار أينما وجدت، وأنها تتعارض أساساً مع القيم الديمقراطية. لا بل إن هذا الموقف ظل حتى عندما كانت حركة إسلامية تفوز بانتخابات ديمقراطية، حيث كان قادة الغرب وساسته يواجهون ذلك بمقاومة عنيفة وتحريض شديد[٤٣].

من ناحية أخرى فلقد نجحت الدعاية الصهيونية ومن يدعمها في الغرب ليس فقط في ترسيخ النظرة المشوهة للإسلام ، وإنما وصل الأمر إلى إرعاب المجتمعات الغربية من كل ما هو مسلم حتى ظهر في الغرب مصطلح Islamopho bia ، أو الخوف من الإسلام ، وهذا يعني بالنتيجة الخوف والرعب والكره للإسلام والمسلمين[٤٤].

وأهم ملامح ظاهرة الخوف من الإسلام تتمثل بما يلي :

أ . النظر للإسلام وإلى الثقافات الإسلامية عموماً على أنه عقيدة جامدة تسير على وتيرة واحدة لا تغيير فيها ولا تجديد فيها ولا تنوع، ولا تقبل التعدد واختلاف الآراء.

ب . الإدعاء بأن الثقافة الإسلامية تختلف كلياً عن الثقافات الأخرى وأن المسلمين متشددون ويتقيدون بحرفية النصوص الدينية.

ج . تصور الإسلام بأنه خطر يهدد العالم على غرار النازية والشيوعية ، وبأن الإسلام شر يحدق بالعالم وسيؤدي إلى صدام ما بين الحضارات ، وأن الإسلام يزحف تدريجياً ليستعمر أوروبا الوسطى والغربية ، وأن الأصولية الإسلامية أصبحت تشكل أكبر خطر يهدد السلام العالمي(٤٥).

ويلعب الإعلام الغربي دوره السيّئ في تعبئة الرأي العام ضد الإسلام بالدرجة الأساس ، وتصوير الحركات الإسلامية أينما وجدت على أنها تمثل كل العالم الإسلامي بدون أي تفريق ويكون الأمر أكثر تخصيصاً بالعرب المسلمين دون غيرهم . وهكذا فإن العربي في التعريف الأوروبي أصبح يعني إما شيئاً ينتمي إلى منطقة فيها بترول أو أحد الجماعات الإسلامية المتطرفة ، وإما مهاجراً يزاحم الأوروبي على العمل أو السكن(٤٦)، ومن الناحية السياسية فهو إرهابي يسعى إلى قتل كل ما هو غربي أو تدميره. وطالما ظل الرد العربي والإسلامي قاصراً عن توضيح الأمور سيبقى الإسلام مرتبطاً في ذهن الأوروبي بكل معاني العنف والإرهاب، ومن غير أن يجهد نفسه في التعرف على الجوانب الإيجابية في الحضارة الإسلامية(٤٧).

ولم تكن نظرة الحركات الإسلامية، وبخاصة العربية ، بأفضل تجاه الغرب والنموذج الغربي السياسي حيث اعتبرته "هيمنة وتآمر ومادية مجرمة ، وأن الحضارة الغربية كلها صنعها يهود في مؤامرة كبرى وأن الحكام العرب هم صناعة غربية ومن ثم هم صناعة يهودية"(٤٨). وفي الوقت الذي انعدمت فيه الدعاية وحملات التوعية العربية – الإسلامية للغرب ، تكاتفت الجهود الصهيونية مع الجهود الغربية لتحقيق مسألة تشويه الصورة العربية – الإسلامية . وتأتي أهمية الأمر من خلال المحاولة لتشويه القضية الفلسطينية وتصفيتها، وبخاصة بعد أن ظهرت الورقة الإسلامية من جديد وبعد تراجع المد القومي والاشتراكي والعلماني في المنطقة العربية . وبدأ الخطاب الصهيوني السياسي والإعلامي وحتى الأكاديمي يركز على مضمون جديد ملخصّة أن إسرائيل تضطلع الآن وفي المستقبل بواجب دولي في محاربة الأصولية الإسلامية ، وأن العالم الغربي مدعو للتكاتف من أجل دعم (إسرائيل) وتأييدها في أدائها لهذا الواجب نيابة عن العالم بأسره

في الشرق الأوسط[٤٩]. وللتدليل على هذا الموقف الصهيوني هذا نأخذ بعض التصريحات الإسرائيلية. فيقول شمعون بيريز أن الأصولية هي (حركة إسلامية تسعى إلى مناهضة الانفتاح والثقافة الغربية وتعمل على التراجع عن التحديث والعصرية وتدعو إلى استخدام القوة لإقامة جمهورية إسلامية سلطوية قمعية . . . وخطورة وجود سلاح نووي في أيدي متعصبين لا يشكل خطورة على ميدانهم فحسب، بل أنه يمتد ليشمل العالم بأسره . . . إن الخلط القاتل بين الأصولية الدينية والصواريخ والأسلحة غير التقليدية إنما يهدد السلام العالمي)[٥٠]. وحاول إسحق رابين رئيس وزراء الكيان الصهيوني الأسبق مراراً إقناع الولايات المتحدة بأن إيران تشكل خطراً مباشراً على المصالح الأمريكية ليس فقط من خلال تهديد الإمدادات التنظيمية بل وزعزعة الاستقرار الإقليمي في المنطقة برمتها ، وبخاصة فيما يتعلق (بإسرائيل)[٥١]. ويصف حاييم هرتزوغ الأصولية بأنها الخطر الأكبر على العالم الحر ويطالب كل دول المنطقة بتوحيد جهودها لمكافحة ظواهر التطرف الإسلامي من أجل إحلال السلام في الشرق الأوسط[٥٢].

وتتطابق الرؤية الأمريكية مع هذا الوصف فنجد أن دانفورت كويل ، نائب الرئيس الأمريكي في عام ١٩٩٠ يقول (لا يزال العالم مكاناً خطراً ، لقد أخذتنا الدهشة في هذا القرن المنصرم ببروز الشيوعية والنازية والأصولية الإسلامية)[٥٣].

وتطابق الرؤية هذا ينطلق من حرص واحد على تحقيق أمن (إسرائيل) ، الأمن الذي عملت الولايات المتحدة والعالم الغربي على صيانته عبر إضعاف المد القومي في المنطقة في السابق ، ومحاولتها إضعاف المد الإسلامي في الوقت الحاضر .

ولهذا فإن الأهداف الأساسية للخطاب الصهيوني المعادي للإسلام هو إقناع العرب أولاً بمناصرة (إسرائيل) (لصد الأعمال الإرهابية) ، التي لا تستهدف عملية السلم فقط في (إسرائيل) بل السلام على العالم أجمع ، وعليه لا بد أن يقف العالم بأجمعه في وجهه، حسب الدعاوي الإسرائيلية[٥٤]. ويتمثل التطابق في وجهتي النظر الأمريكية – الإسرائيلية في رغبتهما وعملهما على إفشال كل ما له علاقة بالإسلام مثل المقاومة الإسلامية في لبنان أو ثورة إسلامية في مصر أو فوز إسلامي في الأردن والجزائر أو أية محاولة

لصعود التيار الإسلامي إلى دفة الحكم أو التأثير عليه في أي منطقة من المناطق العربية ، إن ذلك من وجهة نظرهما (سيقضي على كل ما عملنا على تحقيقه عبر سياسات الضرب والتهديد)[٥٥].

وعن كيفية مواجهة حركات الإسلام السياسي فإن هناك عدة أراء حول الإستراتيجية الأمريكية الواجب اتباعها. وتكون مثلاً بأن تعمد الولايات المتحدة على (حصر علاقاتها مع الأنظمة الأصولية والراديكالية المتطرفة بالتعاون التكتيكي بشكل لا يتجاوز متطلبات الوقت الراهن . . يجب علينا أن لا نقاطعهم تماماً وأنه يجب علينا في الوقت نفسه أن لا نقوي دعائم حكمهم)[٥٦]. ويقترح آخرون بأن لا تعارض أمريكا من حيث المبدأ تطبيق الشريعة الإسلامية أو مشاركة النشطين الإسلاميين في الحكم . . ويجب متابعة السياسة الأمريكية في إطار سياسة تعترف بالفروق الإيديولوجية بين الغرب والإسلام[٥٧]. وتضيف وجهة النظر هذه القول بأن مصالح الولايات المتحدة سوف تحترم بشكل أفضل إذا تبنت سياسات تتكون من تعاون انتقائي وحذر مع حكومات مسلمة صديقة وسياسة عامة واضحة ثابتة تتعلق بحقوق المواطنين في تقرير مستقبلهم بالوسائل الديمقراطية[٥٨].

وحدد أحد الباحثين عدداً من الأسس التي يجب أن تقوم عليها الإستراتيجية الأمريكية تجاه الإسلام وحركاته وهي :

أ . أن تتفهم الولايات المتحدة حاجة دول الشرق الأوسط لاستخدام العنف ضد تيارات الإسلام السياسي لأن تلك التيارات تعادي القيم الغربية والمصالح الأمريكية .

ب. إن قوى التطرف تزدهر في ظل ظروف اقتصادية صعبة كتلك التي تمر بها بعض بلدان الشرق الأوسط من البطالة إلى الفقر ، ومن واجب الولايات المتحدة أن تقوم بمساعدة حكومات تلك الدول كي تخفف من حدة تلك المشاكل .

ج. أن تقدم شيئاً أكثر أهمية من الدعم الاقتصادي وهو الرؤية المستقبلية البديلة للرؤية الإسلامية ، وذلك عن طريق نشر القيم اللبرالية والتأكيد على مزاياها ومزايا اقتصاديات السوق الحر[٥٩].

وفي الوقت الذي تمثل فيه الآراء المذكورة أعلاه وجهة النظر الفكرية فإن السياسة العملية للحكومات والإدارات الأمريكية المتعاقبة تختلف جوهرياً عنها حيث أنها تنهج نحو المواجهة واستعمال كل السبل والوسائل من أجل تحطيم الحركات الإسلامية . وهذه السياسة غالباً ما تكون سياسة مواجهة عن طريق ثالث كالكيان الصهيوني ، كل ذلك يتم تحت ذريعة احتواء التطرف والراديكالية أولاً، والخوف من التفاعل بين الإسلام والديمقراطية ثانياً[٦٠].

إن الخوف من الانتصار الديمقراطي للإسلام (مثل الجزائر ١٩٩٢) يشكل الأساس الذي تقوم عليه محاولات الولايات المتحدة للحفاظ على الأمر الواقع في المنطقة، على غرار الموقف الأمريكي من تنامي النفوذ السياسي للحركات اليسارية في الدول النامية إبان فترة الحرب الباردة[٦١]. وحقيقة هذا الخوف بحد ذاته هو اعتراف بأن الأصوليين الموسومين بالتطرف بإمكانهم انتهاج الديمقراطية الأمر الذي يترتب عليه بطلان الدعاوي الغربية، (ففي ظل حركة التحول الديمقراطي في الشرق الأوسط والنجاحات الانتخابية للحركات الإسلامية تثار مسألة التوافق ما بين الإسلام والديمقراطية)[٦٢]. والصمت الذي لاذت به الولايات المتحدة والغرب حيال القمع الذي تعرضت له الجماعات الإسلامية يتعارض مع مقولة أن الإسلام لا يتفق والديمقراطية. لأن القمع جاء من حكومات مواكبة للولايات المتحدة وللغرب ولم يكن قمعاً من الإسلاميين للعلمانيين[٦٣]. ولهذا بدأ البعض يطرح فكرة أن التحدي أو التهديد الذي يواجه الولايات المتحدة والغرب ليس الإسلام وإنما الفاشستية، بدليل ما يحدث في البوسنة من جرائم . ولئن كانت أوروبا ديمقراطية فإن ذلك لا يعني وجود صمام أمان ضد الفاشستية، بل يمكن كما حدث في صربيا وما يحدث في فلسطين ، أن تؤدي الديمقراطية إلى وصول أنظمة فاشستية إلى الحكم[٦٤].

الخاتمة :

إن الحديث عن دور الصراع العربي – الصهيوني في تشكيل العلاقة بين الغرب والعالم الإسلامي لا بد وأن يثير سؤالين مهمين. الأول هو هل أن موقف الغرب التاريخي

المعادي للإسلام والحاقد على التوسع العربي – الإسلامي هو الذي كان الأساس في تشكيل العلاقة بين الغرب والعالم العربي – الإسلامي؟ وهو الذي دفع الإدارات الغربية إلى التفكير وفي وقت مبكر بإنشاء كيان لليهود فوق أرض فلسطين ، ومن ثم منح هذه الفكرة الشرعية ودفعها إلى عالم الوجود ومساندتها حتى أصبحت (دولة) في قلب الوطن العربي . أم أن الصهيونية (وهذا هو السؤال الثاني) ومؤسسيها من اليهود هم الذين نجحوا عبر عملهم المثابر وقياداتهم المقتدرة على التغلغل بين أوساط الساسة الأوروبيين (وبخاصة البريطانيين) وإقناعهم والغرب بإنشاء (دولة) لهم فوق أرض فلسطين يمكن أن تخدم مصالحهم أولاً وتبقي الأمة العربية ممزقة إلى ما لا نهاية ثانياً ؟. والإجابة عن هذين السؤالين أو أية أسئلة مشابهة يمكن أن توضح لنا الأسس التي شكلت العلاقة بين الغرب والعالم العربي – الإسلامي .

إن التاريخ يخبرنا بأنه في الوقت الذي كان فيه قادة الغرب بعامة وبريطانيا بخاصة يعملون منذ وقت مبكر على تمزيق الدولة الإسلامية باعتبارها حامية الإسلام ومقدساته، كان قادة الحركة الصهيونية يعملون من أجل الحصول على بقعة من العالم لإنشاء كيان لهم. والتقت مصلحة الطرفين عند إقامة هذا الكيان فوق أرض فلسطين بعد أن كان الصهاينة يحلمون في أوغندا وهندوراس. وهكذا أصبح كل طرف يدعم الآخر ويحرضه على العرب والمسلمين من أجل تمرير كل المشاريع المفتتة للوطن العربي والعالم الإسلامي ، وتشويه صورتيهما عالمياً .

لقد كان التيار الإسلامي التيار الأول الذي هب لمقاومة الصهاينة المحتلين وفضح علاقاتهم وتواطئهم مع بريطانيا منذ عشرينيات هذا القرن. إلا أن هذه المقاومة الباسلة فشلت في ذلك الوقت بسبب ضعف الحركات الإسلامية وعدم تنظيمها وقلة مواردها وضعف تسليحها. ولما فشلت الجيوش العربية في استعادة فلسطين أو تحريرها وفي منع نكبة التقسيم، وتبعهم في ذلك التيار القومي، والذي أخذ هو نصيبه من التشويه والهجوم العاتي من الغرب والولايات المتحدة (كما حدث للرئيس الراحل جمال عبد الناصر)، وبعد أن تعرضت الأمة العربية لهزات عنيفة، بزغ التيار الإسلامي من جديد وبخاصة في فلسطين. لقد كان واضحاً أن هذا التيار ، الذي يملأ صدور مؤيديه ومريديه بالإيمان

والإصرار على محاربة الصهيونية وبكل الوسائل، هو الأكثر تصميماً على مواجهة العدو الصهيوني. وإذا كان الإيمان بالتوراة والأساطير القديمة قد مكن الصهيونية من تحقيق النجاح تلو النجاح فلماذا لا يكون الإسلام بواقعه وتاريخه العظيم بالقادر هو الآخر على النجاح في مواجهة أعدائه من الصهاينة؟ وفي الحقيقة فإن الفشل في كسر شوكة هذا التيار واندفاعه هو الأمر الذي جعل الصهاينة وحلفاءها في الإدارتين البريطانية والأمريكية يركزون جهودهم على مقاومته وتشويه صورته وإنهائه بشتى الوسائل . ولا عجب والحالة هذه أن تقبل (إسرائيل) بالتسوية بعد ثورة الحجارة والانتفاضة. ولا عجت أن ترضخ (إسرائيل) لبعض التنازلات بعد أن ثبت لها بأنها غير قادرة على مواجهة هذا التيار بمفردها، وبعد أن فشلت في ترويضه . كما أن تجربة الحروب الصليبية وانتصارات صلاح الدين الأيوبي لا بد وأن تبقى في ذاكرة الطرفين العربي – الإسلامي والصهيوني مفخرة للأول ومقلقة للثاني .

ومن ناحية أخرى فإن الغرب والولايات المتحدة لا يزالون متمسكين بالكيان الصهيوني ويرون أن الخطر عليه هو في العرب و المسلمين . ويقلقهم امتداد هذا الوطن (العربي – الإسلامي) وأن كل محاولاتهم لتطويق هذا العالم والالتفاف على أجنحته وإداراته تبقى عقيمة ولم تنجح في ترويض شعوبه.

وأخيراً فإن الإنصاف يدعونا إلى الإشارة إلى أن الغرب والولايات المتحدة ليس كله كتلة واحدة مناهضة للعرب والمسلمين . فكثير من الشواهد لا تزال تؤكد أن في الغرب تيارات مختلفة ، وأن بعضها بدأ يعي أهمية الإسلام والمسلمين للحضارة العالمية ويسعى للتقارب معهم والانفتاح عليهم، وبخاصة بعد أن أصبح التيار الإسلامي تياراً واضحاً ومؤثراً في دولهم. وعلى الرغم من أن الإدارات الأوروبية والأمريكية لا تزال تتصرف بطريقة تظهر تعاطفها مع الكيان الصهيوني (كتعيين رئيسة لجنة الصداقة مع الشعب اليهودي مستشارة لوزير خارجية بريطانيا ، واختيار شخصيات يهودية مناصرة (لإسرائيل) لتحتل مراكز وزارية في الولايات المتحدة مثل أولبرايت وكوهين) إلا أن هناك في المقابل شواهد تدلل على محاولات التقرب من الإسلام والمسلمين . ففي فرنسا مثلاً قاد رجل ديني فرنسي (لولون ، الذي ولد في تونس) مشروع حوار إسلامي –

كاثوليكي (مسيحي) استمر لمدة خمس سنوات وتمخض عنه في بداية هذا الشهر (نوفمبر ١٩٩٨) وثيقة صدرت في مدينة (لورد) الفرنسية المقدسة وعن مجلس الأساقفة الكاثوليك تؤكد على ضرورة التقارب مع المسلمين وفتح حوار معهم وتفهم قضاياهم والسماح لهم، بل ومساعدتهم في بناء جوامعهم وممارسة نشاطاتهم الدينية. ولعب وزير الداخلية الفرنسي (جان بير شوفينمان) دوراً مهماً وكبيراً في هذه السياسة الجديدة. كما أن المحادثات التي جرت في الفترة نفسها تقريباً بين لجنة تمثل المؤتمر الإسلامي وممثلين عن الأمم المتحدة في جنيف بمناسبة مرور خمسين عاماً على إعلان حقوق الإنسان العالمي، هي دليل آخر على التحول الطفيف في المواقف، هذا التحول الذي يجب استثماره. كما أن زيادة نسبة المسلمين في الدول الأوروبية والولايات المتحدة هو الآخر عامل إيجابي يجب السعي على تنظيمه والاستفادة منه .

الهوامش :

١) ماجد كيالي ، الصراع العربي في بيئة انتقالية ، مجلة شؤون الأوسط ، مركز الدراسات الاستراتيجية والبحوث والتوثيق ، العدد ٥٣، السنة ١٩٩٦، ص١٥ .

٢) د. خلدون ناجي معروف، التفسير الصهيوني للصراع العربي – الصهيوني، مجلة العلوم السياسية، كلية العلوم السياسية، بغداد، العدد (١)، السنة ١٩٨٨، ص١٤.

٣) المصدر السابق نفسه، ص١٥ .

٤) المصدر السابق نفسه، ص١٦ .

٥) مجلة قضايا دولية ، القضية الفلسطينية من منظور إنساني–إسلامي، إسلام آباد، الباكستان ، العدد ٢٦١/ ١٩٩٥/ ص٩٤ .

٦) المصدر السابق نفسه، ص٩٥ .

٧) المصدر السابق نفسه، ص٩٥ .

٨) د. خلدون ناجي معروف ، مصدر سابق ، ص١٨ .

٩) محمود حيدر، الأمن بين إسرائيل والفلسطينيين – محنة الخوف من السلام ، مجلة شؤون الأوسط ، مركز الدراسات الاستراتيجية والبحوث والتوثيق ، العدد ٢٩ ، ١٩٩٤، ص٢٩ .

١٠) المصدر السابق نفسه، ص٣١ .

١١) د. عبد العليم محمد ، العرب والغرب ، نحو حوار إيجابي ، كراسات استراتيجية، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية ، الأهرام ، السنة الخامسة، ٣٦، ١٩٩٥، ص٦.

١٢) د. محمد عابد الجابري ، مسألة الهوية : العروبة والإسلام والغرب ، مركز دراسات الوحدة العربية ، سلسلة الثقافة القومية (٢٧) قضايا الفكر العربي/٣بيروت/١٩٩٥، ص١٣١ .

١٣) المصدر السابق نفسه، ص١٣٨ .

١٤) عقيل هاشم وسعيد العظم ، إسرائيل في أوروبا الغربية ، دراسات فلسطينية ، ٢٣/مركز الأبحاث/ منظمة التحرير الفلسطينية ، ١٩٦٧، ص٦٨ .

١٥) المصدر السابق نفسه، ص٦٩ .

١٦) د. عبد القادر طافش ، صورة الإسلام في الإعلام الغربي ، مجلة قضايا دولية ، معهد الدراسات السياسية والاستراتيجية ، إسلام أباد ، الباكستان ، العدد ٢١٦ ، السنة الخامسة ، ١٩٩٤، ص٢٦ .

١٧) د.عبد الوهاب الكيالي ، الجذور التاريخية للتحالف الصهيوني الإمبريالي ، في المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، الصهيونية والعنصرية ، المجلد الثاني ، بيروت ط ، ١٩٧٧، ص٢١ .

١٨) انجلينا الحلو ، عوامل تكوين إسرائيل السياسية والعسكرية والاقتصادية ، دراسات فلسطينية، (١٦) ، مركز الأبحاث ، منظمة التحرير الفلسطينية ، ١٩٦٧، ص٢٢.

١٩) في حديث لأحد قادة المؤسسات الإسلامية في السويد أخبرني رداً على سؤالي فيما إذا كان هو وغيره من المسلمين يتعرضون للمضايقة من المؤسسات الرسمية أو الشعبية، بأنه على العكس من ذلك فإن الدولة السويدية تشجعهم وتنفذ كل مطالبهم المتعلقة بزيادة نشاطهم الاجتماعي والسبب ، وكما ذكره المسؤول السويدي أن الدولة السويدية قد لاحظت أن المنطقة التي يفتح فيها مركز إسلامي أو جمعية إسلامية تتناقص فيها معدلات الجريمة ومعدلات العنف الناتج عن السُكر وتعاطي المخدرات .

٢٠) مجلة قضايا دولية ، معهد الدراسات السياسية والاستراتيجية ، الباكستان ، العدد ٢٦١ ، السنة ١٩٩٥ ، ص ٤٧ .

٢١) عبد الله التل ، خطر اليهودية العالمية على الإسلام والمسيحية ، دار القلم ، ط٢ ، ١٩٦٥، ص ٣٧٢ .

٢٢) مجلة قضايا دولية ، العدد ٢٦١ .

٢٣) معهد البحوث والدراسات العربية – المجتمع الدولي والقضية الفلسطينية ، دار الهلال ١٩٩٣، ص٢٠٧ .

٢٤) المصدر السابق نفسه، ص٢٢٥ .

٢٥) المصدر السابق نفسه، ص٢٠٤ .

٢٦) أيد كلنتون حوالي ٨٠% من جملة الناخبين اليهود ، و٦٠% من الأموال غير المؤسسية التي أنفقت على الحملة الانتخابية كانت من تبرعات يهود أميركان . أنظر في هذا المجال : د.شبلي تلحمي ، السياسة الأمريكية في الشرق الأوسط والصراع العربي – الصهيوني ، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية ، ط١ ، ١٩٩٧ ، ص١١١ .

٢٧) معهد البحوث والدراسات العربية ، مصدر سابق، ص٢٠٦ .

٢٨) ريتشار نيكسون ، الفرصة السانحة ، الترجمة العربية ص١٨٧ .

٢٩) د. خليل ابراهيم ، الأهداف والأساليب الاقتصادية للصهيونية وإمكانات مواجهتها ، في كتاب الصهيونية–الواقع والمواجهة ، ندوة فكرية ، المجمع العلمي العراقي ، بغداد ، ١٩٩٨، ص٣٨ .

٣٠) زياد أبو غنيمة ، موقف التيار الإسلامي ودوره في مراحل الصراع ضد الصهيونية ، مجلة قضايا دولية ، معهد الدراسات السياسية والاستراتيجية، إسلام آباد/العدد٢٦١، ١٩٩٥، ص٧٨.

٣١) محسن محمد صالح ، التيار الإسلامي في فلسطين وأثره في حركة الجهاد (١٩١٧ – ١٩٤٨) مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع، الكويت، ١٩٨٨، ص٧٣ .

٣٢) المصدر السابق نفسه، ص١٠٦ .

٣٣) المصدر السابق نفسه، ص٢٠٤ .

٣٤) المصدر السابق نفسه، ص٤٨٣ .

٣٥) زياد أبو غنيمة ، مصدر سابق ، ص٧٨ .

٣٦) محسن محمد صالح ، مصدر سابق ، ص٤٨٣ –٩٨٤ .

٣٧) ربعي المدهون، الحركة الإسلامية في فلسطين (١٩٢٨–١٩٨٧) مجلة شؤون فلسطينية، مركز الأبحاث، منظمة التحرير الفلسطينية،العدد ١٨٧،١٩٨٨، ص١٦.

٣٨) زياد أبو غنيمة، مصدر سابق، ص٨٢. وربعي المدهون، مصدر سابق ، ص١٧.

٣٩) محسن محمد صالح ، مصدر سابق، ص٤٦٤ .

٤٠) رضوان السيد، الإسلام السياسي والأنظمة العربية ، مجلة شؤون الأوسط ، مركز الدراسات الاستراتيجية والبحوث والتوثيق ، لبنان ، العدد٤١ ، ١٩٩٥ ، ص٨٥ .

٤١) كالا كو نينجمام ، ود. حسن عبدالله جوهر ، الأصولية الإسلامية ونظرية الدومينو، مجلة السياسة الدولية ، القاهرة ، العدد ١٢٥ ، ١٩٩٦، ص١٠ .

٤٢) رضوان السيد ، مصدر سابق ، ص٩٠، وكذلك د.محمد عابد الجابري ، الجماعات الإسلامية المعاصرة في المملكة المغربية ، مجلة اليقظة العربية ، مطابع روز اليوسف ، القاهرة ، العدد ٢٧ ١٩٨٥ ، ص٣٥ .

٤٣) فيبي مارو وليم ، امتطاء النمر ، ترجمة عبدالله جمعة الحاج ، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية ، ١٩٩٦ ، ص٢٣٤ .

٤٤) مثل ما حدث في الجزائر في عام ١٩٩٤ ، فعندما ظهر أن الحركات الإسلامية قد فازت بالانتخابات ثار الغرب وهدد بأن تحول الجزائر إلى حكومة إسلامية فيه تهديد كبير للغرب وأخذوا يذرفون دموع التماسيح على الديمقراطية بعد أن تم إفشال التجربة الديمقراطية وبعد أن نجحوا في تأليب الجيش الجزائري على الحركات الإسلامية وعلى الانتخابات .

٤٥) المنتدى، (منتدى الفكر العربي–عمان) متابعات فكرية، العدد ١٤٠/أيار ١٩٩٧، ص٨.

٤٦) المصدر السابق نفسه، ص٩ .

٤٧) د.محمد عابد الجابري، مسألة اليهود–العروبة والإسلام والغرب، مصدر سابق، ص٨.

٤٨) إحدى الصور المشوهة للإسلام ما نشر في مجلة التايم الأمريكية وعلى غلاف عددها المؤرخ ١٩٩٢/٦/١٥ ، حيث ظهرت صورة مأذنة مسجد بجانبها بندقية رشاشة في مثل حجمها ، وفي أسفل الغلاف تحت البندقية مباشرة العبارة التالية (إسلام... هل ينبغي للعالم أن يخاف ؟).

٤٩) رضوان السيد ، مصدر سابق ، ص٨٩ .

٥٠) خالد الحروب، الإسلاميون في فلسطين، دار البشير للنشر والتوزيع، عمان، ص١٣٩.

٥١) شمعون بيريز ، الشرق الأوسط الجديد ، ترجمة محمد علي عبد الحافظ ، الشركة الأهلية للنشر والتوزيع ، الأردن ، عمان ، ١٩٩٤ ص٣٦-٣٧ .

٥٢) كارلا كو نينجهام ، مصدر سابق ، ص ١٦ .

٥٣) خالد الحروب ، مصدر سابق ، ص١٣٩ .

٥٤) فيبي مارو وليم ، مصدر سابق ، ص٢٤٩ .

٥٥) خالد الحروب ، مصدر سابق ، ص١٤٧ .

٥٦) طلال عتريس ، الأصولية والتسوية ، مجلة شؤون الأوسط ، مركز الدراسات الاستراتيجية والبحوث والتوثيق ، العدد ٢٩، ١٩٩٤ ، ص٢٤ .

٥٧) نيكسون ، مصدر سابق ، ص ١٩٠ .

٥٨) فيبي مارو وليم ، مصدر سابق ، ص٢٥٠ .

٥٩) نفس المصدر السابق ، ص ٢٥٤ .

٦٠) مجلة قضايا دولية/تحديات المصالح الأمريكية في الشرق الأوسط، معهد الدراسات السياسية والاستراتيجية، إسلام أباد، العدد ٢٠٠/٢٢١/١٩٩٤ ، ص٣٥.

٦١) كارلا كو نينجهام ، مصدر سابق ، ص١٢ .

٦٢) المصدر السابق نفسه، ص١٣ .

٦٣) فيبي مارو وليم ، مصدر سابق ، ص٢٤٦ .

٦٤) د. شبلي تلحمي ، مصدر سابق ، ص١٠ .

THE PLACE OF THE ISLAMIC REVIVAL IN THE WESTERNREPRESENTATION OF THE ARAB-ISRAELI CONFLICT

Dr. François BURGAT [*]

AN ANALOGICAL CONSTRUCTION OF "THE THREE FUNDAMENTALISMS" FUELS AN EMOTIONAL DETRACTION OF THE ISLAMIC ACTORS

Islamic movements as political actors are a major component of the dominant western representation of the Arab-Israeli conflict. The (French and Western) dominant analogical construction of " three fundamentalisms" (Christian, Jew and Muslim) often fuels an " over-ideologization " of the reading of the conflict as well as that of most internal political dynamics in the region.

- Islamic actors are only apprehended in the frame of a sweeping denunciation of "all fundamentalisms " allowing Western opinion to refuse acknowledging the " plain " nationalist dimension of the Palestinian demands whenever it is expressed in the Islamic idioms. Speaking out in an undifferentiated way against " fundamentalisms" conceals the refusal to take into account claims and resistances far more legitimate than their reading through a religious lens may suggest. Used for the three monoteistic religions, this constructed analogy masks the major impact of the conflictual imbalance between the " Judeo-Christian " North and the " Muslim " South and the various domination effects that result of it. It also hides the structural differences between the political settings of the "Muslim", "Christian " and " Jewish " protagonists ; it thereby masks the whole secular dimension of an " islamist " mobilization that is too quickly locked up in its sole religious dimension while it actually serves to carry more widely cultural but also political (nationalist or even democratic) claims ; The so called " competition between the two (Jewish and Muslim) fundamentalism is thus put forward to " explain " the failures of the Israeli-Palestinian peace protest, at the expense of the essential political factor that is ....the continuation of the military occupation of one side by the other ". Thus the rise of the "fundamentalist danger" remains the only factor used to explain the Algerian civil war, at the expense of any other

[*] **Director of the French Center for Yemeni Studies in Sanaa (Yemen).**

secular explanation to the origin of violence and to the means to put an end to it. The "competition between the two fundamentalism", both the Jewish and the Muslim one, is still put forth to "explain" the failures of the Israeli-Palestinian peace process, at the expense of the essential political factor that is... the continuation of the military occupation of one side by the other. The near similarity in the means of action between these two "extremes" thus allows to elude the question of their respective causes. In Algiers, it allows at best to put in the same category instigators and victims of a military coup and of the large-scale repression and manipulation of information that followed, and at worst to purely and simply invert the blame.The Islamist generation, which's scope of activities is much wider than violence, plays a role within the internal (Arab) and regional (Israeli-Arab conflict) order that is not only larger but also very different from that of the "re-Christianization" or "re-Judaization" movements. It does so in national and regional settings that are very different from those of the actors of the North, differences which are denied by the "three fundamentalisms". The common factor among the political contexts where islamists are found is the absence of any possibility for political elite change by institutional means or even only for serious parliamentary participation; also, the islamists are part of a geopolitical block that, within the "new order" at the regional and world level is on the losing side; on the opposite, "new born Christians" and other Jewish Orthodox "men in black" are active within democratic and liberal political systems, and at the regional and world level are on the "winning side". After closer examination, it is not surprising to observe that today most of the Mediterranean State leaders are brandishing the "fundamentalist threat". The outlawing of those who - in every Arab country as well as in the regional or world political order - are often on the front line of protest movements serves as a means to reduce to the emotional and irrational realm all oppositions and resistances, as legitimate as they may be, to those wielding power in the national, regional, and international political order. If you're the Arab leader of a military junta that has mastered the art of manipulation through terror, you may present yourself as a "bulwark against fundamentalism". You will thereby immediately gain the unbounded trust of international financial institutions, and you will be able to fill your jails and your ballot boxes and to run down durably any alternative to your own autocratic rule, even if it is made up of a very wide front including secular forces, in the way of the Algerian signatories to the Treaty of Rome. If you can make your opponent appear as a fundamentalist", and if you're an Israeli, you will be able to delegitimize the large number of Palestinians disappointed with the Oslo Agreement (٦) and to further strenghten your arrogant military and media supremacy.

Finally, if you're a Western (i.e. French) "republican" leader or thinking of becoming one, you know that, as the present and future National Front supporters

are there to periodically remind you, using the "fundamentalist threat" can turn your fellow citizens' distress in the face of (the general powerlessness regarding) the economic crisis into valuable electoral gains. We are here definitely far from a universal "return of God".

III THE SHARM AL SHEIKH SYNDROM : THE "EMOTIONAL" DETRACTION OF POLITICAL ISLAM IS ALSO THE RESULT OF A NORTH-SOUTH STATES MEN COOPERATION

In Western public opinion the first reason for " automatical " and emotional detraction of the role of islamist movements stems from fears intensified by a long conflictual history - At times, Arabs regimes themselves will amplify this dangerous reaction whenever it serves their interest. The difficulty of rationnaly assessing the role of the Islamic movements thus stems partly from the joint (media and political) battle that the southern as well as the northern State leaders (The Arab regimes as well as the Israeli leadership and its western supporters) are waging against this new generation of their protesters.

At Sharm al Cheikh in March ١٩٩٦, under the label of " the struggle against terrorism ", the Arab, Israeli and Western political establishments, uniting their discourses to denounce the last (islamist) generation of their common opponents, have institutionalized this new brand of North-South cooperation. In a very significant way, the most media-covered Algerian proponent of "eradication" had come a few days earlier to Israel sending out a "call to the free world" to "fight" the sole enemy of the day : terrorism, a term referring at once to : -all forms of armed resistance to the repressive campaign launched in Algeria in January ١٩٩٢ against the party that won the ١٩٩٠ and ١٩٩١ elections; -those from the Palestinian resistance movement who used violence to counter the Israeli occupier's use of violence against the population of the (more than ever) occupied territories.

The Sharm-el-Cheikh meeting has somehow cristallized a very reductionist view which tends to put the blame for political tensions on the (Islamic) "vocabulary " of the new generation of opponents (to both the Arab leadership and the American-Israeli new " international order ") mainly to avoid taking their demands into consideration.

الغرب والصراع العربي – الصهيوني في ظل الإسلام السياسي

الدكتور فيصل عودة الرفوع*

المقدمـــة:

١ . أهمية الدراسة :

لقد ارتبطت الأمة العربية بعلاقات تاريخية مع الغرب، وبخاصة أوروبا، حيث شكل البحر الأبيض المتوسط عاملاً مهماً في الاتصال بين العرب والغرب، كما كان للمسيحية دور لا يمكن تجاهله في تأطير العلاقة العربية – الأوروبية في حقبات مختلفة من تاريخ المنطقة، وقد اتسمت هذه العلاقة بالتعاون حيناً والصراع حيناً آخر، فقد تفاعلت الحضارة العربية والغربية على الأرض العربية فكان العرب –وفي مرحلة متأخرة– جزء ممن خاطبهم قانون الشعوب الروماني قبل تحرير الأمة من التبعية الرومانية على يد الإسلام.

وبعد مجيء الإسلام، عقيدة دينية ودولة، بدأت مرحلة أخرى من تاريخ العلاقات بين العرب – المسلمين من جهة والغرب من جهة أخرى، تمثلت هذه العلاقات بالتفاعل الحضاري على المستوى الإنساني في جانب ، والصراع السياسي والعقيدي، أو حالة اللاحرب واللاسلم ، على المستوى الرسمي في جانب آخر، سواء الدينية ، أم السياسية، أم الاقتصادية ، أم الثقافية، إلا أن تضارب المصالح بين الدولة العربية – الإسلامية من جهة، والغرب ممثلاً في الإمبراطورية الرومانية ، حيناً، وممالك ودول أوروبا – الغربية، حيناً آخر ، من جهة ثانية ، جعل الصراع هو السمة البارزة لهذه العلاقات في أغلب الأحيان.

* أستاذ العلوم السياسية، وزير الثقافة السابق.

فكانت نقاط الاحتكاك على تخوم الدولة العربية – الإسلامية الشمالية ، سواء في آسيا الصغرى أو الأندلس أو البحر الأبيض المتوسط . إلا أن هذا الصراع تحول إلى صراع دموي إبان الحروب الصليبية، التي شكلت عدواناً غربياً على العرب – المسلمين بشكل عام ، وعلى فلسطين بشكل خاص.

وبعد تراجع الدور العربي بسقوط بغداد عام ١٢٥٨م ، على يد التتار ، وخروج العرب من الأندلس عام ١٤٩٠ – ١٤٩٣ ، وإعادة هيكلة الحضارة الغربية ، على الأساس المادي بعد ضعف العرب بسبب تحول الطرق التجارية، والحروب الصليبية ، وخروج العرب من الأندلس. وبعد وصول النهضة الأوروبية إلى درجة متطورة من التقدم، جاء العثمانيون – الأتراك لقيادة الدولة الإسلامية .

ولم تختلف طبيعة العلاقة بين الغرب والدولة الإسلامية في عهد العثمانيين عنها في العهود السابقة ، حيث بقي الصراع السياسي والعقيدي والاقتصادي قائماً في جانبه الرسمي من جهة مع وجود هوامش للتفاعل في العلاقات الإنسانية من جهة أخرى .

إلا أن ضعف الدولة العثمانية ، شكّلت مرحلة خطيرة بالنسبة للمسلين بشكل عام، والوطن العربي بشكل خاص ، حيث جاءت الثلاثينيات من القرن التاسع عشر ، ببوادر تراجع الدور العثماني على الساحة الدولية ، هذا التراجع تزامن مع بداية الأطماع الغربية في أملاك الإمبراطورية العثمانية، وبخاصة الوطن العربي . فبدأ الغرب باقتطاع الخليج العربي وعدن وإخضاعهما إلى السيادة البريطانية عام ١٨٣٩، ومصر عام ١٨٨٢ ، والسودان فيما بعد . وتمثلت الأطماع الفرنسية باقتطاع الجزائر عام ١٨٣٠، وتونس عام ١٨٨١، والمغرب عام ١٩١٢، كما قامت إيطاليا باحتلال ليبيا عام ١٩١١ . في حين جاءت معاهدة سايكس – بيكو عام ١٩١٦ لتضع باقي أجزاء الوطن العربي في آسيا الغربية ، ضمن منظور الهيمنة الغربية ممثلة ببريطانيا وفرنسا ، بالإضافة إلى وعد بلفور عام ١٩١٧، الذي أكد على إنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين . وبدأ الغرب ، وعلى رأسه بريطانيا وفرنسا ، في البداية ، والولايات المتحدة في مرحلة ما بعد الحرب العالمية الثانية ، برسم مستقبل المنطقة ضمن استراتيجية واضحة المعالم تهدف إلى :

١ ٠ إنشاء الدولة الصهيونية في فلسطين ودعم وجودها وأمنها .

٢ ٠ إحباط أي لقاء وحدوي بين أقطار الأمة العربية .

٣ ٠ استمرار تدفق النفط ومصادر الطاقة الأخرى الموجودة في الوطن العربي للغرب.

٤ . وضع حد لما يسمى، "بالصحوة الإسلامية"، أو "الإسلام السياسي"، واحتواء هذه الاتجاهات بشتى الوسائل والسبل ، لما يمثله ذلك من خطر على الحضارة الغربية –حسب اعتقادهم – .

وقد بدأت صياغة العلاقة الغربية مع العرب في ضوء موقف الغرب من الصراع العربي – الصهيوني، من جهة، وعلى طبيعة وتطور سياسة الحرب الباردة من جهة أخرى . إلا أن احتلال الاتحاد السوفيتي لأفغانستان عام ١٩٧٨، وتصدر الثورة الثورة الإسلامية الإيرانية للحكم في إيران عام ١٩٧٩، ونتائج زلزال الخليج الثانية ١٩٩٠ – ١٩٩١ ، وتفكك الاتحاد السوفيتي ١٩٩٠ – ١٩٩١ ، وإزالة جدار برلين ١٩٨٩ ، وانتهاء الحرب الباردة بين الكتلتين ، السوفيتية–الشرقية، والأمريكية–الغربية تحولت الإستراتيجية الأمريكية–الغربية، نحو اعتبار المسلمين بشكل عام ، والحركات الإسلامية السياسية، بشكل خاص ، عدوٌ قائم ومحتمل لها، وبدأت العلاقات بين الغرب والعرب تأخذ منحنى آخر ، يتسم بعدم الثقة والحذر في الجانب الشعبي ، وبعلاقات سياسية واقتصادية تحالفية – متميزة – شكلاً – ، وغير متوازنة وينقصها الاستقرار – مضموناً – في الجانب الرسمي .

وجاءت شعارات من النظام الدولي ، والمتمثلة ، بالمشاركة السياسية وتفعيل الهوامش الديمقراطية ، وحقوق الإنسان ، بفتح المجال أمام تطور أوسع لمشاركة الحركات السياسية الإسلامية ، في الدول الإسلامية ، في الحياة السياسية ، خاصة الأردن والجزائر واليمن .وقد لعب الإسلام السياسي دوراً في تأسيس حركات سياسية – عسكرية لمقاومة الاحتلال الإسرائيلي، ممثلة في حركة الجهاد الإسلامي ، وحركة المقاومة الإسلامية – حماساً في الجانب الفلسطيني ، وحزب الله في الجانب اللبناني ، وبدعم مادي

ومعنوي من بعض الدول والحركات الإسلامية ، خاصة، الجمهورية الإسلامية الإيرانية وبعض الأقطار العربية ولاسيما على المستوى الشعبي .

ولم تقتصر المقاومة الإسلامية للوجود الصهيوني على أرض فلسطين ، بل تجاوزت الحدود الجغرافية لفلسطين لتطال المصالح الغربية ، وعلى رأسها المصالح الأمريكية في أماكن أخرى من العالم ، وذلك كرد فعل على الدعم الغربي لإسرائيل من جهة ، وعلى حالات الاستعداء الغربي للإسلام كدين، وللمسلمين كشعوب ، سواء في العراق أو ليبيا أو السودان أو أفغانستان أو إيران . . . الخ ، من جهة أخرى .

إن التفاعلات على الساحة العربية والإسلامية جاءت برد فعل غربي –سلبي على الإسلام السياسي ، والذي انعكس بدوره على الصراع العربي – الصهيوني . وقد جاء رد الفعل الغربي هذا ، بين الدعم الكامل للكيان الصهيوني، حيث مثل هذا الاتجاه الولايات المتحدة الأمريكية ، أو محاولة احتواء الحركات الإسلامية واتخاذ موقف متوازن –إلى حد ما– في العلاقة معها، كما هو الموقف الأوروبي بشكل عام.

إلا أن الإسلام السياسي ، ومحاولة احتواءه ، خاصة ، على الأرض الفلسطينية، كان من أهم المعطيات التي قادت المنطقة إلى العملية السلمية، والتي بدأت في مدريد في ٣١ تشرين ثاني/ أكتوبر ١٩٩١ ، وما زالت مستمرة حتى الآن .

٢. موضوع الدراسة وأهدافها :

يقتصر موضع الدراسة على دور الإسلام السياسي في تأطير السياسة الغربية تجاه الصراع العربي – الصهيوني في المرحلة الراهنة، وستحاول هذه الدارسة تحليل دور الإسلام السياسي ، وحركاته السياسية ، والعسكرية المختلفة في الوطن العربي بشكل عام وفي توجيه العلاقة بين المسلمين والغرب بشكل خاص . كما أن الدارسة تتتبّع العلاقة الإسلامية – الغربية، ضمن حالتي الصراع والتعاون ، وتأثير ذلك على الصراع العربي– الصهيوني في حالتي الحرب والسلام .

إن الدراسة تحاول أن تجيب على السؤال المهم ، والذي يتمحور حول العلاقة بين الإسلام السياسي والغرب، وتأثير ذلك على الصراع العربي – الصهيوني .

٣. مشكلة الدراسة :

يواجه الباحث – أي باحث – في موضع العلاقة بين الإسلام السياسي والغرب ، العديد من الصعوبات ، يتمحور معظمها حول :

أ . طبيعة العلاقة بين الإسلام السياسي والغرب، والتي تتميز في كثير من جوانبها بحالة الصراع والصدام، وبالتالي فإن كل جهة ترى في الطرف الآخر وطروحاته عدو قائم ومحتمل ، خاصة الجانب الغربي والذي يرى في الإسلام السياسي العدو رقم واحد لوجوده، بعد اختفاء السوفيات من على المسرح الدولي، هذه الحالة تجعل الباحث يواجه الكثير من المعوقات .

ب . إن وجهة نظر معظم الباحثين تجاه الإسلام السياسي والغرب نظرة خلافية في كثير من طروحاتهم، حيث يعتقد الكثير من المراقبين بأن وجهة نظر الباحثين والمحللين السياسيين حول هذا الموضوع لم تلتقي على أرضية مشتركة في معظم حالاتها ، وبالتالي فإن ضبابية الأهداف والاستراتيجيات لكلا الطرفين ، الغرب والإسلام السياسي، يجعل من البحث في هذا الحقل المعرفي، مهمة صعبة، تحتاج إلى الكثير من التحليل والتمحيص والتدقيق .

ج . أكثر الدراسات التي عالجت هذا العنوان الخلافي لم تلتزم الحيادية في طروحاتها، وإذا كانت الدراسات المتعلقة بالإسلام السياسي تعتقد بأن لها الحق فيما تطرحه تجاه الغرب ، نتيجة لمواقفه غير المتوازنة حيناً ، والسلبية حيناً آخر ، – ليس تجاه جزئيات الإسلام السياسي ، كالصراع العربي – الصهيوني ، والعراق ، والسودان، وليبيا ، والصومال ، وإيران ، وأفغانستان ، وإنما تجاه المسلمين بشكل عام ، فكراً و ممارسة–، فإن الدراسات الغربية، حسب وجهة نظر العديد من

الباحثين ، ينقصها المبرر الأكاديمي والعلمي لاتخاذ موقفها العدائي تجاه الإسلام السياسي ، هذا الموقف يتعارض مع الحيادية والتحليل المنهجي .

د . أما السبب الآخر فهو يتعلق بالباحث نفسه ، كمسلم وعربي ، فليس من السهل عليه أن يقف محايداً إزاء صراع هو إحدى ضحاياه ، وبالرغم من ذلك فسيقوم الباحث جاهداً بتلمس الحيادية والمنهجية العلمية في طروحاته .

٤. منهجية الدراسة :

ستقوم هذه الدراسة باستخدام المنهج التحليلي في البحث حول العلاقة بين الإسلام السياسي والغرب، ورأي كل منهما بالآخر ، وتأثير ذلك على الصراع العربي – الصهيوني .

كما سيحاول الباحث مقارنة الطروحات السياسية والفكرية المختلفة ، ولمختلف الباحثين، تجاه الموضوع عنوان البحث ، عن طريق اتباع المنهج المقارن ، مع إمكانية استفادة الباحث من المنهج التاريخي لرصد التطور التاريخي للعلاقات بين كل من الإسلام السياسي والغرب من جهة ، وتأثير ذلك على الصراع العربي – الصهيوني من جهة أخرى .

وللوصول إلى نتائج الدراسة ، سيقوم الباحث بالاستعانة بالمصادر والمراجع المختلفة، والمواءمة بين الطروحات المختلفة حول العنوان موضوع البحث .

٥ . الدراسات السابقة :

هنالك العديد من الدراسات السابقة التي عالجت جوانب معينة من العنوان موضوع البحث ، ولكن ليس بشكل منفرد.كما أن هنالك العديد من الدراسات التي تناولت السياسات الغربية تجاه القضية الفلسطينية والصراع العربي – الصهيوني من زاوية الجوانب الدينية :

١٠ د. أحمد النيفر، "الحوار الإسلامي المسيحي والمسألة العقيدية ، إضاءة من الجهة المغربية"، مجلة الندوة ، المجلد الثامن ، العدد الرابع ، رجب ١٤١٨هـ – تشرين الثاني ١٩٩٧م ، جمعية الشؤون الدولية ، عمان – الأردن، وهذه الدراسة جاءت بتحليل شامل لجوانب العلاقة التاريخية بين الإسلام والمسيحية ، مؤكدة على الجوانب التوحيدية لكل من الإسلام والمسيحية.

٢٠ د. أسامة الغزالي حرب ، "الإسلام والعنف في السياسة الدولية"، ملف السياسة الدولية ، العدد١١٣ ، يونيو ١٩٩٣ ، الأهرام ، ركز على الحركات السياسية الإسلامية ، مع دراسة لتطورها ومراكز الصراعات بينها وبين القوى المضادة لها ، ودورها فيما يشهده العالم المعاصر من توتر ونزاعات محلية وإقليمية ودولية .

٣٠ حسن السعيد، "الإسلام والغرب . . . المقدمات المعرفية للمواجهة"، القسم الأول، – مجلة التوحيد العدد ٨٤ ، السنة الخامسة عشرة ، جمادى الأولى ١٤١٧هـ/تشرين الأول ١٩٩٦، قم – الجمهورية الإيرانية الإسلامية ، والقسم الثاني في العدد ٨٥ من نفس المجلة. وتتبع العلاقات الإسلامية مع الغرب .

٤٠ د. عبد الجبار ناجي ، وعبد الواحد ذنون، "أثر الحضارة العربية الإسلامية في الفكر الغربي"، بيت الحكمة، سلسلة المائدة الحرة ، ٥ تموز ١٩٩٧، وهي استقصاء للتفاعل الحضاري والفكري بين الحضارة العربية الإسلامية مع الغرب وتأثيرها على تطوره الغرب الفكري والمعرفي .

٥٠ فواز جرجس، "الأمريكيون والإسلام السياسي"، مجلة المستقبل العربي، العدد ١٧، ١٩٩٧/٣، (قامت بتحليل منهجي وعلمي لفهم الرأي العام الأمريكي للإسلام ، وتأثير هذا الفهم على السياسة الخارجية الأمريكية تجاه العالم الإسلامي بشكل عام والعرب بشكل خاص).

٦ . ناجي علوش، "الإسلام والغرب"، مجلة دراسات عربية ، العدد ٣-٤ السنة الرابعة والثلاثون ، كانون الثاني/شباط – يناير/فبراير ١٩٩٨ . قامت بتحليل العلاقات الحضارية بين الإسلام والغرب .

٧ . ناظم الجاسور ، " الموقف الفرنسي من الإسلام السياسي في الجزائر"، مجلة المستقبل العربي، العدد ١٢،٢٠٢/١٩٩٥ ، وهذه الدراسة تتبع المعطيات العقيدية والسياسية للحالة الجزائرية الراهنة .

٨ . وليد الخالدي، "الإسلام والغرب والقدس" ، مجلة الدارسات الفلسطينية، العدد ٣١، صيف ١٩٩٧ ، وهي تحلل موثق عن أهمية القدس في تاريخ الصراع بين الغرب والمسلمين .

٦. حدود الدراسة وإطارها النظري :

ستقوم الدارسة بمحاولة تحليل للعلاقة بين الإسلام السياسي والغرب من جهة، من جهة أخرى، وذلك من خلال تحليل العناوين التالية :

أولاً – الصحوة الإسلامية والإسلام السياسي .

ثانياً – الغرب والإسلام السياسي .

ثالثاً – تشكل السياسة الغربية تجاه الصراع العربي – الصهيوني .

رابعاً– تأثير الإسلام السياسي على سياسة الغرب تجاه الصراع العربي – الصهيوني .

أولاً ـ الصحوة الإسلامية والإسلام السياسي

(١) الصحوة الإسلامية :

يؤكد العديد من الباحثين على أن الصحوة الدينية لا تعني الإسلام السياسي بشكل مطلق، فالصحوة الدينية التي يشهدها العالم الإسلامي هي صحوة عامة أصابت المسلمين كما هو في حاله المسيحيين واليهود والبوذيين والوثنيين ، والتي تعني العودة إلى الجذور

والتمسك بالأصول العقيدية ، وبالتالي فهي – أي الصحوة – بهذا المفهوم لا تقتصر على المسلمين وحدهم، بل تمتد إلى كافة البشر، مسلمين وغيرهم[١].

والصحوة الإسلامية شملت التنظيمات السياسية الإسلامية العاملة في الإطار السياسي العقيدي العام، وهناك تداخل عقيدي بين ظاهرتي الإسلام السياسي والصحوة الإسلامية[٢] .

والصحوة الإسلامية، وليس بالضرورة أن تحاول ولوج الجوانب السياسية. ويحاول هذا النهج، بداية ، إصلاح الجانب العقيدي للإنسان ، الذي أصابه ما أصابه من الاستلاب الحضاري والعقيدي،كما أنها – أي الصحوة – أشمل تأثيراً وأوسع انتشاراً من الإسلام السياسي[٣]. والصحوة الإسلامية عملية تجديد للعقيدة الإسلامية في فترات متلاحقة منذ عصور ما بعد التابعين ، ويؤكد، مصدرا الاجتهاد والقياس ، على شرعية المفهوم التجديدي لجوانب العقيدة الإسلامية ، شريطة عدم المس بالأصول الأولية التي أكد عليها القرآن وأقرتها السنة النبوية[٤].

وإذا كانت الصحوة الإسلامية ، هي عملية مستمرة ومتوالية ومتطورة في مختلف الأحقاب والفترات التاريخية، الأسباب الكامنة وراء هذا الاهتمام . بهذه الظاهرة ١٩٨٠ – ١٩٩٨، ترجع الى ما يلي :

١. الأهمية الجيو–استراتيجية ، لكل من العالم الإسلامي بشكل عام ، والوطن العربي بشكل خاص، وأهمية ذلك في مجمل الاستراتيجية الكونية .
٢. تصدر الثورة الإسلامية الإيرانية للحكم في إيران عام ١٩٧٩ ، بعد أن أصبح لها حضورها في مجمل تفاعلات العلاقات الدولية ، إقليمياً ودولياً[٥] .
٣. ربط الغرب الصحوة الإسلامية بالعنف ، وهذا أفرز اصطلاحاً غربياً يتمحور حول الخوف من الإسلام "Islamophobia"، وإذا كانت هناك بعض الاتجاهات الإسلامية التي تتبنى "القوة" طريقاً للوصول إلى الأهداف ، فإن هذه الاتجاهات جاءت بمثابة رد فعل على طروحاته الغرب، غير المتوازنة والبعيدة عن الحيادية للصحوة الإسلامية ، وعلى رأسها تصور، "صموئيل هنتنغتون" ، الذي يزعم أن

الإسلام عدو محتمل، يهدد العالم كالنازية والفاشية والشيوعية ؟؟، ويدعي كذلك أنه –أي الإسلام– هو الباحث على "ظاهرة صدام الحضارات"[٦] ولهذه الأسباب، وغيرها ، جاء الاهتمام العالمي بالصحوة الإسلامية ، بالرغم من عدم إدراك الغرب للحدود المفصلية بين الصحوة الإسلامية بمفهومها العقيدي غير السياسي، والإسلام السياسي بمفهومه الثوري السياسي.

وقد ارتبطت الصحوة الإسلامية لدى المسلمين ، ولا سيما العرب ، بحركة التحرر من الاستعمار، وأخذت الهوية الإسلامية تفرض وجودها على عملية مقاومة القوى الاستعمارية، وبخاصة في المغرب العربي، إلا أن مفهوم الصحوة الإسلامية اليوم يبدو للعديد من مفكري الغرب ، حدث جديد وظاهرة طارئة، وهذا يتنافى مع طبيعة الظاهرة التي لا تقتصر على الجانب العقيدي للإنسان المسلم، بل تتعدى ذلك إلى إعادة تجديد المشروع الحضاري النهضوي للعرب والمسلمين. وقد واجهت هذه الظاهرة القبول والتأييد في كثير من شرائح المجتمع العربي والإسلامي، وبخاصة الشرائح غير السياسية[٧]. وقد امتزجت الصحوة مع الإسلام السياسي، ويعتبر الإسلام العدو الاول للسلام العالمي[٨]. وجاءت "حركة الأخوان المسلمين" في عام ١٩٢٨ ، لتنظيم الطروحات الإسلامية في حركة سياسية[٩]. وبالرغم من أن حركة الإخوان المسلمين ، تعبر عن الإسلام السياسي منذ البداية ، إلا أن ظاهرة الإسلام السياسي لم تتصدر الاهتمام العالمي إلا في العقدين الأخيرين من هذا القرن .

والصحوة الإسلامية أقرب إلى ظاهرة " الإسلام الانسحابي الإسلام غير الحركي – غير المسيس". كما أنها أقرب إلى تيار "الإسلام الإصلاحي " ، الذي يدعو إلى المواءمة يبين الواقع والأهداف بعيداً عن القوة[١٠].

والصحوة الإسلامية تعني في جانب من جوانبها الحوار وتشكل الأساس الذي انطلق منه الإسلام السياسي بتياراته المتعددة ، سواء الإسلام "الصدامي – الجهادي " ، أو الإسلام " الانقلابي – الجهادي" ، أو الإسلام " المؤسسي – العملي " . ويجمع هذه التيارات إيمانها بالقوة للوصول إلى أهدافها المشروعة في اعتقادها[١١].

(٢) الإسلام السياسي :

إذا كان مفهوم الصحوة الإسلامية في بعض جوانبه ، عملية تنظيم العلاقة العقيدية للمسلم، وبخاصة ما يتعلق بالجانب السياسي منها، فإن الإسلام السياسي ، يعني ربط السياسة بالدين، وإخضاع الممارسات الإنسانية بجميع جوانبها للمعايير العقيدية ، وتطبيق المفهوم الجهادي للوصول إلى الأهداف المنشودة[١٢]. ويدعو الإسلام السياسي إلى إعادة البناء الإيدلوجي – الدنيوي للإسلام ، بالإضافة إلى تفعيل سيادة العدالة ، واعتماد قواعد التعامل في النطاق الداخلي ، والخارجية ، على النص القرآني[١٣].

والإسلام السياسي جاء نتيجة حتمية ومنطقية لعدم تطبيقهم لجزيئات وتفاصيل الشريعة الإسلامية ، واستبدال الشريعة الإسلامية بالقيم والمبادئ الغربية[١٤]. ويجسد ذلك الخطاب الشمولي للإسلام السياسي ، الذي ينظر إليه أنصاره ، بأنه " المرشح لحركتي الاستيعاب والاحتواء للمجتمعات الإسلامية " ، للوصول إلى أهدافها المنشودة في إقامة المجتمع الإسلامي القادر على التأثير في العلاقات الدولية[١٥].

والحركة الإسلامية بعيدة عن الظاهرة الصدامية، إلا أنها في الفترة الراهنة انطلقت من أسس عقيدية للوصول إلى الأهداف السياسية. وقد اقترن الإسلامي السياسي، كظاهرة معاصرة مع شيوع الادعاء والحديث عن الخطر الإسلامي" ، "والعدو المحتمل" للغرب، وبخاصة بعد انهيار الاتحاد السوفيتي[١٦].

وقد تحولت ظاهرة الصحوة الإسلامية ، بداية ، إلى ظاهرة "الإسلام العملي"، التي طالبت بتطبيق النظام الإسلامي التام على المشروعات الاقتصادية والسياسية والتربوية والخدمية، ومن ثم انتقلت إلى ظاهرة الإسلام "المؤسسي"، التي أكدت على التفاعل مع مؤسسات الدولة كافة، كالوزارات والمؤسسات الحكومية العامة ، ومجامع البحوث، والهيئات الرسمية والمحاكم الشرعية . . . الخ . وجاءت مرحلة أخرى من الإسلام السياسي تمثلت " بالإسلام الحركي – التعبوي"، التي تفرع عنها الإسلام "الانقلابي–

الجهادي" الذي يدعو إلى السرعة في التغيير وبشكل مثل حزب التحرير ، وبعض أعضاء حركة الإخوان المسلمين. أما التيار الآخر، فهو التيار الذي لا يرى إمكانية التعايش واحتواء الواقع،لذا فهو يرفع شعار الاستشهاد في سبيل الإسلام ، مثل هذا التيار حركة الجهاد الإسلامي ، وحركة المقاومة الإسلامية –حماس– وحزب الله[١٧].

وقام الإسلام السياسي في جانب آخر، بخوض معركة التغيير من خلال المؤسسات الشرعية وبالطريقة الديمقراطية، كحالة جبهة الإنقاذ الجزائرية، قبل الانقلاب عليها، وحركة الإخوان المسلمين في الأردن، والحركة الإسلامية في اليمن. حيث استطاعت هذه الحركات أن تصل إلى نوع من المشاركة السياسية بالطرق المشروعة، سواء في مجالس البرلمان ، أن النقابات المهنية والسياسية ، أو غيرها ، كما أن طريقة انتخاب رئيس الجمهورية الإسلامية الإيرانية، لاقت الاستحسان من جانب عدد كبير من المنابر الإعلامية الإقليمية والغربية[١٨].

ويؤكد العديد من الباحثين على أن هناك تطورات إقليمية دولية، هي السبب المباشر الذي قاد إلى ظاهرة الإسلامي السياسي، وبخاصة في الوطن العربي، وبالشكل الذي وصلت إليه اليوم من صدام مباشر مع الواقع وبأهداف انقلابية، وأهم هذه التطورات:

١. انحسار التيار القومي بعد هزيمة حزيران عام ١٩٦٧، ووفاة الرئيس جمال عبد الناصر عام ١٩٧٠.
٢. الأزمات الاقتصادية والثقافية والقيمية التي يعيشها – وما زال – الوطن العربي في العقدين الماضيين .
٣. التدخل السوفيتي في أفغانستان عام ١٩٧٨م .
٤. الثورة الإسلامية الإيرانية عام ١٩٧٩ ، ودعمها لحركات الإسلام السياسي .
٥. طبيعة وتطور الصراع العربي – الصهيوني ، وعدم الاعتراف الإسرائيلي بالحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني .
٦. الدعم الأمريكي والغربي لدولة إسرائيل .

٧. التدخل الأمريكي المباشر في الشؤون الداخلية والخارجية للحكومات العربية والإسلامية .
٨. تحول النظام الدولي من ثنائي القطبية إلى نظام أحادي القطبية، وبقيادة أمريكية شبه مطلقة .
٩. نتائج زلزال الخليج عام ١٩٩٠-١٩٩١ ، التي أدت تدمير العراق ، كدور وكقوة عسكرية .
١٠. الحصار الأمريكي – الغربي لبعض الشعوب الإسلامية وبخاصة العراق وليبيا والسودان .
١١. معاناة الأقليات الإسلامية ، في دار الحرب ، من التجاوز على حقوقها المشروعة ، وسياسات التمييز والتطهير العرقي والقومي التي تمارس ضدها، وبخاصة في البوسنة وكوزوفو وكشمير والشيشان ... الخ .
١٢. استعداء الغرب للإسلام السياسي[١٩].

ثانياً ـ الغرب والإسلام السياسي

إن العلاقات بين الغرب والمسلمين قديمة ، كما ذكرنا ، وقد اهتم الغرب بدراسة الإسلام، حيث أرسل الباحثين والدارسين والعيون الذين أطلق عليهم اصطلاح، المستشرقين[٢٠]، ومع أن الهدف من وراء العديد منها المعرفة ، إلا أن هدف بعضها الآخر كان تشويه صورة الإسلام والمسلمين . وحاول بعض العرب والمسلمين الرد على المستشرقين، كالمفكر إدوارد سعيد في كتابه "الاستشراق"، وكتاب "أوروبا والإسلام" للمفكر هشام جعيط، إضافة إلى العديد من الإسهامات الفكرية الأخرى الإسلامية والعربية[٢١]، وجاء الموقف الغربي السلبي هذا تجاه الإسلام السياسي نتيجة لأسباب عديدة من أهمها :

أ . تبني الثورة الإسلامية الإيرانية لمفهوم الإسلام السياسي ، وتبنيها لفكرة تصدير الثورة، والدعوة إلى "ثورة شاملة للشعوب الإسلامية"!!.

ب. التطورات العديدة التي طرأت على النظام الدولي الراهن، وظهور العالم ، ولأول مرة في التاريخ، وكأنه مسرح واحد تجري عليه تفاعلات متسارعة ومتداخلة ، ليس من السهل السيطرة عليها أو احتوائها[٢٢]، تمثل ذلك في غياب قوة عظمى كانت تشكل إحدى دولتين كونيتين تهيمنان على السياسة الدولية، وهي الاتحاد السوفيتي ، رفض بعض الدول سياسة الهيمنة الغربية بشكل عام والأمريكية بشكل خاص ، ليس على صعيد المسلمين فحسب ، بل على مستوى الأمم والشعوب كافة التي تعاني من فقدان دورها في مكونات النظام الدولي الراهن، بسبب هيمنة دولة واحدة عليه ، هي الولايات المتحدة ، وقد أثبتت الأحداث والتطورات الدولية ، عدم حياديتها في التعامل مع مجمل مكونات النظام الدولي[٢٣].

ج . وجاءت حرب الخليج الثانية عام ١٩٩٠-١٩٩١ ، بإدارة فريدة من نوعها ، من قبل المنظمات الدولية ممثلة بالأمم المتحدة ، بتوجيه وقيادة ومشاركة وتصميم أمريكي – غربي . ويعتبر التحالف ضد العراق، بدوله الإحدى والثلاثين، تحالف يضم الشرق والغرب ، ضد دولة عربية مسلمة ، ومن دول العالم الثالث. وأظهرت خارطة النظام الدولي الراهن ، وبوضوح، تجاهل أي دور للعرب والمسلمين ضمن الإطار العام للمكونات الأساسية للنظام الدولي. واستنزاف الغرب للموارد الاقتصادية العربية، إضافة إلى وجوده العسكري المباشر في المنطقة العربية الذي هدد أمنها وسلامتها الإقليمية، وبخاصة الولايات المتحدة الأمريكية هذه المعطيات كان لها الأثر الكبير في تصدر الإسلام السياسي للأحداث ، لمواجهتها وتغيير الممكن منها ، على المستويات المحلية والإقليمية والدولية [٢٤].

د . إن للعملية السلمية بين العرب وإسرائيل ، ورفض الإسلام السياسي ، في مجمله، لهذه الاتفاقيات ، دور كبير في تمترس التيارات الإسلامية خلف رفضهم لهذه الاتفاقيات ومقاومتها بالعديد من الوسائل ، ومن ضمنها استعمال القوة المسلحة،

فقد رأت الحركات الإسلامية ، إن هذه الاتفاقيات بعيدة عن تحقيق الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني . ولم يقتصر الرفض هذا على الحركات الإسلامية في فلسطين ، وعلى المقاومة الإسلامية –حماس– والجهاد الإسلامي وحدهما ، بل شاركت معظم التيارات الإسلامية الممثلة" للإسلام السياسي"، في هذا الرفض كحزب الله اللبناني ، وحركة الإخوان المسلمين، وجبهة الإنقاذ الجزائرية ...الخ، ورفض الجمهورية الإسلامية الإيرانية للعملية السلمية الجانب الرسمي، وقد شكل هذا الرفض موقفاً رسمياً للإسلام السياسي تجاه العملية السلمية، ومؤيديها، وبخاصة الغرب وعلى رأسه الولايات المتحدة الأمريكية ، ونتيجة لذلك بنى الغرب مواقفه السياسية تجاه الإسلام السياسي من خلال موقف الأخير تجاه الغرب بصورة عامة، وتجاه إسرائيل ووجودها وأمنها بصورة خاصة[٢٥].

هـ. كما كان للمتغيرات الاقتصادية الدولية أثرها في توحيد الموقف الإسلامي تجاه الغرب . فإذا كان المفهوم الاقتصادي التقليدي يتمحور حول معادلة ثلاثية هي "الأرض والعمل ورأس المال"، حيث بقيت هذه المعادلة تحكم العلاقات الاقتصادية الدولية، وبما يضمن – نسبياً – حقوق أطراف المعادلة الاقتصادية الدولية. فإن النظام الدولي الراهن ، أفرز العولمة ، بمكوناتها السياسية والاقتصادية والثقافية والعسكرية، التي تعني هيمنة المنهجية الفكرية والسياسية والاقتصادية، الأمريكية بشكل خاص والغربية بشكل عام، على العالم، الأمر الذي أدى إلى فرز اجتماعي – اقتصادي بين من يملك ومن لا يملك مما أدى إلى زيادة عدد الفقراء، وتمحور الثروة في يد فئة قليلة ، وتفاقم كل من البطالة والمديونية. وانعكس ذلك بشكل كبير على الشعوب الإسلامية التي عانت الكثير من نتائج المعطيات الاقتصادية والاجتماعية للنظام الدولي الراهن ، مما كان له أثر كبير في تنظيم الإسلام السياسي وتصدره لمواجهة هذه الحالة[٢٦].

وفي ضوء هذه المتغيرات، جاءت مؤسسات البحث ، والباحثون الاستراتيجيون الغربيون باستقرائهم عن الإسلام السياسي، وأطلقوا عليه اصطلاح "الإسلام الراديكالي" ، أو "الإسلام الأصولي"، ورأت دراساتهم وآراؤهم في الإسلام السياسي بأنه يمثل أكبر عائق أمام تطبيق الديمقراطية الغربية ، وهو ، " العدو رقم واحد للديمقراطية "!![٢٧].

وهذا ما أكد عليه " صاموئيل هانتنغتون Samuel Hantinigton " ، في دراسة له بعنوان "الموجة الثالثة للديمقراطية"، حيث يقول:"إن المفاهيم السياسية في الإسلام تختلف وتتناقض مع المقومات المنطقية لسياسات الديمقراطية من حث أن الشرعية الحكومية والسياسية تنبع من العقيدة الدينية ورجال الدين. وهكذا فإن التعاليم الإسلامية تتضمن عناصر، قد تتسق مع الديمقراطية أولاً ، غير أنه في الواقع العملي نجد أن تركيا هي البلد الإسلامي الوحيد الذي احتفظ طويلاً بنظام سياسي ديمقراطي . . . "[٢٨].

إلا أن المفكر "أرنستا جيلز Arnist Gailes "، يطرح وجهة نظر أخرى تتسم في جوانب منها بنوع من الحيادية لمجرد حيث يقول ". . . إن الثقافة الإسلامية في صورتها العليا تتسم فطرياً بعدد من الملامح البارزة ، هي التوحيد وأخلاقيات الحكم ، والفردية ، والالتزام بالقرآن ، والتطهر ، والمقت الشديد والمطلق للوساطة بين البشر والله ، والكهنوتية ، وهذه جميعاً تنسجم مع شروط العصر أو التجديد . . ."[٢٩].

وإذا كانت هذه بعض وجهات النظر المختلفة للمفكرين الغربيين تجاه الإسلام السياسي التي جاءت في معظمها بدعوة إلى الصدام . فإن طروحات السياسيين في الغرب أكثر حدة وعدوانية تجاه الإسلام السياسي ، فها هو ريتشارد نيكسون ، الرئيس الأمريكي الأسبق ، يحدد طبيعة العلاقة بين الغرب والإسلام ، في كتابه "الفرصة السانحة"، حيث يقوم في هذا الكتاب بتحذير أمريكا والغرب من الإسلام السياسي الذي أصبح ، على حد زعمه ، يشكل خطراً على الغرب وحضارته ، بعد هزيمة الشيوعية وسقوطها . وهذا ما دعت إليه كذلك لجنة العمل الأمريكية – الإسرائيلية "إيباك AIPAC" في ندوة المعهد الأمريكي لدراسات الشرق الأوسط التي عقدت في ٢٩ نيسان/إبريل ١٩٩٢ ، بعنوان "خطر الإسلام في التسعينات" ، فقد أشارت في هذه الندوة إلى ما يسمى "بالخطر

الإسلامي"، الذي لا يستهدف إسرائيل وحدها ، بل هو "خطـر" شـامل علـى الغـرب وحضارته ومصالحه الكونية، وبخاصة المصالح الاستراتيجية الأمريكية ؟![٣٠].

كما أن إسرائيل بشكل عام والإعلام الصهيوني بشكل خاص ساهم برسم صـورة مشوهة للإسلام السياسي، الذي يعتبر الخطر المتقدم للغرب في العالم الإسلامي . فقد أثار الرئيس الإسرائيلي السابق " حاييم هيرزوغ "، للإسلام السياسي، أثناء زيارته لبولندا فـي أيار/مايو ١٩٩٢ ، بقوله " إذا كانت الشيوعية قد هزمت وتم وضع حد لخطرها الكـوني فإن " الأصولية الإسلامية " تمثل أكبر وأعظم خطر تواجهه الحضارة الغربية والأنظمـة السياسية الحليفة في الشرق الأوسط"[٣١].

وإذا أصبحت العلاقة بين الإسلام السياسي والغرب علاقة تنقصها الثقة ويشـوبها الحذر، فما هي خلاصة وجهة النظر الغربية تجاه الإسلام السياسي؟، وما هي مبـررات ذلك؟:

١. ينظر الغرب بشكل عام إلى الإسلام ، ديناً وثقافة ، على أنه " حالـة تـرفض التجديد والتغيير والتطور، وغير قابلة للتعددية والاختلاف الثقافي والفكـري ، قامعة للرأي والرأي الآخر[٣٢].
٢. ادعاء الغرب على الاختلاف المنهجي والجذري بين الثقافة الإسلامية من جهـة وبين الثقافات الأخرى ، وهذا مخالف للبعد الثقافي للإسلام الـذي أكـد علـى التفاعل بين الحضارات كافة ، لأنه دين عالمي ولا يخص ثقافة دون غيرها[٣٣].
٣. زعم الغرب أن "الخطر القائم سببه الإسلام السياسي!، وهذا الخطر يشكل امتداداً للخطر الفاشي والشيوعي، اللذين تمت هزيمتهما"، ولهذا يـدعو الغـرب إلـى المواجهة والصدام مع الإسلام السياسي[٣٤].
٤. اتهام الغرب للمسلمين بتوظيف التعاليم الإسلامية لغايات سياسية مناهضة للغرب، متجاهلين بأن الإسلام عقيدة شمولية[٣٥].

٥. الإسقاط الغربي، لما يواجهه من مشاكل اقتصادية وثقافية وقيميه، على مواطنيه المسلمين والملونين، وهذا مخالف للواقع الديمغرافي، حيث لا تتجاوز نسبة المسلمين في الدول الغربية ٥% [٣٦].

٦. الرفض الغربي لوجهة النظر الإسلامية في الثقافة والحضارة الغربية، وهذا مناقض للادعاء الحضاري الغربي المبني على، حرية الرأي والرأي الآخر، والتعددية، واحترام حقوق، الإنسان، وحرية الشعوب في خياراتهم الثقافية والحضارية[٣٧].

٧. توجيه الرأي العام الغربي، وبمساهمة وتمويل صهيوني، بافتعال الصدام الحضاري مع الإسلام والمسلمين ، وإظهار الإسلام على أنه خطر محدق بالغرب[٣٨].

ثالثاً ـ تشكل السياسة الغربية تجاه الصراع العربي – الصهيوني

لم يكن تاريخ نشوء "الدولة الإسرائيلية" على الأرض الفلسطينية ، بداية التشكل للموقف الغربي تجاه الصراع العربي–الصهيوني، بل تجذر هذا الموقف منذ فترة طويلة سابقة على المؤتمر الصهيوني الأول الذي عقد في مدينة "بال " السويسرية عام ١٨٩٧ ، فقد شكلت المعاهدة الفرنسية – العثمانية عام ١٥٣٥ ، بين السلطان العثماني "سليمان القانوني" و "فرانسو الأول" ملك فرنسا، مرحلة مهمة للاهتمام الغربي في الوطن العربي، حيث، وبناءً على هذه المعاهدة، منحت الدولة العثمانية امتيازات خاصة للغرب بشكل عام، ولفرنسا بكل خاص ، لاستخدام موانئ الإمبراطورية العثمانية، وتطورت هذه المعاهدة فيما بعد لتؤكد على حق الفرنسيين في شراء الأراضي ضمن أملاك الدولة العثمانية، وذلك في تعديل لها عام ١٨٣٨[٣٩]. ويمكن رصد تطور السياسة الغربية تجاه الصراع العربي الصهيوني من خلال الفترة التي أعقبت مرحلتين تاريخيتين، تبدأ المرحلة الأولى في الفترة التي سبقت تأسيس الدولة الصهيونية عام ١٩٤٨، وتمثل المرحلة الثانية إنشاء الدولة الصهيونية عام :١٩٤٨

١. السياسة الغربية تجاه فلسطين قبل إنشاء الدولة الصهيونية عام ١٩٤٨ :

في أعقاب حملة نابليون على مصر عام ١٧٩٩، بدأ الاهتمام البريطاني بفلسطين، على أثر قيام نابليون – بتهديد مصالحها ، وطرق تجارتها مع الشرق ، وبخاصة مع شبه القارة الهندية. ولوضع حد لتهديد نابليون للمصالح البريطانية، ومن أجل الاستحواذ على فلسطين لتكون منطقة نفوذ لها ، قامت بريطانيا بافتتاح قنصلية لها في القدس في عام ١٨٣٩[٤٠].

إلاّ أن تناقض المصالح بين الدولتين، فرنسا وبريطانيا، لم يمنع من اتفاق بين الدولتين فيما بعد لأقسام ما بقي من الوطن العربي. واستطاعت الدولتان الوصول إلى صيغة اتفاقية لاقتسام ما بقي من أملاك الرجل المريض –الدولة العثمانية–، عرف باسم اتفاقية سايكس–بيكو عام ١٩١٦، وأصبحت فلسطين ضمن منطقة النفوذ البريطاني، وقد مارست بريطانيا سياسة جادة ومتساوية لتنفيذ وعد بلفور الذي صدر عام ١٩١٧ ، والمتمثل بالدعوة إلى إقامة وطن قومي لليهود في فلسطين[٤١]. وبخضوع فلسطين إلى الانتداب البريطاني ، ومصادقة عصبة الأمم المتحدة على صك الانتداب في عام ١٩٢٢ ، ودخوله حيز التنفيذ عام ١٩٢٣ ، وجدت الحركة الصهيونية، في ذلك، الفرصة المناسبة لتنفيذ وعد بلفور وإقامة الدولة الصهيونية المنشودة[٤٢].

عملت حكومة الانتداب، وبسياسات مختلفة داخلية وخارجية، على خلق الظروف المواتية لإعلان الدولة الإسرائيلية في مايو، وفرضت على العرب التعامل مع اليهود من خلال لجان التحقيق العديدة التي أنشأتها، والتي كان هدفها منح اليهود دور مهم وحاسم في رسم مستقبل فلسطين[٤٣].

وبالرغم من انحياز إنجلترا إلا أنها كانت مضطرة في سياستها تلك، حتى إذا بدأ التدخل الأمريكي المباشر في الصراع العربي – الصهيوني ، وأصبح الرئيس الأمريكي " روزفلت Rosvelt " من أكثر المؤيدين للحركة الصهيونية، وأخذ يدعو إلى حرية الهجرة اليهودية إلى فلسطين وإقامة دولتهم عليها ، وذلك في إعلان له في ٢٧أيلول ١٩٤٣[٤٤]. والموقف الأمريكي الرسمي هذا جاء مؤيداً لكل من الموقفين الفرنسي والبريطاني الداعيين

إلى إقامة دولة يهودية في فلسطين، في حين جاء تأكيد الموقف الفرنسي المؤيد للحركة الصهيونية من خلال التأييد الفرنسي لاقتراحات اللجنة الأمريكية – البريطانية التي تم تشكيلها في كانون الثاني ١٩٤٦ ، حيث أوصت بعدم إعطاء فلسطين الاستقلال المبكر وذلك خدمة للاستراتيجية الصهيونية آنذاك(٤٥).

كما أن الموقف الغربي المؤيد لقرار تقسيم فلسطين رقم ١٨١(١١) الذي صدر عن الجمعية العامة للأمم المتحدة في ٢٩تشرين ١٩٢٧، يجسد الاستراتيجية الغربية تجاه الصراع العربي – الصهيوني، والمؤيد لإقامة الدولة الصهيونية على أرض فلسطين(٤٦).

ونتيجة للموقف الغربي هذا المؤيد لإقامة الدولة الصهيونية، وتصدر الغرب في توجيه القرار السياسي الغربي الداخلي والخارجي، فقد استطاعت الحركة الصهيونية إعلان الدويلة الإسرائيلية في ١٥ أيار/مايو عام ١٩٤٨(٤٧).

٢- السياسة الغربية تجاه الصراع العربي–الصهيوني بعد عام ١٩٤٨:

ومن أجل فهم أشمل للموقفين الأوروبي الغربي والأمريكي تجاه الصراع العربي – الصهيوني بعد قيام إسرائيل عام ١٩٤٨، ولمعرفة طبيعة وتطور كل منهما، فسنقوم هنا بتحليل كل من الموقفين بشكل منفرد.

أ. تشكل الموقف الأوروبي تجاه الصراع العربي–الصهيوني بعد قيام إسرائيل عام ١٩٤٨:

بعد تأسيس الدولة الإسرائيلية ، استمر الموقف الأوروبي، تجاه الصراع العربي – الصهيوني، على موقفه السابق لتأسيس الدولة الإسرائيلية عام ١٩٤٨ ، حيث كان هذا الموقف ينطلق من :

١. الاستمرار في دعم الكينونة الإسرائيلية وتأييدها، والحفاظ على أمنها وسلامتها "وحقها" في الوجود، وقد اتسم هذا الموقف بالتأييد المطلق لإسرائيل في الفترة من ١٩٤٨ إلى ١٩٦٧(٤٨). وساهم في تجذر العلاقات الإسرائيلية – الغربية(٤٩).

٢. اعتبار إسرائيل قاعدة متقدمة لاستراتيجية الوجود الغربي في الوطن العربي ، هذه الاستراتيجية المؤسسة على حماية مصالح الغرب في الوطن العربي وبخاصة النفط[٥٠].

٣. الحفاظ على الحدود الدولية التي رسمها الغرب للوطن العربي، وبخاصة ما فرضته اتفاقية سايكس–بيكو عام ١٩١٦.

وبعد عام ١٩٦٧ تطور الموقف الأوروبي تجاه الصراع العربي – الصهيوني، بشكل إيجابي، حيث بدأ الأوروبيون بفهم أكبر لعدالة المطالب العربية، وبخاصة بعد الدعم الأوروبي لقرار مجلس الأمن الدولي رقم ٢٤٢، الذي صدر في ٢٢ تشرين الثاني ١٩٦٧ في أعقاب حرب الخامس من حزيران عام ١٩٦٧. وفي هذه المرحلة، وجدت أوروبا نفسها في مناخ إقليمي ودولي مختلف ، ولأهمية إستتباب السلام في منطقة حوض البحر الأبيض المتوسط ، وتأثير ذلك على مصالحها الجيو – استراتيجية ، بدأ الموقف الأوروبي يدعو إلى حق تقرير المصير للشعب الفلسطيني، إثر المواقف المشتركة التي أعلنتها وتبنتها المجموعة الأوروبية في مؤتمراتهم المختلفة، وبخاصة مواقف وهي بريطانيا وفرنسا وألمانيا الغربية وإيطاليا[٥١].

وبعد حرب ٦ أكتوبر ١٩٧٣ ، تواصل الموقف الأوروبي الإيجابي تجاه الصراع العربي – الصهيوني، حيث تم التأكيد الأوروبي على قرار مجلس الأمن الدولي رقم ٣٣٨ الذي صدر في ٢٢ تشرين الأول عام ١٩٧٣ في أعقاب حرب أكتوبر ١٩٧٣، إضافة إلى تبني الموقف الأوروبي استراتيجية الحل الشامل[٥٢]، والتأييد المتواصل لحد عادل وشامل للصراع "الشرق أوسطي"، والاعتراف بحق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره[٥٣].

كما توالت البيانات الأوروبية المؤيدة لحقوق الشعب الفلسطيني، وبخاصة بيان كل من البندقية عام ١٩٨٠، ولوكسمبورغ في نسيان عام ١٩٨٥. وجاء الاعتراف الأوروبي، وبشكل رسمي، بالحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني على لسان "كارينغتون"، الناطق بلسان المجموعة الأوروبية في الجمعية العامة للأمم المتحدة ، وذلك في دورتها الرابعة والثلاثين المنعقدة في أيلول/سبتمبر ١٩٧٩[٥٤].

وقد كانت القضية الفلسطينية وتفاعلات الصراع العربي – الصهيوني، تأثير مباشر على السياسات الخارجية الأوروبية ، سواء فيما يتعلق بالعلاقات الأوروبية – البينية ، والمتمثلة في المجموعة الأوروبية ، أو العلاقات الأوروبية – العربية ، والتي يمثلها الحوار العربي – الأوروبي(٥٥). وأخذت هذه السياسة الخارجية والأوروبية، بدعم طروحات الخيار السلمي بين العرب وإسرائيل ، التي أقرتها الأمم المتحدة ضمن قراري مجلس الأمن ٢٤٢ و ٣٣٨، والمتعلقين بالقضية الفلسطينية، إضافة إلىمؤتمر جنيف الذي عقد في عام ١٩٧٤ . كما أكدت المجموعة الأوروبية على هذه السياسة في بياناتها المتوالية التي صدرت في لندن عام ١٩٧٧ ، والبندقية في حزيران/يونيو ١٩٨٠ ، ودبلن في كانون الأول ١٩٨٤. وقد أكدت هذه البيانات، في معظمها، على حق تقرير المصير للشعب الفلسطيني ، مع الإشارة إلى اشراك منظمة التحرير الفلسطينية في أي تسوية محتملة للصراع(٥٦).

إلا أن الموقف الأوروبي تجاه الصراع العربي الصهيوني وحتى مؤتمر مدريد للسلام في ١٩٩١/١٠/٣١، بقي محكوماً بمعطيات عديدة، وهي:

أ . طبيعة الموقف الأمريكي تجاه الصراع العربي – الإسرائيلي ، والمؤيد بشكل مطلق لإسرائيل.

ب. المصالح الأوروبية مع إسرائيل .

ج. دور اللوبي الصهيوني في رسم السياسة الخارجية للدول الأوروبية .

د . عدم تفعيل الإمكانيات العربية في التأثير على السياسة الأوروبية ، بالرغم من المصالح الجيو – سياسية لأوروبا في الوطن العربي .

وبالرغم من ذلك ، فقد حظيت الانتفاضة الفلسطينية التي بدأت في كانون الثاني ١٩٨٧، باهتمام الرأي العام الأوروبي وتأييده على المستويين ، الشعبي والرسمي ، وأخذ الموقف الأوروبي، بالتأكيد مجدداً على الحل السلمي الشامل للصراع العربي – الإسرائيلي(٥٧).

إن هذا الموقف، لم يكن بمنأى عن التطورات السياسية في الوطن العربي، حيث تنامى المد الإسلامي في كل من مصر و الأردن والجزائر والمغرب وتونس ، وتصدر كل من حزب الله اللبناني وحركة المقاومة الإسلامية – "حماس" الصراع مع إسرائيل في الجنوب اللبناني وفلسطين ، هذه الحالة تزامنت مع صحوة إسلامية متجددة بعد انهيار الاتحاد السوفيتي، تمثلت في استقلال الجمهوريات الإسلامية عن الاتحاد السوفيتي السابق، والحرب في يوغسلافيا بين المسلمين البوسنيين والعرب، بالإضافة إلى تنامي المد الإسلامي في أوساط المسلمين الأوروبيين، وبخاصة في فرنسا وبريطانيا وألمانيا. هذه المعطيات كان لها تأثير واضح على القرار السياسي الأوروبي، لمواصلة تبني موقف أكثر عدالة تجاه الحق العربي، إضافة إلى دعوة إسرائيل للانسحاب من الأراضي العربية المحتلة . هذا من جانب، ومن جانب آخر ، هذه المعطيات ساهمت في تجذر حالة المواجهة بين أوروبا والمد الإسلامي، التي قادت المواقف الأوروبية إلى تأييد أكثر لإسرائيل، وبخاصة على المستوى الشعبي مع اهتمام أكبر بمستقبل الشعب الفلسطيني ومنحه كيانه المستقل(٥٨).

ب . تشكل سياسة الولايات المتحدة الأمريكية تجاه الصراع العربي–الصهيوني :

وبالرغم من الأهمية المتطورة والمتزايدة للولايات المتحدة على الصعيد الدولي، بقيت حتى الحرب العالمية الأولى بعيدة عن لعب دور مؤثر في العلاقات الدولية . والمتتبع لتاريخ السياسة الخارجية الأمريكية بشكل عام، خلال هذه الفترة، وبخاصة تجاه الشرق، يجد بأنها محددة بطبيعة العلاقة بينها –أي الولايات المتحدة– من جهة، وبين الدول الاستعمارية من جهة أخرى(٥٩).

حيث بقيت السياسية الخارجية الأمريكية تجاه الوطن العربي ، حتى الحرب العالمية الثانية ، ضمن الإطار الاقتصادي والتفاعل التبشيري . إلا أن السياسة الأمريكية بقيت مدركة للأهمية الجيو – استراتيجية " لمنطقة الشرق الأوسط "، وهذا ما أكد عليه الأميرال الأمريكي "ماهان Mhan"، عام ١٩٢٠ ، بقوله "إن الشرق الأوسط، سواء أكان

مفهوماً استراتيجياً أم مفهوماً حدودياً للأجزاء الجنوبية للبحر المتوسط والامتداد الأسيوي، فإنه مرشح ليكون موقعاً للمواجه المستقبلية بين الاستراتيجيات المتصارعة.."[٦٠].

وبعد الحرب العالمية الثانية ، أصبح الصراع العربي – الصهيوني ، بالإضافة إلى الأهمية الجيو – استراتيجية والاقتصادية للشرق الأوسط ، من أهم المعطيات التي قادت إلى حضور أمريكي فاعل في السياسة الدولية، وبخاصة في التفاعلات الشرق أوسطية . وقد ساهمت الحركة الصهيونية ، بعد اجتماع الوكالة اليهودية عام ١٩٤٢ ، وتبنيها لبرنامج بيتمار Bietmar ،الداعي إلى الاعتماد على الولايات المتحدة الأمريكية، فيما يتعلق بتأسيس الدولة الصهيونية في تكوين الموقف الأمريكي تجاه الصراع العربي الصهيوني، وذلك خدمة للأهداف المستقبلية للحركة الصهيونية .

ويمكن استنتاج ثلاثة معطيات لا تستطيع السياسة الخارجية الأمريكية تجاوزها في "الشرق الأوسط" بشكل عام، والصراع العربي – الصهيوني بشكل خاص، وهي :

١. التأثير الصهيوني على الإدارة الأمريكية لتبني مواقف مؤيدة للمطالب الصهيونية في إقامة وطن قومي لليهود في فلسطين[٦١].
٢. ظهور الأهمية الاستراتيجية للنفط، عاملاً مؤثراً في السياسة الدولية ، حيث شكل النفط واستمرار تدفقه للآلة الصناعية الغربية.
٣. الإدراك الأمريكي للأهمية الاستراتيجية للوطن العربي في الصراعات الدولية أثناء الحرب العالمية الثانية وبعدها[٦٢].

وقد تفاعلت السياسة الأمريكية مع الصراع العربي الصهيوني، وبشكل مباشر في التأييد الأمريكي لخطة تقسيم فلسطين، وقد كان للولايات المتحدة دوراً كبير في صدور هذا القرار[٦٣]. ثم جاء الاعتراف الأمريكي رسمياً بإسرائيل دولة مستقلة ، وعلى لسان الرئيس ترومان Trumman، يوم ١٤ أيار ١٩٤٨ ، وهو اليوم الذي أعلن فيه حاييم وايزمان Weizman قيام دولة إسرائيل[٦٤].

كما جاء التأييد الأمريكي لقرار الجمعية العامة للأمم المتحدة رقم ١١١/١٩٤ في ١١ كانون الثاني عام ١٩٤٨ ، والمتعلق بقضية اللاجئين الفلسطينيين لاحتواء تبعات

العدوان الصهيوني على الحقوق العربية[٦٥]. وذلك بالرغم من قيام الولايات المتحدة بالضغط على إسرائيل لقبول عودة أعداد محدودة للاجئين الفلسطينيين، في مذكرة بعثتها الولايات المتحدة لإسرائيل في أيار ١٩٤٩ ، تؤكد على وجوب تقديم إسرائيل "لتنازلات" محدودة فيما يتعلق بمسألة اللاجئين ، والحدود وتدويل القدس[٦٦] ولتنفيذ السياسة الأمريكية تجاه الصراع العربي – الصهيوني الهادفة إلى توطين اللاجئين الفلسطينيين خارج فلسطين، جاء الدعم الأمريكي لإنشاء وكالة الأمم المتحدة لإنماء وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين (UNRWA) .

United Nations Relief and works agency for Palestine Refugees

هذه الوكالة جاء تأسيسها كمؤسسة دولية مؤقتة ، تنتهي بعودة اللاجئين الفلسطينيين إلى ديارهم، بناءً على قرار الجمعية العامة رقم ١٧/٣٠٢ في ٢ كانون الأول ١٩٤٩، إشارة إلى الفقرة ١١ من قرار الجمعة العامة رقم ١١/١٩٤[٦٧]، وقد شكل :

أ- وجود إسرائيل وأمنها.

ب- توطين اللاجئين الفلسطينيين في المناطق التي لجأوا إليها"[٦٨].

واستمرت السياسة الخارجة الأمريكية تجاه الصراع العربي – الصهيوني على انحيازها الكامل لجانب إسرائيل، بالرغم من موقفها شبه الحيادي تجاه العدوان الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦ . وبعد إنشاء منظمة التحرير الفلسطينية لم تعترف الولايات المتحدة الأمريكية بتمثيلها للشعب الفلسطيني، حتى عهد الرئيس كارتر، حيث أشار الرئيس الأمريكي الأسبق جيمي كارتر بأن " . . . منظمة التحرير الفلسطينية تمثل جزءاً كبيراً من الشعب الفلسطيني"[٦٩]. وهو تحول في الموقف الامريكي، عكس نيكسون الذي قال في عام ١٩٦٩ " . . بأن إسرائيل أصبحت تشكل جدار استراتيجياً يمكن الاعتماد عليه لحماية المصالح الأمريكية في الشرق الأوسط ، وإن إسرائيل شريك استراتيجي غير رسمي للولايات المتحدة الأمريكية [٧٠].

وبالرغم من موافقة الولايات المتحدة على صدور قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ في ٢٢ تشرين الثاني ١٩٧٣ في أعقاب حرب ١٩٦٧ ، إلا أنها لم تتخذ الخطوات الجادة لتنفيذ هذا القرار، كونها قوة عظمى لها حضورها في خريطة العلاقات الدولية، وتملك

حق النقض في مجلس الأمن، ودولة مؤثرة على الأطراف المعنية في الشرق الأوسط بشكل عام، وإسرائيل بشكل خاص .

إلا أن تبني الولايات المتحدة للسياسة الإسرائيلية ، واقعاً وطموحاً ، ومعارضتها لقيام دولة فلسطينية مستقلة، شكلاً حجر الزاوية للموقف الأمريكي تجاه الصراع العربي – الصهيوني ، بالرغم من إعلان وزارة الخارجية الأمريكية في ١٦ أكتوبر ١٩٧٣ ، إمكانية تأييدها لقيام دولة فلسطينية مستقلة ضمن تسوية شاملة للصراع في الشرق الأوسط. وإعلانها مرة أخرى، في أعقاب البيان المشترك بينها وبين الاتحاد السوفيتي في حزيران ١٩٧٣ في أعقاب زيارة الرئيس السوفييتي آنذاك، ليونيد برتجيف ، لواشنطن عن " ضرورة أخذ المصالح المشروعة للفلسطينيين بعين الاعتبار في أي تسوية مستقبلية للنزاع العربي – الإسرائيلي"[٧١].

وبالرغم من تأييد الولايات المتحدة لقرار مجلس الأمن رقم ٣٣٨ الصادر في ٢٢ تشرين الأول ١٩٧٣ الخاص بالصراع العربي الإسرائيلي، وتبنيها للمؤتمر الدولي لإحلال السلام في الشرق الأوسط، الذي عقد في جنيف يوم ٢١ كانون الأول ١٩٧٣، ولمرة واحدة، وشارك فيه كل من الأردن ومصر وإسرائيل والاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة الأمريكية والذي انتهى جدول أعماله في اليوم الأول هذا المؤتمر جاء بمبادرة أمريكية سوفيتية مشتركة، وتأييد من الأمم المتحدة[٧٢].

إلا أن الاستراتيجية الأمريكية استمرت وبشكل متواصل في دعم إسرائيل، وبخاصة بعد الغزو السوفيتي لأفغانستان عام ١٩٧٨، ووصول الثورة الإسلامية الإيرانية للحكم عام ١٩٧٩، وسقوط شاه إيران الحليف الاستراتيجي السابق للولايات المتحدة، ومنفذ سياستها في منطقة الخليج العربي، بالرغم من الدور الأمريكي الرئيسي في محادثات السلام المصرية – الإسرائيلية المتمثلة في معاهدة كامب ديفيد التي تم توقيعها في ٢٦ آذار/مارس ١٩٧٩[٧٣].

وجاء توقيع "إعلان الاتفاق الاستراتيجي الأمريكي – الإسرائيلي عام ١٩٨١، الذي وضع موضع التنفيذ عام ١٩٨٣ ، ليؤكد على خصوصية العلاقة الأمريكية مع

إسرائيل، وتميزها وتداخل معطياتها ومصالحها[٧٤]. كما أكدت مبادرة ريغان في ٢ أيلول –ديسمبر عام ١٩٨٢ المتعلقة بعلمية السلام في الشرق الأوسط نفس السياسة الخارجية الأمريكية نفسها الرافضة لإقامة دولة فلسطينية، والمنطلقة من مبدأ إقامة حكم ذاتي للفلسطينيين فقط، وكما جاءت به معاهدة كامب ديفيد[٧٥].

وبالرغم من هذا المشروع – القرار، فقد تواصلت المبادرات الأمريكية المتتالية والمتعلقة بالصراع العربي – الصهيوني، ومحاولة تسويته سلمياً وبطريقة تحافظ على المصالح الإسرائيلية. كمبادرة كل من: جورج شولتز عام ١٩٨٨، وزير الخارجية الأمريكي آنذاك، وجيمس بيكر عام ١٩٨٩، وزير الخارجية الأمريكي في عهد جورج بوش. هذه المبادرات جاءت بمثابة رد فعل على الأحداث والأزمات التي كانت تعيشها المنطقة جراء السياسات الإسرائيلية المستمرة في المنطقة والمبنية على عدم الاعتراف بالحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني ورفض الانسحاب من الأراضي العربية المحتلة[٧٦].

إلا أن انهيار الاتحاد السوفيتي ، ونتائج حرب الخليج الثانية ، وتراجع دور القوة العسكرية العراقية ، بالإضافة إلى الانتفاضة الفلسطينية ، هذه العوامل قادت إلى مؤتمر مدريد الذي انعقد في ٣١ تشرين الأول ،١٩٩١ بقيادة أمريكية وبمشاركة سوفيتية في البداية وروسية فيما بعد ، وبدعم وتأكيد أوروبي[٧٧].

هذا الموقف تزامن مع سياسة الاحتواء الأمريكية التي سادت طوال فترة الحرب الباردة ، لكل من : المد الشيوعي من جهة ، والحركات السياسية المناهضة للسياسة الأمريكية في الوطن العربي من جهة أخرى ، وذلك من أجل المحافظة على المصالح الاستراتيجية الأمريكية في الوطن العربي والمنطقة[٧٨].

وهذه بالحفاظ على أمنها ووجودها[٧٩].

وقد انطلقت الاستراتيجية الأمريكية تجاه الصراع العربي –الصهيوني بعد تأسيس إسرائيل عام ١٩٤٨ وخلال الحرب الباردة من :

أ . شمولية المصالح الأمريكية العالمية تقتضي وجود نقاط ارتكاز وقواعد متقدمة للحفاظ على هذه المصالح، وكانت إسرائيل إحدى هذه النقاط الارتكازية للمحافظة على المصالح الأمريكية الحيوية في الوطن العربي والتي تشمل، النفط[٨٠] .

ب . ارتباط المصالح الأمريكية العالمية بشكل عام، والشرق أوسطية بشكل خاص، بسياسة الهيمنة والاستحواذ والاحتواء لكل من الشيوعية وسياسة الاتحاد السوفيتي، والحركات القومية في الوطن العربي[٨١].

رابعاً: تأثير الإسلام السياسي على سياسة الغرب تجاه الصراع العربي – الصهيوني

أكد المؤرخ البريطاني"أرنولد توينبي" Aronld Toini ظلم الموقف الغربي حينما أقر بقوله: "... إنني باعتباري بريطانياً أشعر بالمشاركة في المسؤولية ضد الفلسطينيين من خلال تصرفات بلادي السابقة"[٨٢].

ورغم ذلك فقداستمرت سياسة هاتين الدولتين بناءً على المعطيات التالية :

١. محاولة وضع حد للوجود العثماني في أوروبا[٨٣].
٢. العمل على تفكيك الدولة العثمانية داخلياً ، واقتطاع ولاياتها العربية الواحدة تلو الأخرى، هذا من جانب .
٣. مساعدة الدولة العثمانية في إحباط أي توجه استقلالي وحدودي لولاياتها العربية، من جانب آخر .

وقد تفاعلت الفكرة العقيدية الصهيونية، باعتبارها استعماراً استيطانياً عنصرياً، مع التجسيد الحي للفكرة الغربية الاستعمارية في تطبيقاتها العملية السابقة في كل من ، الأمريكيتين والكونغو وجنوب أفريقيا والجزائر...الخ[٨٤].

إضافة إلى الدور الذي لعبته جماعات الضغط الصهيونية ، والمؤسسات المرتبطة بها في تشويه صورة العرب والمسلمين في الغرب، ومن خلال الإعلام الغربي نفسه، ونقله هذه الصورة للرأي العام العالمي، بطريقة غير عادلة ومشوهة، وبصورة متناقضة

مع المعطيات المادية والمعنوية للحضارة الغربية[٨٥]، مما قاد الغرب إلى فهم مغلوط للحضارة العربية الإسلامية. وبعد قيام الدولة الإسرائيلية في عام ١٩٤٨ ، أصبحت العلاقة العربية الغربية محكومة بحالة تطور الصراع العربي–الصهيوني[٨٦].

وقد ارتبط مفهوم الغرب عن الإسلام "بحركة الإخوان المسلمين"، التي أسسها الشيخ حسن البنا عام ١٩٢٨ ، و "جماعة إسلامي" ، التي أنشأها أبو الأعلى المودودي في القارة الهندية عام ١٩٤١. وتعد هاتان الحركتان الأساس الذي تفرعت عنه الجماعات الإسلامية السياسية فيما بعد[٨٧].

كما أسهم الإعلام الغربي في تشويه صورة الإسلام السياسي، حيث أظهره على أنه ظاهرة سياسية مطلقة، دون مراعاة لجوانبه الفكرية والعقيدية وشموليته الوجودية، وهذا أدى إلى اعتقاد الغرب، بأن الإسلام السياسي، عدو قائم ومحتمل للحضارة الغربية . وقد انعكس ذلك على الموقف الغربي تجاه الصراع العربي – الصهيوني ، هذا الموقف الذي كان وما زال مناصراً للجانب الإسرائيلي على حساب الحقوق العربية في فلسطين[٨٨].

ومن هنا انطلق الغرب وفي محاولتهم لاحتواء المد الإسلامي والنهوض العربي ، تبني الدعم الكامل واللامحدود لإسرائيل من جهة ، والاعتماد على الغزو الفكري والثقافي الغربي تجاه العالم الإسلامي بشكل عام والعرب بشكل خاص من جهة أخرى إضافة إلى استخدمه للقوة في مواجهة الإسلام السياسي وطروحاته[٨٩].

ويحكم وجهة النظر الغربية تجاه الإسلام السياسي مزاعم العديد من المفكرين الغربيين، الذين يؤكدون على تواصل حتمية الصراع بين الإسلام والغرب، وعلى رأس هؤلاء المفكرين، "أوليفر بادربون Oliver Paderborn" ... الذي يزعم أن الإسلام أستهل وانتشر بقوة السيف ، وبالسيف يمكن القضاء عليه"[٩٠]. وعلى الرغم من إنكار الغرب لدور إسرائيل في تشكيل النظرة الغربية تجاه الإسلام السياسي، وعدم وجود دور للإسلام السياسي في الانحياز الغربي لجانب إسرائيل ، بالإضافة إلىالتأكيد على أن السياسة الغربية تجاه الإسلام السياسي لا علاقة لها بموضع الصراع العربي –

الصهيوني، إلا أن الواقع يؤكد بأن الصراع العربي – الإسرائيلي ودور الغرب فيه ، هو جزء من سياسة الغرب تجاه الإسلام السياسي(٩١).

وقد صور الإعلام الصهيوني ، بعد انهيار الاتحاد السوفيتي وانتهاء الخطر الشيوعي، بأن الإسلام السياسي هو الخطر القادم الذي يهدد الحضارة الغربية . كما يؤكد العديد من الباحثين بأن للأحداث الدولية في العقد الراهن، الذي شهد تشكل الموقف الرسمي والشعبي للغرب تجاه الإسلام السياسي، يرى أن للسياسة الإسرائيلية دوراً في رسم السياسة الغربية وتوجيها تجاه ظاهرة الإسلام السياسي . ويؤكد على هذا الدور، ما قام به ويقوم به، قادة إسرائيل في هذا المجال، ففي خطاب أمام البرلمان البولندي، زعم "حاييم هرتزوغ" الرئيس الإسرائيلي السابق، أن الداء هو الأصولية الإسلامية التي تنتشر بسرعة، وتشكل خطراً ليس على الشعب اليهودي وحده وإنما على الإنسانية بشكل عام أيضاً"(٩٢). في حين إدعى "إسحق رابين، رئيس وزراء إسرائيل الأسبق ، بأن "...الخطر الإسلامي –وبخاصة إيران– يمثل التهديد نفسه الذي كانت موسكو تمثله في الماضي(٩٣).

ونتيجة لهذه التوجهات – الغربية الصهيونية – تجاه الإسلام السياسي،كان الأخير أول المتهمين في تفجير مركز التجارة العالمي في نيويورك في شباط/فبراير ١٩٩٣ . إذ أعلن الرئيس الأمريكي "بيل كلنتون" حينها – أن الأصولية الإسلامية المدعومة من إيران، هي المسؤولة عن هذا الإنفجار وأنها تسعى إلى تقويض الحضارة الغربية"(٩٤). في حين زعم شمعون بيرس رئيس وزراء إسرائيل السابق أن : ". . . الأصولية الإسلامية أعظم أخطار العصر بعد انهيار الشيوعية.."(٩٥)، وادعى في مكان آخر أن " الأصولية الإسلامية أشد خطراً من النازية والشيوعية، وبأنها – أي الأصولية الإسلامية – تتبنى الشعار الميكيافيلي القائل بأن الغايات تبرر الوسائل ، بحيث يجيز لها ذلك الكذب والتخريب والقتل...!!(٩٦).

ويعتقد العديد من المراقبين وعلى رأسهم كل من : "سيويسولوني وآرثر لوري"، أن وجهة نظر الغرب تجاه الإسلام السياسي ومن ثم تجاه الصراع العربي – الإسرائيلي ، تنبع من وجهة نظر إسرائيل في ذلك، وبهذا يؤكد على دور إسرائيل وتأثيرها الكبير،

الواضح في تشكل وتوجيه السياسة الغربية، وبخاصة السياسة الأمريكية تجاه الإسلام السياسي[٩٧].

وفي إحصائية للرأي العام الأمريكي تجاه المسلمين والعرب والإيرانيين ، أوضحت النتائج أن نسبة ٤٤% " من العينة يعتقد بأن المسلمين –جميعهم أو معظمهم– برابرة، "في حين وصفهم نسبة ٤٩% "بالغادرين والماكرين"، ووصفتهم نسبة ٥٠ % "بالمولعين بالحرب والسفاحين"[٩٨]. هذا الرأي البعيد عن المصداقية والتجرد والحيادية، جاء نتيجة لدور الإعلام الإسرائيلي والصهيوني في توجيه نظرة الغرب تجاه المسلمين، وانعكس بالتالي على الموقف الغربي تجاه الصراع العربي – الصهيوني.

وبالرغم من أن النتائج المستخلصة جراء بعض عمليات العنف التي شهدها الغرب، وبخاصة الولايات المتحدة في السنوات الأخيرة، أثبتت، أن المسلمين لا علاقة لهم بذلك، وأن وراء هذه الأعمال جماعات غربية، كانفجار أوكلاهوما في نيسان ١٩٩٥، إلا أن ذلك لم يغير من وجهة النظر الغربية السلبية تجاه الإسلام السياسي. ولم يحاول الغرب فهم ظاهرة تبني بعض الجماعات الإسلامية لسياسة العنف والقوة، بأنها نتيجة للحرب التي يشنها الغرب نفسه على هذه الجماعات من جهة، وأنها بمثابة رد فعل للدعم الغربي اللامحدود لدولة إسرائيل، وبخاصة ما يتعلق باحتلال مدينة القدس ، التي تحظى بمكانة مهمة في العقيدة الإسلامية، وتعتبر جوهر الصراع العربي–الصهيوني[٩٩].

خامساً ـ الخاتمة

ارتبط العرب والمسلمون بعلاقات تاريخية مع الغرب ، نتيجة للجوار الجغرافي والتفاعل الحضاري المستمر ، إلا أن تاريخ هذه العلاقات لم يكن في كل الأحوال علاقات تعاون وسلام، وإنما كانت هنالك محطات عديدة في التاريخ العربي الإسلامي و الأوروبي، شهدت العديد من الحروب والتناقض في المصالح، وعلى رأسها الحروب الصليبية وحقبة الهيمنة الاستعمارية الغربية على مقدرات الأمن القومي العربي، التي

استمرت منذ العقد الثالث من القرن التاسع عشر إلى بداية النصف الثاني من القرن العشرين .

إن اقتطاع فلسطين، والدعم المطلق لإسرائيل وعدوانها على الأمة العربية، جعل العلاقة بين العرب والغرب علاقة يشوبها العداء حيناً، وعدم الثقة والحذر حيناً آخر، بالرغم من العلاقات السياسية أو الاقتصادية أو العسكرية بين هذا القطر العربي أو ذاك مع الغرب.

فالحركة الصهيونية نشأت وترعرعت في رحم الغرب ، حيث جسد وعد بلفور عام ١٩١٧ ودعوته لإقامة وطن قومي لليهود في فلسطين ، وعلى لسان وزير خارجية بريطانيا آنذاك "ريتشلد بسلفور" ، حجر الزاوية للسياسة البريطانية الغربية الأولى التي هيأت الظروف الموضوعة والقانونية لإنشاء دولة إسرائيل.

وجاء تبني الولايات المتحدة لإسرائيل الخطوة التالية في تاريخ الصراع العربي – الصهيوني، إذ أصبحت إسرائيل تشكل حلقة مهمة من الركائز الأساسية للسياسة الخارجية الأمريكية. وواصلت الولايات المتحدة ما بدأته بريطانيا فيما يتعلق بتأسيس الدولة الصهيونية في فلسطين، وقد شكل توالي الدعم الأمريكي بشكل خاص ، والغربي بشكل عام لإسرائيل، رد فعل عربياً وإسلامياً تمثل في حالة العداء العربية والإسلامية للغرب في حقبة الحرب الباردة .

وقد أدى انهيار الاتحاد السوفيتي، وحرب الخليج الثانية، وتدمير القوة العراقية، وحروب الإبادة للمسلمين في كل من، البوسنة وكشمير وأفغانستان، وهزيمة الشيوعية، وانهيار الاتحاد السوفيتي وتفككه، وتفرد الولايات المتحدة بقيادة النظام الدولي في المرحلة الراهنة، إضافةً إلى الحرب غير المعلنة التي شنها الغرب على العالم الإسلامي بشكل عام إلى بروز ظاهرة الإسلام السياسي التي كانت بمثابة رد فعل للسياسة الغربية العداونية تجاه الإسلام السياسي، وللتحدي الغربي للعالم الإسلامي. وتمثل ذلك في مقاومة المصالح الغربية في الدول الإسلامية وخارجها .

كما أدى استمرار الاحتلال الإسرائيلي للأراضي العربية ، إلى تبني الحركات الإسلامية لأسلوب المواجهة مع إسرائيل، وبخاصة المقاومة الإسلامية (حماس)، والجهاد الإسلامي في فلسطين، وحزب الله في لبنان . هذا بالإضافة إلى العنف المسلح بين الحركات الإسلامية من جهة، الأنظمة العربية من جهة أخرى، كما هو الحال في الجزائر. هذه الحالة أدت إلى تمترس الغرب وإسرائيل في جبهة واحدة ، وشنهم حرباً ضد هده الحركات، الذي أدى إلى تجذر تأييد الرأي العام الغربي لإسرائيل، وتواصل الدعم الغربي لوجودها على حساب الحقوق العربية.

وإذا كان الإسلام السياسي الراهن قد أسهم في تفعيل العلاقات الغربية مع إسرائيل وتطورها، وتواتر الدعم المالي والمعنوي الغربي لسياساتها في المنطقة، فإنه – أي الإسلام السياسي – لم يكن السبب في إيجاد العلاقات العدائية بين العرب وإسرائيل، لأن هذه العلاقة وجدت في ظل ظروف ومعطيات لم يكن الإسلام السياسي قد أخذ موقعه على خارطة العلاقات الإقليمية والدولية. فقد تمت هذه العلاقات وتطورت لخدمة المصالح الغربية في الوطن العربي، ووضع حد للتواصل العقيدي والقومي بين أطراف النظام العربي من جهة، وبينها وبين الدول الإسلامية من جهة أخرى، وفي فترة كانت الأمة العربية معطلة الإرادة، وخاضعة للاستعمار الغربي نفسه . كما أن الإسلام السياسي لم يفرض المواجهة مع الغرب، وإنما الغرب، وفي سعيه لإيجاد عدو!! بعد انتهاء العداء مع الشيوعية ، وجد في الإسلام السياسي ضالته ، باعتبارها حالة يمكن أن تهدد الأطماع التوسعية للحضارة الغربية، الأمر الذي أدى إلى فرض الغرب المواجهة مع الإسلام السياسي ، حيث وجد في هذه المواجهة مبرراً آخر ، لمواصلة دعمه لإسرائيل ولمواقفها في إطار الصراع العربي– الصهيوني، سواء في حالات الحرب أو حالات اللاحرب واللاسلم، أو حالة السلام الراهنة المتعثرة.

سادساً : ثبت المصادر والمراجع – الهوامش

١. Daher, Adel ,"Philsophy Vs Islamic Fundamentalism" Al - Nadwah volume٢ , No.١, Rajab, ١٤١٠ A.H/Feb. ١٩٩٠,p.p ١٩-٢٠.

٢. هويدي ، فهمي " حاضر الصحوة الإسلامية ومستقبلها " النـدوة ، المجلـد الأول، العدد الأول ، جمادى الأولى ١٤٠٩هـ/كـانون الأول ١٩٨٨ ،جمعيـة الشـؤون الدولية، عمان – الأردن، ص٧-٩.

٣. المرجع نفسه، ص٧.

٤. ربيع ، أ.د. حامد ، " المتغيرات الأساسية للوظيفة الدولية للإسلام السياسي: إعادة البناء الأيدلوجي "، قضايا دولية ، العدد ٣١٠ ، السنة السادسـة، الاثنـين ١٧-٢٣ رجب ١٤١٦هـ/١١-١٧ ديسمبر ١٩٩٥م ، معهد الدراسات السياسية ، إسلام أباد – باكستان.

٥. هويدي ، " حاضر الصحوة الإسلامية ومستقبلها " مرجع سابق ، ص٧-٨

٦. Robert, Kilroy-silk in Daily Express, quoted in "East, west, Talk is Best" by Akbar ahmed, Times Higher educational Supptement. Jan.١٩٩٧.

٧. الغنوشي ، رشيد والترابي ، حسن ، الحركة الإسلامية والتحـديث ، مكتبـة دار الفكر، الخرطوم، ١٩٨٠، ص ١٨٩-١٩١ .

٨. البستاني ، د.فاتن ، " الخوف من الإسلام : ملامحه وأخطاره " المنتدي ، المجلـد الثاني عشر، العدد ١٤٠ أيار، مايو ١٩٩٧، منتدى الفكر العربي، عمـان-الأردن، ص٩.

٩. هويدي ، " حاضر الصحوة الإسلامية ومستقبلها " ،مرجع سابق ، ص٨-٩ .

١٠. المرجع نفسه، ص١٠ .

١١. المرجع نفسه، ص١١ .

١٢. Esposito, Jhon, "The Islamic role in the Political & Social Development", Al-Nadwah, Vol.١, Issue No. .٦. Sep. ١٩٨٩. The world Affairs Council, Amman - Jordan, P.٤-٨.

١٣. ربيع،"المتغيرات الأساسية للوظيفة الدولية للإسلام السياسي"، مرجع سابق،ص٣٣.

١٤. Esposito, "The Islamic role in the Political & Social development", op.cit., P.٦.

١٥. جابر ، د.حسن ، " الأمة والتحديات : الانبثاق الجديد " ، المنطق ، العـــدد ١٠٦، شتاء ١٩٩٤ -١٤١٤هـــ ، الاتحاد اللبناني للطلبة المسلمين ، لبنان ، ص٦-٧ .

١٦. فضل الله ، العلامة محمد حسين ، " الحركة الإسلامية أمام تحدي المتغيـــرات " ، المنطق ، المرجع السابق نفسه، ص٩-١١ .

١٧. هويدي ، " حاضر الصحوة الإسلامية ومستقبلها " ، مرجع سابق ، ص١٠-١١ .

١٨. عبد الوهاب، أيمن، "حركات الإسلام السياسي ونمط جديد في التفاعلات العربية"، السياسة الدولية ، السنة التاسعة والعشرون ، العدد ١١٣ ، يوليو ١٩٩٣ ، الأهـــرام، القاهرة - جمهورية مصر العربية ، ص٨٨-٩٠ .

١٩. لمزيد من التفاصيل أنظر : الغزالي، " الإسلام والعنف فـــي السياســـة الدوليـــة" ، السياسة الدولية، مرجع سابق، ص ٧١ وما بعدها؛ العشماوي، محمد سعيد، الاسلام السياسي، القاهرة، ١٩٩٢.

٢٠. ناجي، د. عبد الجبار وذنون، د. عبد الواحد، أثر الحضارة العربية الإسلامية فـــي الفكر الغربي، سلسلة المائدة الحرة، تموز ١٩٩٧، بيت الحكمة، بغداد - جمهوريـــة العراق، ص ٨-١١.

٢١. عبد الله، ثناء فؤاد، " إشكاليات التفاعل والحوار الحضاري بين العرب والحضارة الغربية في إطار متغيرات العالم الجديد"، المستقبل العربي، العدد ١٦٧، ١٩٩٣/١، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت - لبنان، ص ٥٩.

٢٢. شرف د. محمد جلال، نشأة الفكر الإسلامي وتطوره في الإسلام، دار النهضـــة، بيروت، ١٩٨٢، ص ١١٢- ١١٣.

٢٣. كير، هـ. مالكوم، ندوة حركة الإحياء الإسلامي ومظاهرها المعاصرة"، السياسة الدولية، السنة ١٦، العدد ٦١، تموز/يوليو ١٩٨٠، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية، الأهرام، القاهرة – جمهورية مصر العربية، ص ١٦٢– ١٦٣.

٢٤. Naser, Seyyed Hossein, "Islam and the West: Yesterday and Today", The American Journal of Islamic Social Sciences, Vol. ١٣, Winter ١٩٩٦, Number ٤.P.P,. ٥٥٠–٥٧٠.

٢٥. علوش، ناجي، "الإسلام والغرب"، دراسات عربية ، دار الطليعة، العدد ٤/٣، السنة الرابعة والثلاثون، كانون الثاني/شباط/يناير– فبراير ١٩٩٨، دار الطليعة، بيروت – لبنان، ص ٩–١٣.

٢٦. العشماوي، الإسلام السياسي، مرجع سابق، ص ٨٣؛ السماك، محمد، " في آفاق العلاقات والإسلام والغرب"، (١–٢)، الاتحاد الظبيانية، ١٧ ذي القعدة ١٤١٧هـ/ ٢٦ مارس/آذار ١٩٩٧، ص ٢٢.

٢٧. عبد الله، "إشكالية التفاعل والحوار الحضاري بين العرب والحضارة الغربية في إطار متغيرات العالم الجديد "مرجع سابق، ص ٥٩.

٢٨. المرجع نفسه، ولمزيد من التفاصيل أنظر : هانتنغتون، صاموئيل، "الموجة الثالثة للديمقراطية"، كتاب الديمقراطية، (مركز دراسات التنمية السياسية الدولية، شباط/فبراير ١٩٩٢)، ص ٤٣–٤٦.

٢٩. عبد الله، ثناء فؤاد "إشكالية التفاعل والحوار الحضاري بين العرب والحضارة الغربية في اطار متغيرات العالم الجديد"، مرجع سابق، ص٥٩.

٣٠. المرجع نفسه، البستاني، "الخوف من الإسلام : ملامحه وأخطاره"، مرجع سابق، ص٨.

٣١. عبد الله "إشكالية التفاعل والحوار الحضاري بين العرب والحضارة الغربية في إطار متغيرات العالم الجديد" مرجع سابق، ص ٥٩–٦٠؛ مراد، د. علي عباس، "الخطاب السياسي الإسلامي وتحديات الأنموذج الديمقراطي الغربي"، دراسات عربية، العدد ٢/١، السنة الثلاثون، تشرين الثاني - كانون الأول،

نوفمبر/ديسمبر١٩٩٣، دار الطليعة، بيروت - لبنان، ص ١٤-١٥؛ أومليل، د.علي، "عن الإسلام والغرب"، المنتدى، المجلد التاسع، العدد ١٠٨، أيلول / سبتمبر ١٩٩٤، منتدى الفكر العربي، عمان - الأردن ص ٣-٤.

٣٢. السعيد، حسن، "الإسلام والغرب : المقدمات المعرفية للمواجهة، القسم الثاني، التوحيد، العدد ٨٥، السنة الخامسة عشرة، رجب ١٣١٧هـ/ كانون الأول ١٩٩٦، قم - الجمهورية الإسلامية الإيرانية، ص ١١٤-١١٧.

٣٣. السعيد، حسن، " الإسلام والغرب : المقدمات المعرفية للمواجهة"، القسم الأول، التوحيد العدد ٨٤، السنة الخامسة عشرة، جمادى الأولى ١٤١٧هـ/ تشرين الأول ١٩٩٦، الجمهورية الإسلامية الإيرانية ص ٧٥-٧٩.

٣٤. شبيب، نبيل، " الناتو يعلن الحرب على الأصولية الإسلامية" قضايا دولية، العدد ٢٦٨، السنة السادسة، الإثنين ٢١-٢٧، رمضان ١٤١٥هـ/٢٠-٢٦فبراير ١٩٩٥، معهد الدراسات السياسية، إسلام أباد - باكستان، ص ٢٢ن٢٤، أومليل، د. علي " حلف الأطلسي والإسلام" - المنتدى، المجلد العاشر، العدد ١١٤، آذار - مارس ١٩٩٥ منتدى الفكر العربي، عمان - الأردن، ص ٣.

٣٥. فهمي، هويدي، " هاجز الصحوة الأسلامية ومستقبلها"، المنتدى، العدد ٤٤، المجلد الرابع، أيار/مايو ١٩٨٩، منتدى الفكر العربي، عمان - الأردن، ص ٢٧-٢٩، شبيب، نبيل، " حوار الغرب مع العالم الإسلامي: شروطه وموقعه، قضايا دولية، العدد ٣٠٨، السنة السادسة، الاثنين ٣-٩ رجب ١٤١٤هـ/ ٢٧ نوفمبر - ٢٣ ديسمبر ١٩٩٥، معهد الدراسات السياسية، إسلام أباد - باكستان، ص ١٩-٢١.

٣٦. شبيب، نبيل، "الرئيس الألماني والإسلام في المانيا " قضايا دولية، العدد ٣١٣، السنة السابعة، الاثنين، ٨-١٤ شعبان/ ١٤١٦ه/ ١ - ٧ يناير ١٩٩٦، مركز الدراسات السياسية - إسلام أباد- باكستان، ص ١١؛ الجاسور، ناظم عبد الواحد، " الموقف الفرنسي من الإسلام السياسي في الجزائر: أبعاده الإقليمية والدولية، المستقبل العربي، ١٢،٢٠٢/١٩٩٥، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت -

لبنان، ص ٤٣، ٤٥؛ نيلسن، يورغن، " المسلمون في أوروبا الغربية " الندوة، المجلد السادس، العدد الرابع، جمادى الأولى ١٤١٦هـ / تشرين الأول ١٩٩٥م، جمعية الشؤون الدولية، عمان – الأردن ص ٢١-٢٧؛ أبو حسان، محمد، " الأقليات الإسلامية بين تحديات الحاضر وآمال المستقبل "، الندوة، المجلد السادس، العدد الرابع، جمادى الأولى ١٤١٦هـ / تشرين الأول ١٩٩٥م، جمعية الشؤون الدولية، عمان – الأردن ص ٥٤ وما بعدها.

٣٧. أوغولو، أكمل الدين، "أوروبا والإسلام: تحديات وآفاق جديدة"، الندوة المجلد السادس، العدد الرابع، جمادى الأولى، ١٤١٦هـ – تشرين الأول ١٩٩٥، جمعية الشؤون الدولية، عمان– الأردن، ص ٤٦-٤٨؛ السيد، رضوان، " حركات الإسلامية السياسي والمستقبل"، الندوة، العدد نفسه.

٣٨. قارن مع، النيفر، أحمد، "الحوار الإسلامي المسيحي والمسألة العقيدية: إضاءة من الجهة المغربية"، الندوة، المجلد الثامن، العدد الرابع، رجب ١٤١٨هـ تشرين الثاني ١٩٩٧، جمعية الشؤون الدولية، عمان – الأردن، ص ٢-٧؛ قضايا دولية" نسق التعامل الفرنسي مع الإسلام والمسلمين "، العدد ٢٥٦، السنة الخامسة، الإثنين ٢٤ جمادى الثاني – رجب ١٤١٥هـ / ٢٨ نوفمبر – ٢٤ ديسمبر ١٩٩٤، معهد الدراسات السياسية، إسلام أباد – باكستان، ص٢١.

٣٩. لينوفسكي، جورج، الشرق الأوسط بالشؤون العالمية، ترجمة جعفر خياط، مكتبة المتنبي، بغداد، ١٩٦٤، ص ٢-٣.

٤٠. Kayyali, A.W, Palestine – A modern History, (London, ١٩٧٨), P.١٣.

٤١. Hurewitz, J.C, Diplomacy in the Near and Middle East, (NewJersey ١٩٥٦). Voll, ١١,P.١٩;

٤٢. Stein, Leonard, The Balfour Decle-ration, (London. ١٩٦١), PP.٦٦-٦.

٤٣. Al-Hout, Bayam Nawaihed, “The Nature of The Palestine Liberation Organization: The Identity)in : UN The Fourth United Nations Seminar on The Question of Palestine, ٣١ August ,٤-Sep. ١٩٨١, Havana (New York, ١٩٨١) P.٣٠-٣١.

٤٤. British white Papers Command ٦٠١٩, (١٩٣٩).

٤٥. Shadid, Mohammed K. The Uniyed States and The Palistinians, (London ١٩٨) P.٣١-٣٢.

٤٦. Report of the Anglo - American Committee of Enquiry, command paperes ٦٨٠٨, (London:HMSO), ١٩٤٦).

٤٧. General Assembly Official Record (GAORo), Session ٢, Vol, ١.P.٥٤.

٤٨. Lorch, Nathaniel, The Edge of the Sword: Israel"s War Independence (١٩٤٧-٤٩), (New York, ١٩٦١), P.٨٦-٨٨.

٤٩. نوفل، د. أحمد سعيد، "حقيقة الموقف الفرنسي من الصراع العربي-الإسرائيلي" المستقبل العربي، السنة الثامنة، العدد ٧٨، آب ١٩٨٥، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت-لبنان، ص ٢٨-٣٩.

٥٠. الأزهري، محمد خالد، " المجموعة الأوروبية وقضية فلسطين، المطالب العربية والمواقف الأوروبية" مجلة صامد الاقتصادية، السنة الثامنة، العددان ٦٣و٦٤، أيلول ١٩٨٦، ١٣٠- ١٣١.

٥١. " دول أوروبا الغربية والرغبة في عملية السلام، " السياسة الدولية، السنة الخامسة، العدد ٥٥ يناير ١٩٧٩، ص ٢٤١-٢٤٣.

٥٢. الأزهري، محمد خالد، " المجموعة الأوروبية وقضية فلسطين : ١٩٦٤ - ١٩٨٥"، المستقبل العربي، السنة العاشرة العدد ١٠١، تموز/يوليو ١٩٨٧، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت – لبنان، ص ٧٠.

٥٣. Frangi, Abdallah, The PLO. and Palestine, (London, ١٩٨٢), P.١٣٢.

٥٤. الأزهري، "المجموعة الأوروبية وقضية فلسطين : ١٩٦٤-١٩٨٥ "، مرجع سابق، ص٧٠ .

٥٥. لمزيد من التفاصيل أنظر: الدجاني ، أحمد صدقي، منظمة التحرير الفلسطينية ، والحوار العربي–الأوروبي : دراسة الجانب السياسي ، منظمة التحرير الفلسطينية ، مركز الأبحاث ١٩٧٩، بيروت–لبنان ، ص ٤٩–٥٢ .

٥٦. كامل، أنس مصطفى، " الكيان الصهيوني والحوار العربي – الأوروبي " قضايا عربية، السنة ٨، العدد ٢ (شباط / فبراير ١٩٨١)، ص ٣٦–٣٨.

٥٧. الأزهري، "المجموعة الأوروبية وقضية فلسطين"، مرجع سابق، ص ١٢٩–١٣١.

٥٨. الأزهري، محمد خالد، " الرأي العام الأوروبي وقضية فلسطين بين النكبة والانتفاضة: ٩٤٨ – ١٩٨٨"، شؤون عربية، العدد ٥٧، ١٩٨٩، ص ١٣٠–١٣٨.

٥٩. فريد، عبد المجيد، " العربي والمتغيرات الجديدة في الكتلة الاشتراكية "، المنتدى، العدد (٥٦)، المجلد الخامس، أيار/مايو ١٩٩٠، منتدى الفكر العربي، عمان – الأردن، ص ٤–٦.

٦٠. غنيمي، رأفت، أمريكا والعلاقات الدولية، عالم الكتب للنشر، القاهرة ١٩٧٩، ص ٤٦–٤٧.

٦١. المرجع نفسه، ص ٤٧.

٦٢. Shadid, The United Stastes and the Palestinians, OP. Cit., P.٣١–٣٢.

٦٣. Ibid, p.٣٣.؛ و لمزيد من التفاصيل انظر : الداوود، محمود علي، الخليج العربي والعلاقات الدولية، دار المعرفة، القاهرة، ١٩٦١، ص ٥٦.

٦٤. GAIOR, Session ٢, Vol ١, P٥٤. GAOR, Session ٢, UN.Doc. A/ac ١٤/٣٢, P.٢٧٨.

٦٥. Davis, Jhon, H. The Evasive Peace, (New York, ١٩٧٠) P.٣٠.

٦٦. Peretz, Israel and The Palestine Arabs, (Washington. D.c. ١٩٥٨). PP. ١٨١–٢;,

Mcdonald, James G My Missiont to Israel (New York), ١٩٥١).

٦٧. الرفوع، فيصل، السلام المنشود، عمان ١٩٩٠، ص ٩١.

٦٨. الرفوع، الشرعية الدولية بين المبدأ والتطبيق، المنظمات الدولية والقضايا العربية المعاصرة، الطبعة الأولى، عمان ١٩٩٤، ص ٦٥.

٦٩. أبو لغد، ابراهيم، " سياسة أمريكا تجاه فلسطين"، المستقبل العربي، العدد ٢٠٣، ١٩٩٦/١، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت – لبنان، ص ٨٠.

٧٠. المرجع نفسه، ص ٨٠.

٧١. لمزيد من التفاصيل أنظر:

٧٢. Tillman, Seth P,. The United Satates in The Middle East: Interests and Obstacles (Bloomington in : Indiana University Press, ١٩٨٢) P.٤٩-٥٥

٧٣. أبو جبلة، المؤتمر الدولي للسلام في الشرق الأوسط " مواقف الدول "، الطبعة الأولى، عمان ١٩٨٨، ص ٦-٧.

٧٤. المرجع نفسه، ص P٨ ولمزيد من التفاصيل أنظر ترابي، نظام، أمريكا والعرب : السياسة الأمريكية في الوطن العربي في القرن العشرين، رياض الريس للكتب والنشر، الطبعة الأولى، لندن ١٩٩٠، ص ٧٦٠-٧٦٧.

٧٥. يوسف، باسم، " قراءة في التحالف الاستراتيجي الأمريكي – الاسرئيلي، " مجلة الوحدة، العدد (٦٩)،حزيران ١٩٩٠، المجلس القومي للثقافة العربية، الرباط – المملكة المغربية، ص ٢٨ وما بعدها.

٧٦. للمزيد من التفاصيل أنظر : المرجع نفسه، ص ٢٨-٣٧. الهور، منير والمواسى، طارق، مشاريع التسوية للقضية الفلسطينية ١٩٤٧- ١٩٨٥، دار الجليل للنشر، الطبعة الثانية، عمان ١٩٨٦.

٧٧. ربيع ، محمد عبد العزيز، صنع السياسة الأمريكية والعرب، منشورات دار الكرمل، عمان ١٩٩٠، ص ١٧٠ - ١٧١.

٧٨. زرنوقة، د . صلاح سالم، " خبرة التفاوض العربي مع إسرائيل – ملاحظات عامة"، السياسة الدولية، السنة الرابعة والثلاثون، العدد ١٣٣، يوليو ١٩٩٨، الأهرام، القاهرة– جمهورية مصر العربية، ص ١١٣.

٧٩. جرجس، فواز، " السياسة الخارجية الأمريكية تجاه الوطن العربي: كيف تصنع، ومن يصنعها؟"، المستقبل العربي، العدد ٢٣٣، ١٩٩٨/٧، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت – لبنان، ص ٧٨-٧٩.

٨٠. الحسن، يوسف، دراسة في العلاقة الخارجية بين الولايات المتحدة وإسرائيل في ضوء اتفاقيات التعاون الاستراتيجي والتجارة الحرة بينهما، القاهرة، ١٩٨٦، ص ١٢-١٣.

٨١. الفاتح ، عبد العزيز، العلاقات الأمريكية الإسرائيلية حتى نهاية الثمانينيات ١٩٩٠، (د.ت، د. أ،) ص ٣١.

٨٢. بريماكوف ، يفغيني، تشريح الصراع في الشرق الأوسط، دار ابن خلدون، بيروت ١٩٨١، ص ١٢٧-١٣٠.

٨٣. Lagueur Walter, The Arab Israeli Reader, (London: Weidenfeld and Nicolson, ١٩٦٠), P.٢٦١.

٨٤. توما، إميل، "جذور القضية الفلسطينية" دراسات فلسطينية، ٩٢، مركز الأبحاث، منظمة التحرير الفلسطينية، بيروت، ١٩٧٣، ص ١٠، ٣٥.

٨٥. جبور، جورج، "الاستعمار الاستيطاني في فلسطين في إطار نماذج الاستعمار الاستيطاني،" في : السيد ياسين، وعلي الدين هلال، الاستعمار الاستيطاني الصهيوني في فلسطين، (جامعة الدول العربية، المنظم العربي للتربية والثقافة والعلوم، معهد البحوث والدراسات العربية ، القاهرة، ١٩٧٥) ص ١٦،١٧.

٨٦. ربيع، حامد، الثقافة العربية والغزو الصهيوني وإرادة التكامل القومي، (القاهرة، دار الموقف العربي، ١٩٨٣)، ص ١٥.

٨٧. أوليفية، روا، تجربة الإسلام السياسي، الطبعة الأولى، دار الساقي، بيروت ١٩٩٤، ص ٣٥.

٨٨. لمزيد من التفاصيل أنظر: غارودي، روجيه، الأصوليات المعاصرة: أسبابها ومظاهرها، باريس: دار عام الفين ١٩٩٢.

٨٩. الجابري، محمد عايد، " مسألة الهوية: العروبة والإسلام والغرب"، تقديم محمد شكري سلام، المستقبل العربي، العدد ٢٠٧، ١٩٩٦/٥، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت – لبنان، ص ١١٠-١١٥.

٩٠. جرجس، فواز، " الأمريكيون – والإسلام السياسي : تأثير العوامل الداخلية في صنع السياسة الخارجية الأمريكية"، المستقبل العربي، العدد ٢١٧، ١٩٩٧/٣، مركز دراسات المستقبل العربي، بيروت – لبنان، ص ٤.

٩١. Danial, Norman, Islam in The west: The Making of on Image, Ianguage litera ture, Edinurgn; Edin bourgh Universituy Press, ١٩٦٠) P.١٢٧.

٩٢. Baram Haim, "The Demon of Islam" Middle East International, (٢December ١٩٩٤), P.٨

٩٣. The Guardian, ١٣-٠٦-٩٩٢.

٩٤. جرجس " الأمريكيون والإسلام السياسي"، مرجع سابق، ص ٢٠.

٩٥. New York Times, ٢٣-٠٢-١٩٩٣.

٩٦. Sciolino, Elaine, The Red Meneceis Gone: But Here is Islam", in New York Times ٢١-٠١-١٩٩٥.

٩٧. Todd, pudum, " Clinton Order a Trade Embargo a gainst Tehram" New York Times, ١-٠٥*١٩٩٥.

٩٨. جرجس، " الأمريكيون والإسلام السياسي" مرجع سابق، ص ٢١.

٩٩. المرجع نفسه، ص ٢٧،٩٩,٩٨– الخالدي، وليد، " الإسلام والغرب والقدس، دراسات الفلسطينية، ٣١، صيف ١٩٩٧، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت – لبنان ص ٣–٤.

الفصـل الثالث

تجربة الإسلام السياسية كحركات وحكومات في التعامل مع الغرب ودورها في بلورة توجهاته السابقة والمستقلية

Islamic Movements and the West: Evolving Attitudes and Relationships

Michael Willis[*]

Introduction

The relationship between Islamic movements and the governments and societies of the Western world has been an issue that has come increasingly to the forefront of international affairs. It has been widely suggested from all sides that the hostility that now characterises this relationship is so profound and deep-rooted as to make open and continued conflict not only inevitable but also unresolvable. Another common place observation is that the conflict will expand until it pits the whole of the Muslim World – or even the entire developing world – against the states of the West. However, such views fail to take account of two factors: firstly, the complex structure and nature of the relationship between Islamic movements and the West; and secondly, the dynamic qualities of that relationship that allows for changes and developments – some of which are already occurring.

Background

The West as a general region - referring more specifically to Western Europe and North America - has played a crucial role in the growth, ideologies and strategies of Islamic movements and governments throughout the Middle East region. The first manifestations of what has come to be termed 'Islamism' arguably emerged during the early years of the present century and, by its own admission, developed in reaction to Western incursions into the Muslim heartland. The *salafiyyah* movement - which is seen as the spiritual forefather of many modern Islamic movements - explicitly committed itself to resisting Western influences by rediscovering religious purity while at the same time trying to take advantage and make use of the technological advances achieved in the West. The creation of the Muslim Brotherhood in Egypt in the ١٩٢٠s was founded for this same purpose and in reaction to the British presence in Egypt.

As Islamism has developed through the twentieth century, basic resistance to the cultural and physical incursions made by the West has developed into more overt hostility and active opposition. The West in general, and the USA in

[*] *Al Akhawayn University, Morocco*

particular, came to symbolise the primary enemy of the Islamist project. Such an attitude reached its zenith in the ١٩٧٠s and ١٩٨٠s when particularly American support for both Israel and more importantly the Shah's regime in Iran led to the US being branded the 'Great Satan' - the principle enemy of Islam and Muslims.

US and Western support for Israel and the Shah were not the only factors that attracted the enmity of Islamic activists and movements. Employing often the terminology of neo-Marxism, Islamists accused the West of attempting a reconquest of the Muslim World through forms of cultural imperialism. Through the arrival of Western styles of dress, entertainment and social behaviour, it was argued, the traditional values of Muslim societies were being systematically and consciously undermined. Such a view was best summed up in the concept of 'Westoxification', which became a powerful *leitmotiv* in Iran in the years leading up to the Revolution.

Hostility characterised relations between Western states and Islamic movements throughout most of the ١٩٨٠s. The antipathy that Islamic movements and the new Islamic Republic in Iran regarded the West with became mutual as Western states and their representatives suffered attacks from Islamic movements and governments. Beginning with the seizure of the American Embassy in Tehran in the wake of the Iranian Revolution and continuing with the series of attacks against French and American troops in Lebanon, attitudes in the West began to harden towards Islamic movements and governments. The fading of Cold War tensions, led many in government, the media and even academia in the West to see a new East-West conflict emerging - this time between the Western states and the Muslim World. The extent to which these new attitudes had begun to take root was demonstrated during the Gulf Crisis and War of ١٩٩٠–١٩٩١. The media in many Western states portrayed Saddam Hussein as being an Islamist despite the secularist credentials of the Iraqi leader and the hostility he had shown to both neighbouring Iran and Iraq's own Islamic movement.

Towards Détente: The Emergence of the Triangular Relationship

The ١٩٩٠s, however, saw something of a shift in this set of attitudes. While the Western states hardened in their attitudes towards Islamism and Islamic movements, changes occurred in the perspectives found amongst Islamic movements and governments. Although many parts of the very varied Islamist trend remained as hostile as ever to the West and all its works, other parts became more discriminating and nuanced in their approach to the West.

The ١٩٩٠s witnessed a slow, but perceptible, shift in the attitude of Iran to the Western world. Long regarded, even by many Sunni Muslim groups, as the symbolic standard bearer of the Islamic resistance struggle against the West, the Islamic Republic in the wake of the death of Ayatollah Ruhollah Khomeini in ١٩٨٩ began a slow process of rapprochement with the West. Co-operatively neutral during the Gulf War, helpful on the issue of Western hostages held in Lebanon and, finally, removing the state-sponsored threat to the British author Salman Rushdie, Iran tried to mend fences with the states of the West. In doing this, Iran's leaders met with continued animosity from Western governments which appeared reluctant to believe that Iran's overtures could be judged genuine. Nevertheless, the election in ١٩٩٧ to the Iranian presidency of Mohammed Khatami, who strongly supported the process of rapprochement, attracted significant attention in the West and prompted widespread speculation that a new less confrontational relationship with Iran could be forged.

There was also a metamorphosis in the attitudes of a number of Islamist movements in other countries - particularly in those states where they constituted the main opposition to the existing government. Conflict between these movements and the governments in the countries in which they operated led many Islamist movements to switch the main focus of their ideological hostility away from the West in general, and the US in particular, towards the local governments which many of them were seeking to overthrow or replace. Even though many of the governments in the Middle East were portrayed as puppets of Western powers, the iniquities of the local rulers came to be viewed as of more much immediate concern and blame than the broader influences of states such as Britain, France and the USA. Moreover, as the conflict between Islamist movements and local governments intensified in such places as Tunisia, Egypt and particularly Algeria during the ١٩٩٠s, the West came to be seen by Islamists as no longer an active opponent in the struggle, but as a more neutral force and perhaps, even a possible strategic and tactical ally.

The process was aided by two further factors. Firstly, the growth in concern in Western countries (particularly at the non-governmental level) with issues such as democratisation and particularly human rights, put pressure on many Middle Eastern states. As the principle victims of both human rights abuses and attempts to forestall democratisation, Islamist movements were able to pressurise various governments in the region through publicising these issues. Secondly, the intensification of attempts in many Middle Eastern states to clampdown on Islamist opposition groups forced many of the leaders and activists of these movements into exile. The chosen place of exile for most of these figures

has been the West. Germany, Belgium, Italy and even the USA have become home to many exiled Islamist figures.

However, the place that has come to attract most such figures is undoubtedly Britain. London has been dubbed, largely correctly, the capital of the Islamist movement world-wide. Britain has become the organisational hub for Islamist movements from across the Middle East region. Senior figures from Islamist movements from Algeria, Saudi Arabia, Tunisia and Libya all live in exile in Britain. The tolerance of their presence that has been shown to such groups, particularly in Britain, has resulted in the development of a much more positive attitude on the part of many Islamist movements towards the West. Although whether this attitude and often publicly expressed gratitude is really genuine or designed to flatter their host countries is the subject of much debate and will be discussed later.

There has therefore evolved what could be described as a more 'triangular' set of relationships - with the West, local Middle Eastern Governments and Islamist movements each positioned at an apex. In this configuration, Islamist hostility is no longer primarily directed at the West but more usually at their own local governments. Western governments, although often seen to be the main backers of such governments, are also perceived to be potentially useful strategic allies or 'honest brokers' who have the ability to put pressure on local governments.

Another related development that has occurred during the ١٩٩٠s has been an increasing trend amongst both Islamist governments and movements to differentiate between different countries in the West. The West has come to be seen less and less as a homogenous bloc and more a collection of individual states with varying interests and attitudes, which can be dealt with and approached in varying ways.

The chief factor behind this development has been the shift of the focus of developments concerning Islamist movements westwards, away from the Gulf region, the Levant and the Arabian peninsula and towards the Maghreb. The rise to prominence of Islamist movements in the Maghreb, particularly in Algeria, in the ١٩٩٠s, has highlighted the concerns of this particular part of the Arab and Muslim World and the concerns of the locally based Islamist groups.

For Islamist movements in the Maghreb, America had never been the principle external enemy. The one-time “Great Satan” of the Eastern Middle East attracted relatively little attention in the rhetoric and ideology of the Maghrebi movements. Instead, it was France that was perceived to be the major foe. France's pervasive influence during the colonial period, most clearly visible in Algeria, was seen by Islamist groups in the Maghreb as their major concern. French attempts to alter the political, cultural, religious and above all linguistic

complexion of the Maghreb led many Islamists to view France with great hostility. It was believed that France's insidious influences remained present in countries such as Algeria, Tunisia and Morocco long after these states achieved their independence and were the chief cause of the various political, economic and social difficulties experienced by these countries. This hostility towards France has led many Maghrebi Islamists to adopt a far more positive attitude towards other Western states, particularly Britain and the US which they see as being far less hostile and far less of a threat.

Western Trends Towards Political Islam

Western attitudes towards political Islam and Islamic movements and governments having hardened in the ١٩٨٠s have, as indicated, been much slower to change, if at all. In analysing 'Western' attitudes one is of course not talking about something entirely homogenous. Different nuances exist both within and between various states.

Within States

Popular and Media Reactions

Within states we can perhaps identify attitudes at the popular level, the more educated level and at the policy-making level.

It seems clear that at the popular level, a significant level of Islamophobia appears to be present. Countries such as Iran, Sudan, Saudi Arabia and Afghanistan under the Taliban have frequently been both demonised and ridiculed. More worryingly, at the popular level in Western states, this ridicule and demonisation appears to have been extended to both Islam and Muslims generally.

The popular media appears to both reflect and feed these perceptions. Stories concerning restrictions on the perceived rights of women, the practice of so-called 'Islamic' punishments in countries such as Iran and Saudi Arabia receive regular coverage. The puritanical policies of the Taliban in Afghanistan towards things like modern communications and entertainment have attracted widespread if fairly shallow coverage. Significantly, this predominantly critical coverage often extends to those sections of the media that cater to the better educated. In Britain, in particular, this can largely be attributed to the reaction of Britain's liberal middle-classes towards the Salman Rushdie Affair - there being substantial sympathy for the author and his position. It was noteworthy that even when Prince Charles spoke a few years ago in favourable terms about Islam, his sentiments were greeted with hostility in many newspapers. Columnists suggested

that by praising Islam, the heir to the British throne was endorsing both discrimination against women and the *fatwa* on Rushdie.

Nevertheless, it should be said that in certain sections of the media the treatment of Islamism and Islamist movements is less hostile. A number of newspapers in Western states have given a sympathetic hearing to Islamist critics of a number of Middle Eastern regimes, particularly on the issue of human rights. In Britain, for example, *The Observer* newspaper has regularly reported in detail on the human rights abuses allegedly carried out by regimes such as Egypt and particularly Algeria against members and suspected members of Islamic movements in their countries.

Policy-Making

For Western policy-makers the perceptions of political Islam has been mixed and is arguably still in the process of evolution. Policy-makers at all levels are subject to a variety of pressures from different sources.

Some policy-makers at high levels, particularly in the United States, are prone to be influenced by the quasi-academic 'policy-making' sector, which attempts to look at the 'broader picture.' Certain theories on relations with the Islamic world have swung in and out of vogue, most notably those typified by Samuel Huntingdon's "Clash of Civilizations" which suggested that 'The West' and 'The Islamic World' were two separate, homogenous and distinct civilisations destined to come into conflict.

Another factor influencing attitudes towards Islamic movements amongst policy-makers is the fact that a number of the senior personnel in many of the foreign ministries in the Western states working in fields related to the Middle East are traditional Arabists whose attitudes are often heavily influenced by the ideals of Arab nationalism. The tensions and rivalries that have often existed between the ideologies of Arab nationalism and Islamism have led many of these Arabists figures to view Islamism as an aberration and thus feel a certain hostility towards it.

There is also the consideration that there are often differing views between ambassadorial staff and those officials based back in the home country. Embassies and ambassadors in many Middle Eastern states have inevitably had more exposure to the host governments' attitudes concerning Islamism. This can lead to contrasting sympathies and views of events, especially if domestically based staff have been more exposed to the views of the Islamist movements in exile in the home countries. However, the same is undoubtedly also true of attitudes towards Islamist governments, with locally based staff more prone to defending the regime's point of view.

Ultimately, though, official attitudes at high levels in the Western governments are dictated by other concerns. Regional stability and the

maintenance of defensive and trade relations have tended to dictate policy in these areas. Senior Western policy-makers are generally uncomfortable with the whole issue of Islamism. Personally, many feel no sympathy towards it, but at the same time there is an awareness of the issues of human rights and democracy that Islamist movements raise. In general, most policy-makers try to ignore the issue whenever possible.

Between States

Differences in attitudes towards political Islam also exist between states in the Western world. Three states - Britain, France and the United States - have traditionally dominated relations between the West and the Middle East, although states such as Germany, Italy and Spain have become increasingly important in recent years.

The most noticeable differences in approach towards the issue of political Islam have emerged between Britain and France. The main issue of contention between them has been Britain's tolerance of North African, particularly, Algerian, Islamists on its soil. France has on occasion accused Britain of providing what it perceives as a 'safe haven' for terrorists. France's concern with this issue can be chiefly explained by reference to France's continuingly close links to North Africa. France has been more prone to being sympathetic and supportive to the current regime in Algeria and is therefore more hostile to Algeria's Islamists. Having suffered terrorist attacks connected with the conflict in Algeria over recent years France also feels more vulnerable and thus more sensitive to developments in the region. Also, to some extent, it feels that because of both its historic and current links with the Maghreb, it should take the lead especially amongst the Western states in policy towards this region.

The USA has continued to play an ambiguous and often fairly neutral role especially with regard to Algeria. It has frequently seemed reluctant to condemn to severely either the Islamists or the regime in Algeria.

The United States and, to a greater extent, Britain's ambivalence towards political Islam could also be explained in strategic terms, particularly with regard to the tolerance shown to Islamists living in exile in both countries. Western states are undoubtedly aware of the potential benefits of remaining in touch and on good terms with Islamist movements. Not only does a policy of tolerance allow observation of these movements and their activities, but it also provides a window onto developments within these movements at the organisational and, more importantly, the ideological level. Policy-makers are perhaps considering the possibility that one day one or perhaps several of these movements might come to form all or part of governmental administrations in their countries of origin. The gratitude that these potential future governments might then feel towards former host states would clearly be beneficial. There is an awareness, born perhaps from

the United States experience with Iran, that alienation from opposition movements and too close ties with existing regimes may create serious later difficulties.

A less cynical view might suggest that there are hopes that the presence of Islamist organisations within Western states might play some role in curbing particularly the ideological extremes of some of these groups. London, in particular, has become a lively forum for debate on issues relating to Islamism and the Islamist movements. Islamists and their critics regularly spar at conferences, meetings and talks arranged by a variety of private, academic and official organisations. Even more significantly, Western states have become major forums for debates within Islamist movements themselves, groupings and individuals examining and developing their views on a growing range of issues - frequently exposing ideological and strategic rifts. It is hoped that this atmosphere of openness and debate not only challenges Islamists to examine and think through their ideas more fully, but also leads to an appreciation of the importance of open debate, pluralism and the practice of democracy. Such an effect has been almost explicitly acknowledged by a number of Islamist leaders themselves, such as Rachid Ghannoushi from Tunisia who claims that his ideal model of Islamic governance would more closely resemble the British political system than the political system operated in Iran.

There is an ongoing debate about whether the supposed moderation of certain Islamist groups based in Western states is really only a confidence trick designed to keep their hosts happy. Nevertheless, a growing number of specialist academics in Western countries have begun to believe that some of the ideological shifts within a number of important Islamic organisations are significant and do represent a trend towards a more democratically based approach to politics and society.

Conclusions

The future course of relations between Islamist movements and governments on the one hand, and Western states and societies on the other is difficult to predict. Although, as has been discussed, new and more positive aspects of the relationship are emerging, it cannot be denied that suspicion and latent hostility remain the fundamental characteristics of attitudes, particularly at the popular level. Ignorance, and the fear that comes from it, substantially explains this popular antipathy which is felt on both sides. However, it could also be argued that differences in both political and economic development also play their part. These differences prompt crude speculation from one side that religion is a factor in explaining underdevelopment, and from the other that advanced development has come and is sustained by the exploitation and repression of other societies. It can only be hoped that greater contact and awareness of the views and

circumstances of both ‘sides’ can reduce tensions – at least to a point where they can be exercised at the level of intellectual debate, rather than physical conflict.

الإسلام والغرب .. إشكالية الوحدة والصراع

د.إيـــاد البرغوثي*

مقدمـــة :

يثير موضوع العلاقة بين الإسلام والغرب ، أو بين الإســـلاميين والغـــرب، إن أردنا الدقة أكثر، إشكاليات عديدة، نظراً لتعدد الاتجاهات والمفاهيم لدى كل من الإســـلام والغرب على السواء .

فأي إسلام نعني، وأي إسلاميين؟. هل هو إسلام الأمة أم إسلام الخاصة؟ هل هو الإسلام الشعبي أم الإسلام الرسمي؟، هل هو إسلام الحكومات أم إسلام الحركات السياسية الإسلامية؟، وإذا كان ما نعنيه هو إسلام الحكومات فهل هو إسلام السعودية أم إيـــران أم طالبان ..؟. وإذا كان إسلام الحركات السياسية، فهل هو إسلام الإخوان المسلمين أم حزب التحرير، أم الجماعة الإسلامية والجهاد الإسلامي؟ .

وإذا كان إسلام النخبة المثقفة ، فهل هو إسلام سيد قطب وأبو الأعلى المودودي، أم هو إسلام حسن الهضيبي والقرضاوي ؟

وأي غرب نعني ؟ الغرب الأوروبي أم الغرب الأمريكي؟، غـــرب الشـــعوب أم غرب الحكومات؟، الغرب المسيحي أم الغرب العلماني، الغرب الاشـــتراكي أم الغـــرب الرأسمالي؟ الغرب الليبرالي أم الغرب المحافظ؟، غرب المثقفين أم غرب العامة؟، غرب الكاثوليك أم غرب البروتستانت أم الأرثوذكسي . . .؟.

هناك إقرار لدى بعض المثقفين الإسلاميين بحقيقة وخطورة التعامل مع الغـــرب على أساس أنه وحدة واحدة ومتجانسٌ في موقفه من القضـــايا الإســـلامية ، أو قضـــايا

* أستاذ العلوم السياسية ـ جامعة النجاح

المسلمين. أحد هؤلاء المثقفين كتب: "لا بد من الإقرار بضرورة العمل على كسب ما يمكن كسبه من المؤيدين لقضيتنا في الغرب، وعدم الالتفات لأولئك الذين يعتقدون أن العالم لهم وحدهم، وأن الجبهات الأخرى متحدة تماماً ضدنا، لأن مثل هذه التصورات لم تعد مقبولة ، كما لم تكن مقبولة أصلاً ، فلمراكز القوى مصالح متضاربة ، لا تلتقي دائماً، كما أن وضع الأنظمة والشعوب في سلة واحدة هو تصور خاطئ ، فبالإمكان ، إيجاد أنصار للحق ، حتى من بين أعداد أصحابه" .

إن هذا التعدد أو التنوع في كل من الإسلام والغرب لا يعني أننا لا نستطيع أن نخرج ببعض التعميمات في العلاقة بين الجانبين، ليس فقط لأن ما هو عام بينهما هو مسألة موضوعية، بل أيضاً للنمطية السائدة في رؤية كل طرف للآخر، تجعل إمكانية أي تطبيع عقلاني بينهما مسألة محفوفة بمخاطر عديدة. ولكن العلاقة بين الطرفين مسألة لا غنى عنها ولا فكاك منها وبخاصة في ظل العولمة التي تسود حالياً، وتقرب المسافات، وتجعل انعزال دولة أو مجموعة دول مسألة من بقايا الماضي .

إن دراسة العلاقة بين الإسلام والغرب، مسألة ليست خاضعة لاعتبارات إيديولوجية فقط، بل نلمس ارتباط الإيديولوجي بالاستراتيجي بشكل كبير، إنهما من الناحية الجغرافية طرفان متجاوران على ضفتي المتوسط، بقدر ما لكل منهما من تحفظات على الآخر، إلا أن بينهما ارتباطات مصلحية أيضاً، وبقدر ما بين بعض أطرافهما من وفاق سياسي واقتصادي ، بينهما أيضاً قضايا ساخنة سياسية وفكرية تبدأ بالديموقراطية وتمر بحقوق الإنسان ، والمرأة . . . الخ .

هذا الموضوع مرتبط إلى حد بعيد بدراسة الأنا والآخر في الثقافة العربية الإسلامية، وفي الواقع العربي والإسلامي، ويكاد يكون الغرب هو الآخر الوحيد، عندما يتحدث عن الآخر العرب والمسلمون. ولا يمكن أن يكون ذلك الآخر أفريقيا أو آسيا أو أي بلد من العالم الثالث. إن ذلك ليس فقط بفعل مركزية الغرب، بل أيضاً لكون الإسلاميين يعتبرون الثقافة الإسلامية نداً للثقافة الغربية والبديل المرشح لها بعد انهيارها المفترض؟ .

١ـ الغرب والإسلام . . . والمسلمون :

أ . مسوغات العلاقة :

عند البحث في العوامل المقررة لمواقف الغرب تجاه الإسلام والمسلمين والإسلاميين – آخذين بعين الاعتبار الفوارق بين مختلف بلدان الغرب واتجاهاته حيال هذه المسألة – نجد أن العوامل الاستراتيجية هي الأساس في تقرير الموقف من الدول والحكومات الإسلامية والحركات الإسلامية ، بينما نجد أن العوامل الثقافية والإيديولوجية تقرر الموقف حيال الإسلام نفسه كإيديولوجية، مع مراعاة التداخل بين مختلف هذه العوامل ولا سيما أن الإيديولوجيا النمطية قد تكون الأرضية التي تبنى عليها المواقف الغربية تجاه الحكومات الإسلامية أيضاً .

إن نظرة إلى طبيعة المواقف الغربية ، وبخاصة الأمريكية منها كونها أكثر وضوحاً من الأوروبية ، نجد أن المصالح الأمريكية تلعب دوراً حاسماً في تقرير الموقف الرسمي من الحكم في بلدان الخليج العربي النفطية الذي يتميز بالتأييد لهذه الأنظمة، وهذه المصالح نفسها تستوجب المواقف الأمريكية المتشددة والسلبية حيال حكومات إيران والسودان وليبيا .

إن الموقف الأمريكي من المجاهدين الأفغان أوضح مثال على الدور الذي تلعبه المصلحة الاستراتيجية للولايات المتحدة في تحديد موقفها من جهة معينة . فالولايات المتحدة دعمت هؤلاء المجاهدين بكل قوتها عندما كانوا جزءاً من استراتيجيتها في محاربة الاتحاد السوفياتي، ثم أصبحوا وكأنهم من ألد أعدائها بعد ذلك، مثل حالة أسامة بن لادن.

وان الموقف الأمريكي في المشكلة الكويتية العراقية وحرب الخليج، أكد على سياسة المعايير المزدوجة التي تتبناها الولايات المتحدة حيث حشدت أمريكا قوتها وقوة

حلفائها خلف مصالحها النفطية في الخليج ولم تهتم بأحداث مشابهة في أماكن أخرى من العالم.

وتلعب إسرائيل أيضاً دوراً رئيسياً في تحديد علاقة الغرب بالإسلام . فهي على علاقة استراتيجية بالغرب وبخاصة بالولايات المتحدة ، وكونها ضمن المجال الإستراتيجي الحيوي للغرب، ولتأثيرها في الغرب نفسه ، حكومات ورأياً عاماً ، فإنها تقوم بدور تعبوي مضاد للإسلام، حيث يلاقي هذا الدور آذاناً صاغية في الغرب لكونه ينسجم مع العوامل الأخرى التي تشكل معاً رافداً قوياً في النظرة الغربية للإسلام والمسلمين ، ولكونها صادرة من إسرائيل التي يحرص الغربيون على عدم تكذيبها لأسباب تاريخية ونفسية .

لقد تحول منصب الرئاسة الفخري سياسياً في إسرائيل ، إلى دور سياسي كبير للرئيس في التحريض على ما سمي بالخطر الإسلامي على العالم . لقد كان الرئيس الإسرائيلي الأسبق حاييم هرتسوغ من أنشط الرؤساء بل والسياسيين الإسرائيليين إثارة للموضوع الإسلامي في كل مكان يزوره ، بما في ذلك زيارته للصين أيضاً . ومع أن الرئيس الإسرائيلي الحالي فايتسمان ليس أنشط من سابقه في هذا المجال إلا أنه يعيره الاهتمام الكبير أيضاً .

ان وجود جاليات يهودية مؤثرة في الغرب تساعد إسرائيل في زيادة تأثيرها على سياسة الغرب تجاه المسلمين . ففي معرض تعليقها على العلاقة بين فرنسا والإسلام كتبت مجلة "فلسطين المسلمة" حول النفوذ اليهودي في فرنسا فقالت إن هناك في حينه ست عشرة وزارة ليهود من حوالي خمسين وزارة بينما عدد اليهود في فرنسا نصف مليون من ستين مليوناً ، هذا بالإضافة إلى حجم نفوذ اليهود في الدوائر السياسية والمالية والإعلامية الفرنسية لدرجة أن ميشال جوبير وزير الخارجية السابق في فرنسا صرح بأنه ليس بإمكان أي فرنسي أن يصل إلى مواقع النفوذ السياسي إذا لم يدعمه اليهود ، سواء أكان اشتراكياً أم يمينياً .

ولم يقتصر تعامل الولايات المتحدة المزدوج الكويت وإسرائيل وبمواقف أساسية من هذه القضية القومية "فلسطينية" بل أيضاً في المواقف الأمريكية تجاه الفئات الحاكمة نفسها . فهي تتغاضى عن قضايا حقوق الإنسان والديموقراطية إذا ما تعلق الأمر بالحكومات الموالية لها في المنطقة، وبخاصة حكومات البلدان النفطية ، لدرجة كتب فيها أحد الدارسين بأن "الخوف على مصالح أمريكا في البلدان الديمقراطية أكثر".

وإذا كان العامل الاستراتيجي هو المقرر الحاسم في موقف الحكومات الغربية من العالم الإسلامي مشهوداً من خلال المواقف اليومية لهذه الحكومات ، فإن ذلك لن يجعل الصورة مكتملة ما لم نأخذ بالحسبان البعد الإيديولوجي التاريخي في العلاقة بين الطرفين. إن بداية الصراع التاريخي كان منذ ما يقارب الألف عام عندما فتح المسلمون سيبيريا ثم جاءَت الحروب الصليبية ، ويرى آخرون أن الصراع أبعد من ذلك بكثير حيث يعود إلى ما قبل الإسلام، حين استولى اليونان والرومان على المنطقة. إن قدم الصراع مهما كان لا يمكن أن يفسر بالضرورة مواقف بعض المنظمات الإسلامية من أن الإسلام والغرب مشتبكان في معركة تاريخية مستمرة تشمل الحروب الصليبية والاستعمار الأوروبي وتستمر إلى العلاقة مع روسيا والصهيونية .

إن الأهم من التاريخ نفسه كأحداث ، هو عملية التطور التاريخي التي مر بها الجانبان وشكلت عندهما أوضاعاً اجتماعية – اقتصادية مختلفة ، وما ترتب على ذلك من مواقف إيديولوجية وقيمية متباينة . هذه الأوضاع الاجتماعية – الاقتصادية تتلخص في أن الغرب يشكل مجتمعاً رأسمالياً متطوراً، بينما تختلط الأوضاع في العالم الإسلامي بين مزيج من نهايات الإقطاع وبدايات الرأسمالية.

لقد أدت الظروف الاجتماعية الاقتصادية المختلفة في كلا العالمين الغربي والإسلامي إلى إيجاد رؤية فكرية مختلفة بين الجانبين، تتمثل بالمواقف من "الديموقراطية والتعددية، وحقوق الإنسان، والموقف من المرأة" .

ورغم أنه من الصعب تجاهل حقيقة، أن الغرب قد قطع أشواطاً كبيرة في المجالات الثلاثة المذكورة قياساً بالدول الإسلامية كافة، إلا أن نظرة الغرب نمطية جامدة

من ناحية، بحيث لا تأخذ بعين الاعتبار التغيرات التي تطرأ داخل المجتمعات الإسلامية، أنها نظرة غير منصفة في التعامل مع الدول الإسلامية، طبقاً للشوط الذي قطعته هذه الدول في العملية الديمقراطية، فالرئيس الإيراني خاتمي على سبيل المثال هو أكثر رئيس مسلم منتخب بطريقة ديمقراطية، إن لم نقل بأنه الرئيس المسلم الوحيد المنتخب من الشعب، ومع ذلك فإن إيران هي الأوفر حظاً في عداء السياسة الرسمية الأمريكية اتجاهها.

وينظر الغرب إلى مواقف المسلمين كافة (بغض النظر عن كونهم متدينين أم غير متدينين، مسيسين أم غير مسيسين)، من المسائل السابقة (الديمقراطية وحقوق الإنسان والمرأة) على أنها مواقف متماثلة دون مراعاة الفروق الواضحة بين مختلف الشرائح والاتجاهات فيها . إن الحركات الإسلامية الأهم في المنطقة ، والمعني بها الإخوان المسلمون ، وحزب التحرير ، والجماعة الإسلامية لا تتفق على موقف موحد من القضايا التي طرحت ، بل إن مواقفها متابينة. كما أن الحكومات الإسلامية لها مواقف متباينة من هذه المسائل فلا يمكن أن تكون مواقف الطالبان في أفغانستان والحكومة الإيرانية والسودانية تجاه كل من هذه القضايا واحدة .

إننا نلاحظ الفروق حيال هذه القضايا من تنظيم إسلامي لآخر أو من حكومة إسلامية لأخرى، بل نكاد نرى مدارس مختلفة داخل التنظيم الواحد أو التيار الواحد أو الحكومة الواحدة . كما أننا نلحظ الفرق في الرؤية داخل التنظيم الواحد معتمداً ذلك على الفوارق في الجيل والخلفية الاجتماعية ومستوى التعليم ونوعه . . . لقد أوضحت الأدبيات الغربية هذه المسألة عندما كتبت أنه "رغم كثرة الأشكال والألوان للنشاطية الإسلامية فإنها ما زالت تعامل –بصورة خاطئة– على أنها قوة منفردة أو كتلة واحدة".

وبالطبع لا يمكن وصف العالم الإسلامي بأنه ديمقراطي ، وكذلك لا يمكن وصف الحركات الإسلامية بأنها حركات ديمقراطية. ولكن الأسئلة المشروعة التي يجب أن تطرح: هل العالم الإسلامي هو الوحيد الذي ليس ديمقراطياً؟، وهل الحركات الإسلامية هي الحركات السياسية الوحيدة غير الديمقراطية؟. إن الدارس للحركات الإسلامية يدرك

تماماً أن كثيراً منها لا تقل "ديمقراطية" عن كثير من الحركات العلمانية. بل إن كثيراً من الأحزاب السياسية في المنطقة والتي يشتمل اسمها على كلمة "ديمقراطي" لا تختلف في آليات اتخاذها للقرار عن أكثر الحركات الإسلامية مركزية.

ب . واقع العلاقة :

رغم أن أنظمة الحكم في البلدان الإسلامية، إذا ما استثنينا بعضها، هي من أشد حلفاء الولايات المتحدة والغرب في المنطقة ، إلا أن الفرد المسلم يشعر بتمييز كبير لغير صالح الدول الإسلامية بحكم توجه الغرب تجاه قضايا المنطقة وتجاه المسلمين . كما يشعر كثيرون أيضاً ، ومنهم سياسيون كبار بعدم اهتمام الغرب بقضايا المسلمين اهتماماً إيجابياً كما كان ذلك في البوسنة وكوسوفو والشيشان . وصرح الأخضر الإبراهيمي مبعوث الأمين العام للأمم المتحدة إلى أفغانستان بأن الغرب "لا يهتم عندما تكون الحروب بين المسلمين " .

ويستغرب المسلمون، أنه باستثناء كوبا، فإن كل الدول التي تعتبرها الولايات المتحدة راعية للإرهاب هي دول إسلامية . ويتساءلون عن سبب عدم قبول تركيا في السوق الأوروبية رغم أنها عضو نشط في حلف شمال الأطلسي، وقدمت للغرب ما لم يقدمه أحد أبناء الحرب الباردة مع العلم أن حكومتها تتبنى العلمانية بصورة مبالغ فيها حتى قياساً بالغرب . ويلاحق الغرب بعض المنظمات الإسلامية ، بل ويدعم بعض حكومات الدول الإسلامية في مواجهة تلك المنظمات، وتكون الملاحقة أشد عندما تكون هذه المنظمات مقاومة لإسرائيل . فالولايات المتحدة تعلن "حماس منظمة إرهابية" رغم محاولات الأخيرة ليس فقط عدم المس بمصالح أمريكا في المنطقة، بل وحرصها على التقرب إلى الولايات المتحدة . لقد اعتقلت الولايات المتحدة موسى أبو مرزوق رئيس المكتب السياسي لحماس، رغم أنه يتمتع بحق الإقامة القانونية فيها، ثم أطلقت سراحه لاعتبارات سياسية ، بينما لم تفعل ذلك حيال قادة آخرين بتنظيمات موالية لها .

ومن بين الإجراءات الغربية ضد المسلمين ما تقوم به بعض الحكومات في الدول الغربية من ممارسات ضد الجاليات الإسلامية في بلدانها . فهناك إشكاليات في فرنسا

وبعض البلدان الأوروبية الأخرى مع الجاليات الإسلامية فيها، وفي حال وقوع أي حادث إرهابي تتوجه الأنظار إلى المسلمين كما حدث في انفجار أوكلاهوما حيث تبين أن الفاعل أمريكي أبيض ، وكما حدث في حادث طائرة TWA التي انفجرت بعد إقلاعها من مطار كنيدي في نيويورك، ثم تبين أن ذلك بسبب خلل فني . وقال مستشرق غربي أنه "ليست هناك علاقة لازمة أو تاريخية بين الإرهابية السياسية والهويات الإسلامية".

٢ـ الإسلاميون والغرب :

رغم أن الطرف الإسلامي هو طرف متعدد أيضاً كما هو الطرف الغربي ، إلا أنه يفترض عدم إغفال العالم الإسلامي في وجود الخصوصية عند كل جانب إسلامي فيما يتعلق بالعلاقة مع الغرب .

وكما هم المسلمون ضحية تعميم حول الإسلام ، فإن بعض الغربيين أيضاً ضحية تعميم إسلامي حول الغرب . وبالطبع هناك فروق في درجة التضحية هنا حيث يستطيع الغرب، بحكم قوته، أن يترجم وجهة نظره إلى أفعال، بينما لا يستطيع المسلمون تحويل وجهة نظرهم إلى فعل، إلا على شكل فردي غير مؤثر ، وباعتقادي أن هذا هو السبب الرئيس وراء الإرهاب الفردي الموجود في بعض بلدان الشرق ، لأنه ليس هناك إمكانية لأن تقوم الدولة بهذا الدور على المستوى الخارجي. أن موقف الإسلام من الغرب موقف دفاعي في معظم الأحيان، والغرب بحكم مركزيته الآن يفرض الأجندة التي تطرح على الآخرين وما عليه غير القبول بها أو رفضها.

إن أحد أهم مظاهر قوة الغرب تكمن في التقدم التقني والإعلامي، فوسائل الإعلام الغربية الهامة هي التي تقرر ماذا نسمع، وكيف نسمع، والذي يصلنا من الغرب هو الخطاب العلمان العصري وليس الخطاب المسيحي، لدرجة أن أحد الدارسين يرى أنه "إذا كان الغرب قد ارتبط بالمسيحية في القرون الوسطى فإنه اليوم ليس كذلك " .

وإذا كان ما يصلنا من خطاب الغرب هو العصري والعلماني فإن الذي يصل الغرب من الخطاب الإسلامي ليس إلا الخطاب "الأصولي"، والإعلام الغربي إنتقائي إلى

حد بعيد، فالتقدم التكنولوجي في الغرب جعله يوصل ما يريد من ثقافته للمسلمين ، ويوصل ما يريد من ثقافة المسلمين لمواطنيه .

إن مصادر الحكم على الغرب إسلامياً تتمثل أساساً في القرآن والسنة النبوية وما وجد فيهما حول الآخر وبخاصة حول الآخر المسيحي . والتاريخ الحافل بالنزاع بين المسلمين والفرنجة هو امتداد من النزاع حتى احتلال الدول العربية والإسلامية من قبل الاستعمار الأوروبي وما يجري حالياً من محاولات الغرب لترسيخ أقدامه السياسية والاقتصادية والثقافية في المنطقة .

وهناك أربعة أبعاد تشكل القاعدة الأساسية لوجهة نظر المسلمين في الغرب ، ثلاثة منها سلبية والرابعة إيجابية ، وهي التقدم التكنولوجي الموجود في الغرب والذي لا يمانع الإسلاميون (مع بعض الاستثناءات) في الأخذ بأسبابها ومعرفتها والاستفادة منها، ويحاول بعض رجال الدين أن يفسر التقدم التكنولوجي والمعرفي على أنه موجود في القرآن وأن تخلف المسلمين نابع من عدم فهمهم "الصحيح" لكتاب الله بينما قام الآخرون بمعرفته ؟.

أما من حيث الأبعاد السلبية فهناك رؤية نمطية للمسلمين حول الغرب تتلخص في أن الإيديولوجيا المتبعة في الغرب هي إما المسيحية أو العلمانية . وما دام المسلمون يؤمنون بالمسيح كنبي لإحدى الديانات السماوية ، فإنهم غالباً ما يلجأون إلى وصف الغرب بالعلماني وليس بالمسيحي حتى تبرر وجهة النظر السلبية التي يحملها المسلمون تجاهه . أما في الحالة التي يضطر الإسلاميون فيها للحديث عن أحد في الغرب لا يمكن أن يوصف بالعلمانية كما هو البابا مثلاً ، فإنهم يتحدثون عن تحريف في المسيحية مما أبعدها أن تكون ديناً إلهياً نقياً .

ويتبع المنظور الإيديولوجي في النظرة الإسلامية للغرب المنظور السياسي المتمثل في أن الغرب استعماري بدءاً من الحروب الصليبية وإسقاط الخلافة الإسلامية في الدولة العثمانية ، مروراً باستعمار الدول العربية والإسلامية منذ بداية القرن وحتى خمسينياته ، وانتهاء بدعم الحركة الصهيونية وإنشاء دولة إسرائيل على الأرض

الفلسطينية . والغرب حليف لحكومات الدول الإسلامية التي هي بدورها معادية للحركات الإسلامية التي تحاول تطبيق الشرع الإسلامي .

كما أن هناك بعداً اقتصادياً اجتماعياً يحكم نظرة الإسلاميين إلى الغرب على رغم الكتاب المسلمين الذين يشيرون إلى هذا البعد . إذ يصف أحد الكتاب الإسلاميين النظام الدولي الجديد فيقول إنه "ما هو في النتيجة سوى انتقال أنظمة العبودية والقنانة من مستوياتها المحلية إلى مستويات عالمية، ومن أطر فردية إلى أطر جماعية، أي أن تستعبد أمة أمما أخرى . . . فالنظام الدولي ليس هو التوسع التدريجي للحالة المحلية ، أي أنه ليس نتيجة لتمدد الغرب ، بل أن النظام الدولي هو الشرط الأول لقيام الغرب بمعناه الاستكباري فهو القاعدة اللازمة والضرورية لتوفير القدرة والقوة والرفاه الذي يتمتع به الغرب (أو الشمال) على حساب فقر وضعف واستكانة الشرق (أو الجنوب)".

ويعتبر هذا الكاتب أن النظام العالمي الجديد قسم العالم إلى قسمين ، عبيد وأصحاب عبيد ، فهو "نظام عدواني بالتعريف الأول ، ولا يكتفي بالتهام حقوق ومكاسب وأرض الآخرين ، بل يلتهم أيضاً وبسرعة هائلة مقومات الحياة والتكاثر كما وضعها الله سبحانه وتعالى في الإنسان والأشجار والمياه والهواء والأرض وما في باطنها" .

أما المنظور الأخلاقي الثقافي فهو مرتبط بالمنظور الديني الإيديولوجي، الذي يرى أن الغرب إباحياً فاسقاً فاسداً ومفسداً مرتكباً للمعاصي "وشيطاناً أكبر" عندما يتعلق الأمر بالفرد وبالأسرة وبالمجتمع في الغرب، ويعمل الإسلاميون جهدهم من أجل البقاء خارج دائرة التأثر الغربي في هذه المجالات .

٣ـ الحركات الإسلامية والغرب :

تتميز العلاقة بين الحركات الإسلامية والغرب بعدم الثبات، وتغيرت هذه العلاقة من زمان لآخر، ومن مكان لآخر، ومن حركة إسلامية لأخرى، ومن غرب لآخر . ففي مرحلة الاستعمار الأوروبي المباشر للمنطقة الإسلامية ساهمت الحركات الإسلامية المختلفة أو الحركات ذات الطابع الإسلامي في الحركة من أجل الاستقلال. وتمثل

ذلك -بنسب متفاوتة- في الحركة المهدية في السودان، والسنوسية في ليبيا، والإخوان المسلمين في مصر، وثورة عز الدين القسام وحركة الحاج أمين الحسيني في فلسطين...

على أن ما يثير الجدل في مواقف الحركة الإسلامية تجاه الغرب، هو المواقف التي اتخذتها أثناء الحرب الباردة كحليف للغرب في مواجهة الاتحاد السوفياتي والبلدان الاشتراكية الأخرى أو كبديلة للتيار القومي الذي ساد في المنطقة في سنوات الخمسينات والستينات وبعض السبعينات .

لقد كانت حركات الجهاد الإسلامي في أفغانستان ، من أكثر حلفاء الغرب في المنطقة، حيث تلقت هذه الحركات المساعدات الكبيرة من الغرب والولايات المتحدة بالتحديد، بالإضافة إلى مساعدات الحكومات الإسلامية المحافظة . وبعد أن أنجزت مهمة الصراع مع الاتحاد السوفياتي وجد الغرب نفسه في وضع صراع مع كثير من المنظمات الإسلامية في أفغانستان .

وإذا كانت حركات الجهاد الإسلامي في أفغانستان قد خضعت للاعتبارات الاستراتيجية كونها واقعة إلى جانب قوى متعددة ومتصارعة: كإيران وباكستان والهند والصين بالإضافة إلى الولايات المتحدة، فقد وجدت في السنوات الماضية حركات سياسية إسلامية لا تعادي الغرب، كما هي حركة حماس على سبيل المثال – حيث اعتبرت معركتها الأساسية مع "الاحتلال الصهيوني" وليس مع الغرب وحاولت فتح خطوط مع ممثلي الحكومات الغربية ونجحت في بعض هذه المحاولات .

إن المتتبع لمواقف حماس من الغرب يجد فيها الكثير من المسؤولية، سواء في محاولة فتح الخطوط معه أو عدم المبالغة الإعلامية التي تجلب السلبيات أكثر من الإيجابيات . لكن محاولات تقرب حماس من الغرب لم تمنعها من تحميل المسؤولية للغرب في قيام دولة إسرائيل، ورغم ذلك فإنها تعتبر نفسها في معركة مع إسرائيل وليس مع الغرب كما قال رئيس مكتبها السياسي خالد مشعل .

إن خطاب حماس الموجه إلى الغرب يتميز بالمسؤولية في معظم الحالات، وعلى الرغم من أن معظم الحركات الإسلامية تنتقد المواقف السياسية لكثير من دول الغرب

وبخاصة في القضايا التي تهم المسلمين أو في البعد الاستراتيجي لعلاقة الغرب مع الحكومات الغربية والإسلامية ، إلا أن بعض هذه الحركات وحد نفسه يحاول الإجابة على طروحات الغرب وبخاصة فيما يتعلق بالديمقراطية وحقوق الإنسان . ويعتقد راشد الغنوشي زعيم حركة النهضة التونسية أن "لا مصالح حقيقية للغرب في معادة الإسلام"، ولكن "ما نعيبه نحن المسلمين على الغرب أنه لم يعترف بعد بالإسلام رسمياً، وأنه لا يزال مؤمناً بالمركزية الحضارية الغربية، وأنه غير قادر وربما ليس مستعداً لقبول التعدد الحضاري والدين والتعايش..".

٤ـ الحكومات الإسلامية والغرب :

مثلما هي التنظيمات الإسلامية فإن الحكومات الإسلامية خاضعة لعدم الانسجام في علاقتها بالغرب ، حتى الحكومات التي تدعي أنها تتبنى الشريعة الإسلامية .

إن درجات معاداة الغرب أو مهادنته من جانب الحكومات الإسلامية درجات مختلفة، فعلى سبيل المثال نجد أن المملكة السعودية ترتبط بالغرب وبالولايات المتحدة بعلاقات من نوع خاص، في حين أن إيران الثورة تمثل طوال السنوات السابقة عدواً شرساً للولايات المتحدة. لقد اعتبرت إيران أمريكا بمثابة الشيطان الأكبر .

ومع أن إيران والسودان هما الدولتان الإسلاميتان النموذجان لكل من الشيعة والسنة في وقتنا الحاضر إلا أن السودان تمثل نموذجاً آخر غير إيران –وكذلك غير السعودية– في علاقتها مع الغرب. إن تجربة السودان –وكذلك تجربة إيران مؤخراً– تثبت أن الحكومات الإسلامية لا بد وأن تتحلى بقدر من البراغماتية تسمح ، كما في حالة السودان ، بتسليم كارلوس إلى فرنسا ، وتبادل تجاري مع الغرب ، رغم اتهامات كل من مصر والغرب للسودان بإيواء الإرهابيين.

ومن الصعب معرفة ما إذا كانت الحكومة التي تتبنى تطبيق الشريعة الإسلامية تقوم بذلك اقتناعاً منها بكونها إيديولوجيا شمولية تستهدف تغييراً جذرياً في طبيعة حياة المجتمع وعلاقاته ، أم هي مجرد وسيلة لاكتساب شرعية تقبل بها فئات عريضة من الشعب . كما أن معظم حالات تبني الشريعة في الوقت الحالي لم تتجاوز الإعلان عن

النية في تطبيقها ، أو إضافة بعضا الكلمات الدينية إلى العلم ورفع بعض الشعارات . ومن هنا نجد أن حكومات ذات توجه إسلامي (السعودية وباكستان) من بين أخلص حلفاء الولايات المتحدة، ومن بين أشد أعدائها حكومات ذات تواجد إسلامي مثل ليبيا وإيران.

ولم يحدث في تاريخ العلاقة بين المسلمين والغرب أن حدث اصطفاف في المنطقة على أساس فكري إسلامي مقابل سياسة معينة تجاه الغرب . بل إن الغرب دخل إلى المنطقة وبقي فيها أو تعامل معها بالتحالف مع حكومات ذات طابع إسلامي من وجهة نظر البعض مقابل حكومات غالباً ما كانت تتبنى ذات الطابع . بمعنى أن المسلمين كحكومات ودول لم يكونوا في وحدة واحدة أمام الغرب في التاريخ الحديث .

لقد تشكلت الأحلاف الموالية للغرب في المنطقة بمساهمة نشطة من حكومات دول إسلامية، هكذا كان حلف بغداد، وهكذا كان حلف السنتو أيضاً ، وهكذا تمت السيطرة الإنجليزية المصرية على السودان ... وأخيراً وليس آخراً هكذا قامت حرب الخليج الأخيرة بمباركة من حركات وحكومات إسلامية ، واستنكار من حركات وحكومات إسلامية أخرى ، وحياد من حركات وحكومات إسلامية ثالثة .

٥- قضايا فكرية في العلاقة بين الإسلام والغرب :

إذا كانت قضايا كالديمقراطية وحقوق الإنسان والموقف من المرأة تمثل مسائل عملية تجعل من موقف الغرب تجاه الدول الإسلامية موقفاً متشككاً حيال هذه القضايا ، فهناك مسائل نظرية تدخل ضمن وجهة النظر الإسلامية .

وتتمثل أول هذه القضايا بشمولية الإسلام، حيث يعتبر الإسلاميون أن دينهم يشمل مجالات الحياة كافة ويمتد عبر الزمان والمكان. ولهذه القراءة بعدان، أحدهما إيجابي والآخر سلبي. الإيجابي يتمثل في رفض التبعية التي يعلن عنها الإسلاميون دائماً سواء للشرق أو للغرب، بمعنى أن الشمولية هنا تحول دون الإرتماء في أحضان الاستعمار، كما أن الشمولية ، تجعل الدين الإسلامي بعيداً عن العنصرية بمعنى أنه رسالة للأجناس والألوان كافة . أما السلبي فإنه يفيد معنى "الأستاذية" أو شكل من أشكال "الوصاية" على الآخرين . وإذا كانت الأستاذية الإسلامية رداً على أستاذية الغرب فالأخيرة تملك مبررات

وجودها الموضوعية نظراً لهيمنة الغرب، بينما أستاذية الإسلام أبعد ما تكون عن الواقع في عصرنا . كما أن الأستاذية هنا تأتي بمعنى الإنقاذية ، أي أن على الإسلاميين رسالة يجب أن يؤدوها تجاه الآخرين من أجل إنقاذهم من الباطل.

ويعتبر أحد الكتاب الإسلاميين أن مهمة الإسلام "إنقاذية لأن الأمة الإسلامية أمينة على رسالة الله في العالم وتريد نشر الحق والعدل والحرية والاستقلال". ويؤكد ذلك حسن الترابي حين يقول: "لو لم يبادرونا هم (الغرب) بهذا الاستفزاز العدواني الذي يؤدي بالضرورة إلى تحريك الحوار، لوجب علينا في الأصل، نحن أهل الرسالة، حمل لواء تبليغها، وأن نكون شهداء بها على العالمين، نبادرهم نحن بالخطاب حتى لو لم يبادرونا هم، ليس حذراً من أن ندفع عن أنفسنا غثيان الباطل، ولكن حرصاً على ألا نفوت على البشر كافة بلوغ الرسالة، ونسأل بعد ذلك عن كتمانها.

لقد تولد عن هذه الأستاذية التي يؤمن كثير من الإسلاميين بها "نشر رسالة الإسلام" وعندما سئل حسن الترابي عن العدالة التي ينادي به الإسلام ودعا إلى ضرورة إيجاد علاقة تفاهم بين الإسلاميين والغرب ذكر "أن ما يبدو اليوم من مظاهر نزاع بين الإسلام والغرب ليس مرده إلى عداء يكنه الإسلام للمسيحيين. فالمسيحية إن جازت العبارة متضمنة في الإسلام". كما كان الشيخ يوسف القرضاوي قريباً من هذا عند إجابته عن سؤال حول إمكانية وجود ثقافة عالمية تستوعب الثقافات الشرقية والغربية تحيي الضمير الفردي وتحافظ على مصالح المجتمع فقال "هذا وصف للثقافة الإسلامية".

وضمن هذا التوجه، يتصف الخطاب الإسلامي عادة بكونه ينظر إلى الحضارة الغربية وكأنها قاب قوسين أو أدنى من السقوط وأن الإسلام هو البديل. يقول الترابي: "تظل الحقيقة أن لدينا مزيداً من الإمكانات المتجددة بالإيمان تلوح وتتوارد أكثر من أي وقت مضى توسع للإسلام قاعدة انتشاره، وتعرف الآخر برسالته وترغمه على التفاعل معها، ذلك أن هذه الإمكانات الإيمانية المتجددة أوجدتها أسباب متصلة بروح العقيدة نفسها، ورعتها عناية الخالق، وبالمقدار نفسه فرضتها على الغرب حالته المتهافتة اجتماعياً وأخلاقياً وبيئياً". بالتأكيد، من الصعب أن يؤمن أحد أن الحضارة الغربية هي

حضارة ثابتة مدى الدهر، ولكن الاستنتاج بأن هذه الحضارة، بسبب بعض الأمراض الاجتماعية ، هي في طريقها إلى الزوال مسألة ليست واردة في المستقبل المنظور.

هناك من يحمل طريقة فهم بعض الإسلاميين لجوهر الإسلام جنباً إلى جنب مع أولئك الغربيين الذين لا يفهمونه على حقيقته، نتيجة إعطاء صورة سلبية "مخيفة" عن الإسلام، وهذا يعني تحالف المعادين للعالم الإسلامي مع مفكرين إسلاميين في فهم الإسلام فهماً ميتافيزيقيا جامداً ولإنكار مقدرة المسلمين على التكيف بالإسلام في الظروف والأزمنة المختلفة. ويكتب فريد هاليداي في هذا المجال" لقد كان خصوم الحركة الإسلامية وأنصارها متفقين على أن "الإسلام" نفسه نظام شامل، لا يتغير، وأن معتقداته تعمل منذ قرون في مجتمعات من كل صنف ، وتحدد مواقف شعوب متنوعة من السياسة والجنس والمجتمع. وكأن الطرفين يشتركان في الرأي القائل بوجود "إسلام" جوهري، محدد تاريخياً، يفترض أنه وراء كل ما يقوله المسلمون ويفعلونه وما ينبغي أن يقولوه وما ينبغي أن يفعلوه. فالخميني والترابي والإخوان المسلمون وكل الباقين لا يقلون إصراراً على هذا الصعيد عن أي غربي متعصب معاد للإسلام. وكائناً ما كانت صوره "الإسلام" الأزلي فإنها ليست فقط بدعة عقول غربية محمومة".

وربما نستطيع مناقشة فريد هاليداري، بأن الجمع بين التيارات المختلفة في فهم واحد وموحد للإسلام ودوره، نظرة قد تكون جامدة للإسلام ولمدارسه المختلفة وللتفريق بين الفكر الإسلامي ودوره وجوهر الدين ، إلا أن الفهم الإبداعي المتطور لحقيقة الفكر الإسلامي والوعاء الاجتماعي المحيط، مسألة ضرورية لإيجاد لغة حوار أكثر اقتراباً ليس فقط مع الغرب وإنما أيضاً أكثر اقتراباً إلى الذات .

خاتمة :

على الرغم من أن للغرب ، وبصورة عامة ، وجهة نظر نمطية حول الإسلام والمسلمين، إلا أن السياسة الغربية تجاه الإسلام ليست ثابتة في يوم من الأيام. فلقد أثبتت سياسات معظم البلدان الغربية المتنفذة أنها كانت لفترات طويلة تحارب الإسلام المقاوم، القومي والوطني ، وتنحاز إلى الإسلام التابع المفرغ من محتواه القومي.

فيوم كانت القومية في الستينات حالمة لمشروع الاستقلال العربي كانت القومية، وليس الإسلام، العدو الذي يحظى بالأولوية في السياسة الغربية تجاه المنطقة العربية. وفي أيامنا هذه، فإن الغرب ما زال حليفاً لكثير من الأنظمة أو أن تلك الأنظمة ما زالت حليفة للغرب في البلدان التي توجد فيها المصالح الأساسية له. لقد كان "الغرب" طيلة تاريخه الحديث عدواً للمشروع النهضوي العربي، أياً كانت القوى الاجتماعية والإيديولوجية الحاملة لهذا المشروع.

ولا يهم الغرب كثيراً تفاصيل الفقه الإسلامي بل همه أكثر الاتجاهات السياسية الجذرية المقاومة في الإسلام. لقد كان إنشاء حماس، على سبيل المثال، دافعاً للغرب لدراسة الإسلام وحركاته السياسة، وربما أكثر مما درسه الغرب عن الإسلام والمسلمين حتى تاريخ إنشاء الحركة. فلم يكن الأهم في يوم من الأيام الأفكار العامة لأي دين أو إيديولوجيا إنما الأهم هو الحامل الاجتماعي لهذه الأفكار والطريقة التي يفهم بها هذا الحامل الاجتماعي هذه الأفكار والهدف الذي يستخدمها من أجله.

المراجع:

١. ياسر الزعاترة ، "الإسلاميون الفلسطينيون والخطاب الموجه للغرب" ، فلسطين المسلمة ، عدد٢، ١١شباط سنة ١٩٩٣.

٢. فلسطين المسلمة ، عدد١٢ ، ١٢كانون الأول سنة ١٩٩٤.

٣. جون أسبوزيتو ، "الحركات الإسلامية وتحقيق الديمقراطية وسياسة الولايات المتحدة الخارجية"، امتطاء النمر: تحدي الشرق الأوسط بعد الحرب الباردة، تحرير فيبي مار و وليم لويس، مركز الإمارات للدراسات والبحوث والنشر، ١٩٩٦.

٤. فريد هاليداي ، الإسلام والغرب: خرافة المواجهة، دار الساقي، لندن، ١٩٩٥.

٥. ناجي علوش : "الإسلام والغرب" ، دراسات عربية ، عدد ٣-٤ ، كانون الثاني – شباط ١٩٩٨.

٦. روبن رايت ، "الإسلاميون بين الديمقراطية والغرب" ، قضايا شرق أوسطية ، عدد ٥-٦، آب ١٩٩٨ ، عمان.

٧. القدس ، ١٩٩٨/١٠/٢٠ .

٨. عادل مهدي ، "النظام العالمي الجديد وأثره على الوضع العربي الإسلامي"، قراءات سياسية ، السنة الأولى، عدد ٢و٣ ، ربيع وصيف ١٩٩١.

٩. للمزيد حول علاقة حماس بالغرب أنظر: جواد الحمد وإياد البرغوثي (محررين)، دراسة في الفكر السياسي لحركة المقاومة الإسلامية حماس، مركز دراسات الشرق الأوسط، عمان، ١٩٩٧.

١٠. الوعي ، عدد ٥٤ ، تشرين الأول ١٩٩١.

١١. حوار مع راشد الغنوشي، فلسطين المسلمة، عدد ٥،١١ أيار سنة ١٩٩٣.

١٢. أحمد الموصللي، الأصولية الإسلامية والنظام العالمي، مركز الدراسات الاستراتيجية، بيروت، ١٩٩٢.

١٣. حسن الترابي، "أطروحات الحركة الإسلامية في مجال الحوارات مـــع الغـــرب"، صدام الحضارات، مركز الدراسات الاستراتيجية، بيروت ١٩٩٥.
١٤. حسن الترابي، حوارات الإسلام، الديمقراطية، الدولة، الغرب. دار الجديد، بيروت.
١٥. حسن علي ريا، الإسلام والغرب (حوار مع يوسف القرضاوي)، دار البشير للثقافة والعلوم، طنطا.

تجربة الإسلام السياسي
حركات سياسية وحكومات في التعامل مع الغرب

د. عبد الفتاح علي الرشدان*

مقدمـــة :

شهد العالم منذ منتصف الثمانينات من هذا القرن تحولات سياســية واقتصــادية كبيرة على المستوى العالمي، شملت مناطق متعددة، في مقدمتها أوروبا الشرقية والاتحاد السوفييتي، وبعض الدول النامية. وقد تأثر العالم العربي والإســلامي بهــذه التحــولات، ويتميز البنيان الدولي بوجود درجة من الترابط بين وحداته المختلفة، فهــذه الوحــدات لا توجد داخل البنيان منعزلة عن بعضها ، ولكنها تدخل في علاقات ومعــاملات اتصــالية متبادلة، وتتأثر ببعضها ، في سياق هذه المعاملات فقد أصبح العالم اليوم قرية صــغيرة بفضل التقدم الهائل في وسائل الاتصال والإعلام والمواصلات.

إن التطورات والأحداث العالمية المتلاحقة في العالم المعاصر، وكذلك الحــروب والصراعات التي حدثت في منطقة الشرق الأوسط، وما ترتب عليهــا مــن ردود فعــل عالمية مختلفة، كان لها تأثير كبير على واقع الدول العربية والإسلامية في المنطقــة، ولا سيما الحركات الإسلامية وتصوراتها وتوجهاتها نحو العالم الــذي مــا زالــت تتزعمــه الولايات المتحدة، ولو في جانبه الاستراتيجي على الأقل، وكذلك فــإن تصــورات قــادة الحركات الإسلامية وأفعالها، سواء داخل دولهم أو خارجها قد أثرت على نظرة الغــرب وتصوراته نحوهم.

* أستاذ العلوم السياسية، جامعة مؤتة.

وقد شهدت معظم دول العالم الإسلامي تحولات متعددة منها الصحوة الإسلامية التي بدأت منذ مطلع السبعينات من هذا القرن، وهذه التحولات شملت الفكر والثقافة والسياسة والأخلاق، وكان هدفها إبراز الهوية الإسلامية على المسرح الدولي، وقد تصدت لهذه المسألة حركات إسلامية منظمة ومؤهلة ومستندة في أهدافها وفكرها على مصادر من القرآن والسنة والتاريخ الإسلامي بما يتضمن من اجتهادات وممارسات تطورت عبر العصور.

واستطاعت الحركات الإسلامية بعد حوالي نصف قرن من الإعداد والعمل صياغة رأي عام جديد، يطالب بإقامة النظم الإسلامية وتطبيق أحكام الشريعة الإسلامية في مختلف مجالات الحياة، وقد جذب هذا التطور المتمثل في زيادة حركة الإحياء الإسلامي اهتمام الدول الكبرى والصغرى على حد سواء، إذ أن درجة حساسية الفاعلين الدوليين أو الوحدات الدولية أخذت تزداد في ظل التطورات التكنولوجية الهائلة والاعتماد المتبادل بين الدول، ولم يعد بمقدور الدول أن تنأى بنفسها عن الأحداث التي يشهدها العالم، وفي هذا السياق فإن الحركات الإسلامية أو ما يقال عنه حركة الإحياء الإسلامي أصبحت تشكل تحدياً واضحاً للغرب، وبخاصة أن الحركات الإسلامية تظهر عداءها بالنسبة لمواقف وقضايا كثيرة ومتعددة في السياسة والثقافة الغربية، ولا سيما سياسة الولايات المتحدة الأمريكية تجاه قضايا مختلفة ومتعددة في الشرق الأوسط، بالإضافة إلى كيفية إدارتها لعملية الحوار والعلاقات بين دول الشمال ودول الجنوب، مما دفع الدول الغربية للإحساس بوجود خطر يهددها بسبب ظهور هذه الحركات الإسلامية وما أخذت تقوم به من أنشطة وأدوار في المجتمعات التي وجدت فيها.

وقد احتلت مسألة الصحوة الإسلامية وحركة الإحياء الإسلامي، أولوية على جدول أعمال الكثير من المؤسسات السياسية والأكاديمية والإعلامية في الغرب، وساد الاعتقاد في هذه المؤسسات بأن التاريخ العالمي هو تاريخ حضارات وصراع بينها، وأن هذا الصراع سوف يهيمن على السياسة الدولية، وستكون الفوارق الفاصلة بين الحضارات بمثابة خطوط القتال في المستقبل.

ويعتقد صمويل هانتجتون أن مرحلة الصراع بين الحضارات هي أحدث مرحلة في تطور الصراع، وهي تقوم على أساس أن الصراع العالمي بين الحضارات الغربية والحضارات الأخرى، وفي مقدمتها الإسلام ومعه حضارات أخرى هي: الكونفوشية واليابانية والهندية والأرثوذكسية السلافية والأمريكية اللاتينية وربما الأفريقية. ويرى هانتجتون أن الحضارة الإسلامية ستكون مركز الصراع مع الغرب في المستقبل القريب، لأن الشعور الإسلامي بحكم الانتماء الحضاري يجعل الأمة الإسلامية تتمسك بثقافاتها الموروثة.

وفي ضوء ما سبق فإن معظم الآراء القادمة من الغرب تضع الحضارة الإسلامية على خط المواجهة مع الحضارات الأخرى، التي يجب عليها أن تقف معاً لمواجهة الخطر القادم من الشرق في اتجاه الغرب والشمال.

وهذا الموقف العدائي نحو الإسلام ليس جديداً، ذلك أن جذوره تعود إلى الماضي البعيد، ويمكن الإشارة إلى ما قاله إدورد سعيد في كتابه تغطية الإسلام "إن الإسلام كان يمثل على الدوام إزعاجاً وخطراً للغرب، ... فلا يمكن القول عن أي دين أو تجمعات ثقافية أنها تمثل تهديداً للحضارة الغربية بمثل التوكيد الشديد نفسه الذي يعم الآن عند الحديث عن الإسلام، وليس من قبيل الصدفة أن الاضطراب والعنف والقلاقل التي تحدث الآن في العالم الإسلامي (والتي تتصل بالعوامل الاجتماعية والاقتصادية والتاريخية أكثر مما تتصل اتصالاً أحادياً بالإسلام)، وقد عرت الحدود الضيقة للكليشات الاستشراقية الساذجة المتعلقة بالمسلمين، دون أن تولد بديلاً يحل محلها في الوقت نفسه ما عدا الحنين للأيام الغابرة، حين حكمت الجيوش الأوروبية العالم الإسلامي برمته تقريباً، امتداداً من شبه القارة الهندية حتى شمال أفريقية".

وعلى الرغم من أن الحركات الإسلامية في معظم دول المنطقة تعاملت مع بعض الوقائع الجديدة التي كان في مقدمتها دعوى بعض الأنظمة ورغبتها في التحول نحو الديمقراطية وإشراك الشعب في الحكم، إذ شاركت الحركات الإسلامية في الانتخابات النيابية التي جرت في كل من مصر وتونس والأردن والجزائر والكويت واليمن منذ مطلع

التسعينات، ولكن ظاهرة الإحياء الإسلامي ما زالت تمثل في أذهان الغربيين وفي أدبياتهم صورة مشوشة وغير صحيحة هي صورة "الأصولية المتطرفة"، والسلوك المتعصب وغير المتسامح الذي يحاول أصحابه فرض عقيدتهم وقوانينهم على الآخرين ولو بالقوة.

ومع أن مثل هذه التصورات والمفاهيم المغلوطة والخاطئة عن الإسلام تعود إلى أدبيات الحملات الصليبية وما تلاها من أدبيات في عصر النهضة، إلا أن وقوع بعض التطورات في الربع الأخير من هذا القرن ساهمت في إثارة هذه المفاهيم وتعزيزها في الغرب وبرزت فكرة الخوف من الإسلام بعد تفجر الثورة الإيرانية بقيادة أية الله الخميني عام ١٩٧٩، وما اقترنت به من معاداة للغرب والولايات المتحدة بشكل خاص .

وسوف تحاول هذه الدراسة إلقاء الضوء على موقف الحركات الإسلامية وتجربتها في التعامل مع الغرب من خلال الموضوعات التالية :

أولا : موقف بعض الحركات الإسلامية في الدول العربية (مصر، الأردن، السودان) من الغرب في قضايا مختلفة .

ثانيا : الإعلام الغربي والإسلام السياسي.

ثالثا : مستقبل العلاقات بين الحركات الإسلامية في الشرق الأوسط والغرب.

أولاً : موقف الحركات الإسلامية من الغرب.

شهد العالم الإسلامي منذ مطلع السبعينات ظاهرة الصحوة الإسلامية التي عبرت عن نفسها من خلال مجموعة من الحركات الإسلامية، وفي مرحلة ما بعد الحرب الباردة التي تميزت بتغيير كبير في توزيع القوة، وباهتمام كبير في ظاهرة الإحياء الإسلامي في بعض البلدان العربية والإسلامية، وسوف تركز الدراسة على بعض الحركات الإسلامية التي أصبح لها وزن سياسي ومؤثر في البلدان التي وجدت بها قبل الحركات الإسلامية في كل من مصر والسودان والأردن.

١- الحركة الإسلامية في مصر (جماعة الإخوان المسلمين)

تعد جماعة الإخوان المسلمين أبرز حركة إسلامية في مصر، وتحتل دوراً بارزاً على الساحة السياسية المصرية ويعود تاريخ نشأة الجماعة إلى نهاية العشرينات من هذا القرن ١٩٢٨*، ويمكن إبراز وجهة نظر الحركة من خلال موقفها من النظام الدولي الجديد والغرب بشكل عام.

وترى الحركة الإسلامية في مصر أنه لا يوجد أي تغيير جوهري أو جديد فيما يسمى النظام الدولي الجديد، وأن تغيير الأسماء أو الأشكال لا يعني بالضرورة حدوث تغيير إيجابي لصالح الدول العربية والإسلامية، وإنما هو تخطيط استعماري جديد تسعى من خلاله الدول الغربية وعلى رأسها الولايات المتحدة لتعزيز هيمنتها على بقية دول العالم وبخاصة الدول العربية والإسلامية.

وتقوم رؤية الحركة الإسلامية للنظام الدولي على أساس أنه نظام ثابت يمثل حالة من عدم التوازن لصالح الدول الغربية التي تمارس الظلم والهيمنة على شعوب الدول الضعيفة والفقيرة، وتحاول استغلالها من خلال خطط وشعارات مختلفة توظفها لخدمة مصالحها حسب المراحل الزمنية المتعاقبة. وتؤكد الحركة الإسلامية أن هيمنة الولايات المتحدة على النظام الدولي تعني جلب المزيد من المخاطر بالنسبة للدول النامية والدول الإسلامية بشكل خاص، إذ أن تحجيم الولايات المتحدة لدور الاتحاد السوفييتي سابقاً وتقليص دور الصين والهند كقوى يمكن أن تبرز في المستقبل، يعني في المحصلة أن النظام العالمي من صنع الغرب العدو الحضاري للأمة الإسلامية الذي يسعى إلى تشويه صورة الإسلام وعدم السماح له بالظهور على المسرح العالمي، ومن هنا فإن الحركات الإسلامية تعلن التمرد على النظام الدولي الجديد ولا تثق به.

ويمكن القول إن الحركة الإسلامية في مصر تدرك من خلال رؤيتها الذاتية الطبيعية للعلاقات التي قامت بين دول أوروبا الاستعمارية وبقية دول العالم وبخاصة الدول الإسلامية، إن هناك مؤامرة عالمية مستمرة ومستعرة ضد الإسلام والمسلمين تهدف

* **نشأت حركة الإخوان المسلمين في السويس عام ١٩٢٨ بقيادة الإمام حسن البنا (المحرر) .**

إلى العمل على إضعاف الأمة الإسلامية ونهب ثرواتها وعدم السماح لهـا بممارسـة أي دور فاعل في النظام الدولي، بل إنها تحاول إجهاض أي بادرة للنهضة الإسلامية .

وفي ضوء موقف الدول الغربية المسيطرة على النظام الدولي، وسـلوكها القـائم على أساس المعايير المزدوجة والتصرفات الانتقائية، تكونت لدى الحركة الإسلامية رؤية عدائية تجاه النظام الدولي المعاصر بمختلف قواه وعلاقاته وتفاعلاته ومؤسساته، ولذلك لم تبد أي نوع من الاحترام لمثل هذا النظام الجائر، بغض النظر عن الشكل الـذي يتخـذه (متعدد الأقطاب أو أحادي القطبية)، لأن العالم الإسلامي بقي يعاني من التبعية والحرمان والتخلف، وإضافة إلى ذلك فإن الحركات الإسلامية لا تهتم كثيـراً بنظريـات العلاقـات الدولية التي تفسر –حسب اعتقادهم– حركة النظام الدولي وتفاعلاتـه المختلفـة، وهـذه النظرية هي نظرية المؤامرة والتحالف (الصهيوني الصليبي الاسـتعماري) التـي يقـوم بتنفيذها على حساب مصلحة الأمة الإسلامية بشتى شعوبها.

ويتضح من أدبيات الإخوان في مصر بعد حرب الخليج، أن الحركة الإسـلامية ترى أن حرب الخليج الثانية هي جزء من مؤامرة دولية مـن أجـل خدمـة مصـالحها ومصالح الحركة الصهيونية في المنطقة، وعلى هذا الأساس فإنه لم يعد أمـام المسـلمين سوى إعلان "الجهاد" ضد الولايات المتحدة التي تدفع المسلمين باتجاه الوقـوف ضـدها وضد حلفائها، وتسعى لإبقاء الحاجز النفسي قائماً بين الطرفين.

وعلى الرغم من أن الحركات الإسلامية في مصر ترى أن المواجهة مع الغـرب قائمة، إلا أن جماعة الإخوان ترى أن المبادئ الأساسية التي تحكم تعامل العالم الإسلامي مع شعوب العالم الأخرى بمن فيهم شعوب الغرب تستند إلى الخطاب العقلاني والتعـاون المتبادل والتعايش السلمي، ولكن عندما يحارب الغرب الحقوق الطبيعية للمسلمين، فـإن "الجهاد يصبح فريضة دينية".

وتعتقد الحركة الإسلامية في مصر (الجهاد)، أن ما حصل للجماعات الإسـلامية في الجزائر يدل على أن الحركات الإسلامية محاصرة ومحاربة، وأن الهدف هو منعهـا

من تكوين "نظام إسلامي"، وتسعى الولايات المتحدة وإسرائيل لتحقيق هذا الهدف من خلال التحالف مع جهة يمكن أن تساعدهما في ذلك بمن فيهم بعض العرب*.

٢- الحركة الإسلامية في السودان (الجبهة القومية)

تنطلق نظرة الحركة الإسلامية في السودان إلى الغرب على أساس أنه دول إمبريالية تهدف إلى تدمير السودان وبخاصة الوجود الثقافي والهوية الإسلامية، وتستند هذه النظرة إلى الغرب على الأسس التالية :

i. إن الغرب قوة إمبريالية استقلالية مارست وما تزال تمارس استعباد الشعوب الفقيرة واستغلالها وبخاصة الشعوب الإسلامية.

ii. إن ما حصل من تقدم تكنولوجي وعلمي في الدول الغربية لم يصاحبه تغير في القيم أو الأخلاق، بمعنى أن التقدم الغربي كان محصوراً في الجانب المادي فقط ويفتقر إلى أي منظومة أخلاقية.

iii. أن الغرب يعمل باستمرار على إقناع الدول الفقيرة والمتخلفة بأن النموذج الغربي في التنمية والتحديث هو النموذج الصالح لهذه الدول، وعليها أن تتخذ منه مثلاً يحتذى به إذا أرادت أن تحقق التنمية والتطور.

iv. أن الغرب ينظر إلى الحركة الإسلامية على أنها عدو ثقافي، إذ أن هناك مؤامرة بين القوى الغربية ضد المجتمعات الإسلامية، ويتضح ذلك من إطلاق الاستعمار الإنجليزي يد الشركات المسيحية والبعثات التبشيرية من أجل العمل على جعل الشعب السوداني يتبنى الثقافة المسيحية الأوروبية، لكي يصبح مجتمعاً علمانياً، وفي السودان تحديداً فإن الجبهة القومية ترى أن هناك مؤامرة غربية ضد الشعوب والدول الإسلامية، وأن كل محاولة حوار مع الغرب كانت نتائجها دموية وعنيفة، ويقول حسن الترابي في هذا الصدد: "إن العلاقة بين المسيحية الغربية والإسلام في السودان حتى نهاية القرن التاسع عشر كانت تتسم بالعنف غير المبرر، كما أن

* أي بعض الدول العربية (المحرر) .

الإنجليز مارسوا العنف على الحركات الإسلامية في السودان خلال النصف الأول من القرن العشرين، مما يثبت عدم وجود حوار بين الإسلام والغرب في السودان"، ويضيف الترابي "ومع ذلك فقد حاولت الجبهة القومية منذ توليها السلطة في السودان أن تفتح حواراً مع الغرب على اعتبار أن الحوار يمكن أن يشكل جسراً لنشر الدعوة الإسلامية في الغرب".

ويمكن الاستشهاد بشعارات حسن الترابي زعيم الجبهة وتصريحاته أمام لجنة العلاقات الأفريقية المنبثقة من لجنة الشؤون الخارجية في الكونغرس الأمريكي، فقد أكد الترابي بأسلوب حاذق وواضح بأن الإسلام بطبيعته يؤيد ويشجع الحوار والانفتاح على كل العالم، وقال بأن الإسلام تفاعل مع الحضارات اليونانية والرومانية، وأن المسلمين في الوقت الحاضر هم أصحاب عقول كبيرة، ومنفتحة وقد تلقوا تعليمهم في مناطق متعددة من العالم وبخاصة في الغرب وهم منفتحون على الثقافات الأخرى وعلى استعدادٍ للحوار مع الحضارات المختلفة.

وقد قدم الترابي مجموعة مؤشرات تحدد استراتيجية الحوار مع الغرب:

١- في أسباب الحوار :

يرى الترابي أن الحوار ضرورة وواجب وهو مطلوب حسب الشريعة من أجل نشر الرسالة الإسلامية، إذ ليس من المعقول وضع تصورات مثالية بمعزل عن العالم، كما أن ضرورة الحوار تأتي من طبيعة الظروف الدولية الراهنة التي أصبح الاعتماد المتبادل فيها أمراً واقعاً بسبب التداخل والاتصال بين الدول والجماعات، والحوار شأن ضروري لبناء مستقبل الأمة الإسلامية.

٢- في إطار الحوار وطبيعة العلاقات مع الغرب :

يؤكد الترابي على ضرورة تهيئة المسلمين لمثل هذا الحوار ومن ثم إعداد أجهزة للحوار حتى يمكن أن يؤتي الحوار الثمار المرجوة منه لنشر الإسلام، ويجب على المسلمين أن يأخذوا زمام المبادرة لأن لديهم رسالة يريدون نشرها.

٣- مجالات الحـــوار :

يرى الترابي أن الحوار يمكن أن يكون في ستة مجالات هي: المجـال الثقـافي، والمجال السياسي، والمجال الاقتصـادي، ومجـال المعلومـات والإعـلام، والمجـال الاجتماعي، ومجال الفنون والرياضة.

وتعتقد الحركة الإسلامية في السودان أن الدول الغربية مسؤولة، وقد ساهمت في تخلف المسلمين وذلك من خلال الموروث الإمبريالي في الفتـرات السـابقة، وبالنسـبة للتغيرات التي حصلت في النظام الدولي تعتقد الحركة بأن الولايات المتحـدة أصـبحت مهيمنة على الشؤون الدولية في ظل الأوضاع الجديدة وأنها سوف تحاول محاربة الإسلام باعتباره العدو الأساسي في عالم اليوم بعد انهيار الشيوعية، وعليه تعتقد الحركة الإسلامية أن جميع المنظمات الدولية أدوات في يد الغرب للهيمنة على العالم .

وترى الجبهة القومية أنه من الضروري للحركات الإسلامية أن تعمل من خـلال مؤسسات مجتمعاتها حتى تصل إلى السلطة كما هو حال الجبهة في السودان، ولكنها ترى أيضا ضرورة أن تعمل الحركات الإسلامية من خلال المنظمات الدولية على المسـتوى الخارجي، على الرغم من رفضها للمعايير الانتقائية التي تطبقها هذه المنظمات في إطار النظام الدولي الجديد .

٣. الحركة الإسلامية في الأردن

ترى الحركة الإسلامية في الأردن أن النظام الدولي الذي تشكل بعد انتهاء الحرب الباردة، والذي تسيطر عليه الولايات المتحدة، ليس بجديد، بل إنـه نظـام قـديم، وهـو استمرار للنظام الاستعماري، ولكنه بقيادة جديدة، وهذا يعني سيطرة المسيحية واليهوديـة على العالم، ويتميز هذا النظام بالحقائق التالية :

(١) أنه ليس نظاماً ثابتاً أو دائماً لأنه قائم على أساس المصالح بدون أي اعتبـار للقـيم الإسلامية، ولذلك فإن قيادة الولايات المتحدة له مؤقتة على الرغم من انتصارها في الحرب الباردة، لأن الولايات المتحدة ليست بحالة سليمة كما يعتقد البعض.

(٢) أن الولايات المتحدة تنهب خيرات دول العالم الثالث وكذلك خيرات حلفائها، لأن حلفاءها ليس لديهم خيار غير مسايرة الولايات المتحدة لأنها تمتلك القوى العسكرية، ولكن اليابان وألمانيا بحالة استعداد لتولي قيادة العالم عندما تنهار الولايات المتحدة، ومثل هذه الدول ليس لديها اعتقاد بالديانات على الرغم من خلفيتهم المسيحية أو اليهودية.

(٣) أن الشعوب الإسلامية تعاني باستمرار من جميع التطورات التي تحصل في النظام الدولي، حيث تأثر المسلمون بوعد بلفور بعد الحرب العالمية الأولى، وتأثروا بقيام دولة إسرائيل بعد الحرب العالمية الثانية وتتأثر هذه الدول اليوم بالاعتداء على سيادتها جراء تدخل الولايات المتحدة في شؤونها الداخلية .

وفي نظر "الإخوان المسلمون" في الأردن؛ إن العالم بحاجة إلى نظام جديد لا تسيطر عليه دولة واحدة تحاول أن تستثني الإسلام، إن النظام الجديد يجب أن يقوم على أساس إنساني وعلى قيم الأخلاق التي تجمع بين شعوب العالم.

وإن النظام العالمي كما تراه الجماعة الإسلامية يتصف بعدم العدالة، وهو يمثل اتحاد كل دول الغرب ضد بقية دول العالم.

وفي الوقت الذي ترفض فيه الحركة الإسلامية التفاوض أو الحوار مع إسرائيل فإنها تقبل الحوار مع الغرب، وهذا يعني أن رفض التعامل مع الغرب ليس مطلقاً، ومن هذا المنطلق، فإن جماعة "الإخوان المسلمون" من خلال جبهة العمل الإسلامي التقت السفير الأمريكي في عمان لأول مرة في ١٩٩٣/٥/١٧م.

وفي مجال تعامل الحركة الإسلامية مع الغرب يشير أحد رموز الحركة الإسلامية سابقاً في الأردن إلى أن العالم أصبح قرية صغيرة بسبب ثورة الاتصالات والمواصلات وأصبحت منطقة الشرق الأوسط أهم منطقة على سطح الكرة الأرضية من حيث ارتباطها بالمصالح العالمية وبالسياسة الدولية، ويقول : إذا كان الغربيون صادقين فيما يدّعون من الالتزام بمبادئ الديمقراطية وحقوق الإنسان فإننا نطالبهم بما يلي:

i- نريد ببساطة أن يلتزم الغرب بالأمانة والموضوعية والمعالجة العلمية عند دراسة الحركة الإسلامية أو الكتابة عنها، وأن يلتزم بالتخلي عن تشويه الحقائق أو إهمالها أو تجاهلها.

ii- نريد من الغرب أن يحترم حقنا في الحرية وحق شعبنا في التشبث بثقافته وقيمه وحقه في الدفاع عن قضاياه العادلة.

iii- إننا نريد الديمقراطية ونعمل من أجل الإصلاح الديمقراطي، ففي اعتقادنا تنسجم المبادئ الديمقراطية مع مبادئ الشورى والتشاور، ولكن على الغرب أن يلتزم بتأييد التحولات الديمقراطية، وأن يتخلى عن تأييد الاستبداد بحجة حماية مصالحه، وعليه أن يثبت مصداقيته في الدفاع عن حقوق الإنسان أياً كان صاحب الحق وأياً كان المنتهك له.

iv- نريد أن يستوعب الغربيون أننا، وعلى الرغم من استعدادنا التام ورغبتنا في التعاون في سبيل تحقيق نظام إنساني عالمي جديد يقوم على العدل والمساواة ويُيسر للبشرية الاستفادة مما توصلت إليه الحضارة الإنسانية من تقدم وتطور في المجالات كافة، ويشعر الإنسان فيه بالأمان والاحترام والعيش الكريم، إلا أننا نشك في إمكانية أن تتوصل الحضارة الغربية التي غلبت عليها النزعات المادية والعدوانية من تحقيق مثل هذا النظام العالمي.

نظرة الغرب إلى الإسلام السياسي

ينظر الغرب إلى الإسلام على أنه العدو المرشح للتصادم مع الغرب وهناك عدة عوامل جغرافية وتاريخية تساهم في تعزيز النظرة للإسلام على أنه هو العدو المرتقب للغرب، وهي:

١- استناداً إلى التراث المسيحي فإن بين الغربيين من يصّر على اعتبار المسيحية السمة لتعريف الذات وتميزها عن الآخر، وعند البحث عن عدو مرتقب يتم البحث عن آخر غير مسيحي يمكن أن يتناقض مع المجتمع الغربي، وهنا يأتي دور العامل

الجغرافي، فالمجتمع الإسلامي بالنسبة للمتجه جنوباً من أي مكان في أوروبا هو المجتمع غير الأوروبي وغير المسيحي الأقرب للعرب.

٢- هناك العامل البارز الذي يتمثل في مجموعة الذكريات الشعبية المغلوطة عن المعارك ما بين المسلمين والأوروبيين، حيث تظهر هذه الذكريات المسلمين غزاة، وفي الوقت نفسه يسقط العقل الغربي من ذاكرته أن الأوروبيين غزوا واستعمروا معظم البلدان الإسلامية.

٣- امتلاك بعض الدول الإسلامية مثل الباكستان وإيران والعراق سابقاً لبرامج نووية متطورة، وما يمكن أن يسببه ذلك من تهديد للغرب.

٤- الأثر المقلق لوجود جاليات إسلامية كبيرة داخل أوروبا الغربية ينظر إليها في ضوء إمكان أن يكون طليعة لموجة أكبر من الهجرة الناجمة عن الانفجار السكاني.

ويحدد أحد المستشرقين الغربيين أسباب حملة التشويه الغربي لصورة الإسلام فيقول : خوف الغرب من الإسلام يأتي من جوانب ثلاثة " الأول أنهم الأكثر عداوة بسبب ذكريات الماضي الاستعماري، والثاني أن العرب والمسلمين هم الأكثر قرباً من حيث الجوار الجغرافي، والثالث أنهم العقبة أمام السيطرة الغربية على العالم.

ويقول المفكر الفرنسي ماكسم رودنسون بأن " المسيحية الغربية قد رأت في العالم الإسلامي خطراً يهددها قبل أن يبدأ النظر إليه كمشكلة حقيقية بزمن طويل.

إن الحديث عن نظرة الإسلام إلى الغرب تقتضي التطرق لإسرائيل لما تلعبه من دور مؤثر على هذه العلاقة، إذ أن إسرائيل أول من تسعى إلى تشويه صورة الإسلام وإلصاق تهمة الإرهاب بالإسلام، والتحذير من أن الحركات الإسلامية أصبحت الخطر الأول على استقرار منطقة الشرق الأوسط والعالم.

وعلى الرغم من أن الغرب والأمريكيين بشكل خاص يجادلون بأن السياسة الأمريكية تجاه الإسلاميين تحركها اعتبارات المصالح القومية، وليس اعتبارات إسرائيل الأمنية وحساباتها الخاصة، إلا أن بعض المسؤولين في الحكومة الأمريكية يخالفون هذا

الرأي، ويقول أحد كبار الموظفين في وزارة الخارجية " لقد تأثرنا بتعريف الإسرائيليين للإسلاميين، إن رأي إسرائيل في الأصولية الإسلامية يساهم إلى حد بعيد في تشكيل المدركات السياسية للمسؤولين الأمريكيين حول هذه الظاهرة".

وتحاول حملة التشوية الإسرائيلية للإسلام زرع المخاوف في نفوس الغربيين لقبول كل ما يوصف به الإسلام من سلبيات، وركزت الأقلام اليهودية على مسألة انقطاع الصلة بين الإسلام والديمقراطية، وتشجيع الإسلام للحكم الفردي، وعدم المساواة بين المسلمين وغير المسلمين، وأنه يختلف عن الاتجاهات الحديثة لليهودية والمسيحية في أنه عقيدة سياسية واضحة، وعقلية اتصالية تبشيرية بل عدوانية، ويمكن القول إن هدف الإسرائيليين من ذلك هو تأمين استمرار تدفق المعونات والدعم الاقتصادي الأمريكي والغربي لإسرائيل.

ويفهم مما سبق أن العلاقة بين الغرب والإسلام ليست بمنأى عن تأثير إسرائيل.

ثانياً: موقف الإعلام الغربي من الإسلام

يمكن الاستعانة بهذا القول لوصف كيفية التعرض للإسلام في وسائل الإعلام الغربية "لعلنا لا نغالي إلا قليلاً في قولنا إن المسلمين والعرب تتم تغطيتهم الإعلامية أساساً، ويدور النقاش حولهم ويتم إدراكهم بوصفهم موردي نفط أو إرهابيين محتملين. أما تفاصيل الحياة العربية – الإسلامية والكثافة الشعوبية الإنسانية وزخمها النابض، فلم يدخل إلا النزر اليسير منها حتى في وعي أولئك الذين امتهنوا تغطية العالم الإسلامي والتقرير عنه، ونجد لدينا عوضاً عن ذلك سلسلة محدودة من الكتابة الكاريكاتورية الفجة المختزلة حول العالم الإسلامي، معروضة بطريقة من شأنها أن تجعل هذا العالم معرضاً للعدوان العسكري.

وقد لعب الإعلام الغربي دوراً كبيراً في التأثير على تكوين رؤية مشوهة ومشوشة عن الإسلام السياسي، وهو يكوّن بسبب ذلك رأياً عاماً غربياً يعتقد بأن الإسلام

هو هاجس العصور، ومصدر الخطر أو التهديد، وأن التهديد الذي يمثله الإسلام حقيقة مفروغ منها ولا بدّ من الحذر منه والاستعداد لمواجهته.

ويقوم الإعلام الغربي بالافتراء على الإسلام من منظور بالغ التعصب ويتضح ذلك مما يلي:

i- تنصب النسب الساحقة من المعالجة الإعلامية على الإسلام الشرق أوسطي، وهو ما يؤكد على الربط بين الإحياء الإسلامي والصراع العربي الإسرائيلي في العقل الغربي، وتتأكد هذه العملية مجدداً بالقول بأن حل هذا الصراع هو أساس فك الاشتباك بين الغرب والمسلمين .

ii- الإلحاح في الإيهام بالتناقض بين الإسلام والديمقراطية، وتدشين الحجج والآراء المؤيدة لهذه المقولة، مع تسفيه الآراء المعارضة لها.

iii- الدعوة والتحذير من التفرقة بين التيارات الإسلامية المعتدلة والمتشددة، مثلت نقطة أساسية في معالجة العلاقة بين الغرب والإسلام، رغم التسليم بأن الإسلاميين هم مزيج لا يمكن تحديد مكوناته ولا يمكن وضعهم في سلة واحدة.

iv- التأكيد على العلاقة العضوية بين معاداة الحركات الإسلامية، وبين دعم الأنظمة القمعية في البلدان الإسلامية. فهذه الحملة الغربية ضد الإسلام تستخدم لحشد المساندة لنظم أوتوقراطية موالية للغرب.

v- التحريض في بعض الأحيان على التضحية بالديمقراطية إذا كان نتاجها هو وصول الإسلاميين إلى الحكم.

ومما يؤكد على دور الإعلام الغربي السلبي في رسم صورة الإسلام ومن ثم التأثير في صنع القرار تجاه العالم الإسلامي، أن وسائل الإعلام في الولايات المتحدة إما بدافع خاص منها أو تمشياً مع توجهات النخبة في مجال صنع السياسة الخارجية أخذت تتحدث عن بروز أعداء عالميين جدد. وهذا ما يفسر افتتان الصحافة الأمريكية بالإسلام السياسي وبإيران، وتصوير الصحافة للمسلمين على أنهم دعاة عنف، ولهذا يتم الانتقاص من مكانتهم في الرأي العالم الأمريكي، وهذا يؤثر في معادلة السياسة الخارجية الأمريكية،

لأن صناع القرار وأفراد النخبة السياسية يستقون كثيراً من المعلومات والوقائع التي يحتاجونها من الصحافة.

ثالثا :مستقبل العلاقات بين الإسلام السياسي والغرب

لقد سادت في المجتمع الغربي ظاهرة معاداة الإسلام، وقد نشط المفكرون الغربيون في البحث عن أساليب التعامل مع ظاهرة العدو الجديد، وتراوحت وجهات النظر بين رؤى براجماتية تدعو إلى الاستعداد للتعامل مع الإسلاميين على أنهم بديل قادم عن الأنظمة القائمة، ورؤية تقليدية ترى ضرورة مواجهة هذا الخطر من قبل أن يصبح حقيقة ماثلة. وخلال العقدين الماضيين لم يلاحظ أن وسائل الإعلام أو قادة الرأي في الغرب توافرت لديهم الرغبة في التعرف على حقيقة الإسلام وفهم مبادئه بشكل موضوعي متوازن وبدون تحيز مسبق، بل على العكس من ذلك كان تناول الإسلام السياسي في معظم الأحيان يرتبط بالحديث عن الإرهاب والتخلف والتطور إلى درجة تصوير الإسلام بأنه المسؤول عن كل أعمال العنف أو ردود الفعل التي كانت تقوم فيها جماعات محبطة وبائسة بسبب ما مورس عليها من ظلم وقهر واستغلال من قبل أعداء المسلمين الذين سيطروا على بلادهم، وكان الغرب يقف إلى جانب الظالمين باستمرار بحجة حماية مصالحهم الذاتية والحيوية في العالم الإسلامي.

وضمن وجهات النظر المختلفة نحو كيفية التعامل بين الغرب والإسلام، يطرح أحد المفكرين خمسة مبادئ توجيهية للغرب في التعامل مع الإسلاميين :

١- تجنب وضع الإسلاميين كلهم في سلة واحدة، والنظر إليهم فقط من منظور التهديد الأمني، فهذا خداع للنفس ومجافاة للعدل، وينبغي على الغرب أن يسعى إلى معرفة طبيعية الجماعات الإسلامية وماهيتها بعيداً عن الصورة المشوهة.

٢- تشجيع الأنظمة الحاكمة على ضم الإسلاميين المعتدلين إلى الحكم، فلم يعد بالإمكان تجاهل الاتجاه الإيديولوجي الإسلامي والتفاوض على مواثيق تضمن عدم الانقلاب على العملية الديمقراطية من أي طرف...، ويجب الإشارة هنا إلى أن معظم

الحكومات، وكذلك كثيراً من مجموعات المعارضة العلمانية لم تثبت أنها أكثر التزاماً بالديمقراطية من الإسلاميين.

٣- انتقاد الغرب لانتهاكات حقوق الإنسان والغش في العملية الانتخابية عندما يقعان وليس عندما يتعارضان مع مصالح الغرب. فمصداقية الغرب قليلة بشأن هذه القضايا، كما أن خطاب الغرب بخصوص حقوق الإنسان والديمقراطية يبدو مشروطاً بالاعتبارات الاستراتيجية، وهذه المشروطية قد تكون مشروعة، ولكن الحكومات الغربية لا يمكنها أن تدعي أن لديها مستوى أخلاقياً أعلى من مستوى القوى المعادية للغرب.

٤- حماية الأقليات واحترام جماعاته التي هي ضد الحكم المتعسف، فقد وفرّ الإسلام أشكالاً للابقاء على مجموعات من التشريع داخل نظام الحكم الواحد. ولا شك أن العودة لتلك الأشكال الفريدة من التعدد القانوني والاجتماعي أيسر من إنشاء تعددية غربية، فضلاً عن استعداد الإسلاميين للالتزام بتلك التعددية أكثر من استعدادهم للالتزام بالسياسات التعددية من طراز الغرب.

٥- يجب أن يوقف الغرب نهجه الانتقائي للتدخل العسكري الذي يتكرر بشكل ملحوظ حين يكون القاتل والمقتول من المسلمين، بينما ينظر حين يكون القاتل قوة غير مسلمة. ويجب على الغرب أن يساعد في تحقيق نتائج جوهرية في حل الصراع العربي الإسرائيلي، وبما يؤدي بالنتيجة إلى قيام دولة فلسطينية.

وضمن الرؤى البراجماتية يرى مفكر غربي أخر أنه " قد آن الأوان لكي يعمد الغرب إلى الإسهام في عصر النهضة في العالم الإسلامي، ونحن إذا تعاملنا مع الدول العصرية في العالم الإسلامي كشركاء على قدم المساواة، وإذا سعينا إلى تسوية المسائل الأمنية الصعبة التي ابتلي بها الشرق الأوسط فإننا نستطيع أن نضع الأساس لهذا الميلاد المجيد، وإذا عملنا معاً وجميعاً أفضل ما في حضارتينا، فإن الفترة القادمة من تاريخنا ستكون فترة قوامها التعاون البناء لا الصراع الهدام.

أما الاتجاه الآخر الذي يمثل الرؤية التقليدية التي تدعو إلى المواجهة مع الإسلام، فيقول أحد دعاته "على المدى القصير ... من مصلحة الغرب أن يعزز التعاون والوحدة داخل حدود حضارته، وينبغي عليه أن يحد من القوة العسكرية للحضارات المعادية، وبخاصة الحضارتين الإسلامية والكونفوشية مستغلاً الخلافات والصراعات بين دولهما، وعلى المدى البعيد ينبغي على الغرب اعتماد إجراءات مختلفة مثل تعميق الفهم للمفاهيم الدينية والفلسفية الأساسية للحضارات الأخرى ... وكيف تنظر شعوبها لمصالحها".

هذه بعض وجهات النظر الغربية تجاه الإسلام السياسي، وقد صدر مثلها في الماضي ويمكن أن يصدر في الحاضر والمستقبل الكثير، ولكن بغض النظر عن هذه المواقف تجاه الإسلام السياسي سواء أكانت إيجابية أم سلبية فإن النتيجة التي يتوصل إليها المراقب تكشف عن حقيقة أن ثمة علاقة جديدة في طور التشكيل تضع كلاً من الحضارتين الإسلامية والغربية في مواجهة الأخرى .

ويمكن القول أن المواجهة هذه المرة تختلف عن المواجهات السابقة بين المسلمين وغير المسلمين، التي حدثت عبر التاريخ، ويؤكد الأستاذ صلاح الدين حافظ في سلسلة مقالات له تحت عنوان "الجهاد الديني ورسالة أمريكا السماوية"، وصف فيها الصراع القائم الآن بأنه المجابهة الدينية الحديثة بين الإسلام وشعوبه ودوله وحضارته وثقافته، والمسيحية واليهودية المتمثلتين بحضارة غربية مغايرة، لها هي الأخرى دولها وشعوبها وثقافتها وسياستها ومصلحتها، أنه صراع معقد ومركب يجمع ما بين المبادئ والمصالح: صراع أفكار وسياسات، صراع ثقافات وعقائد، يستعيد دائماً الذاكرة، وأحداث الماضي ومجابهاته التاريخية الملهبة للمشاعر، المثيرة للعواطف، المحركة للتطرف، الدافعة للتعصب، هنا وهناك.

الفصـل الرابع

مستقبل علاقات الغرب بالإسلام السياسي في الشرق الأوسط في مضمار التنافس والاختراق الاجتماعي

مستقبل علاقات الغرب بالإسلام السياسي في الشرق الأوسط في مضمار التنافس الحضاري والاختراق الاجتماعي

أ.د. محمد عثمان شبير*

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه *ومن دعا بدعوته إلى يوم الدين* .

أما بعد . . . فإن قضية العلاقة بين الإسلام والغرب من القضايا التي يتجدد الحديث عنها في كل عصر من العصور . فقد انشغل بها العالم في هذا الوقت –وعلى الأخص بعد انتهاء الحرب الباردة– انشغالاً كبيراً من الناحية الفكرية والحضارية والتاريخية والسياسية والمستقبلية . وقد تباينت فيها الكتابات : فبعضها وتّر العلاقات بين الإسلام والغرب بطرح نظريات الصراع والتنافس ،وبعضها دعا إلى الانكماش وعدم الدخول في حوار مع الآخر، وبعضها دعا إلى الحوار والتعاون والتعايش . فما الموقف من هذه الدعوات ؟ وما مستقبل العلاقة بين الغرب والإسلام السياسي ؟ للإجابة عن هذين السؤالين كتبت هذه الورقة بقصد رسم الخطوط العريضة لتلك العلاقة ومستقبلها وقسمتها إلى أربعة محاور وهي :

المحور الأول : أسس العلاقات بين الأمم والشعوب في الإسلام

تقوم العلاقات بين الأمم والشعوب في الإسلام على الأسس التالية :

١. الأصل في العلاقة بين المسلمين وغيرهم هي الدعوة إلى الله:

* أستاذ أصول الفقه ـ الجامعة الأردنية.

فالإسلام دين عالمي ينظم حياة الناس في جميع شئون الحياة ، وهو مفتوح لكل الناس ، فلا يغلق دون جنس من الأجناس. قال تعالى: "وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً" **(سبأ ٢٨)** .

٢. الوحدة الإنسانية :

فالناس أخوة في الإنسانية خلقهم الله تعالى من أب واحد (آدم) وأم واحدة(حواء) قال تعالى: "يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساءً" **(النساء١)** .

٣. السلام هو الأصل في العلاقات بين الأمم والشعوب :

قال تعالى: "يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة" **(البقرة٢٠٨)** . ولأن المسلم يهيئ مناخاً ملائماً للدعوة إلى الله أكثر من الحرب ، ففي حالة السلم تكون العقول متفتحة والقلوب مطمئنة والنفوس مستقرة ، فتكون الاستجابة للدعوة سريعة.

لكن السلام في الإسلام يقوم على العدل والإقرار بالحقوق وعدم الاعتداء ، فإذا امتدت يد العدوان على المسلمين فلا حرمة للمعتدين ويرد هذا العدوان بإعلان الحرب على المعتدين . قال تعالى : "وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين " *(البقرة١٩٠)* . ويدخل تحت الاعتداء قطع الطريق، والبغي من طائفة على أخرى، وانتهاك حقوق الإنسان من دين ونفس ومال وعرض .

وهذا يقتضي أن لا يتنازل المسلمون عن مصدر قوتهم من جهاد وإعداد حتى لا يطمع الشذاذ في إيذاء المسلمين وقتلهم وهضم حقوقهم باسم السلام . وبهذا تكون القوة ضرورية للسلام والجهاد معاً.

٤. احترام المسلمين للعهود والمواثيق :

إذا عقد المسلمون مع غيرهم عهوداً ومواثيق وجب على المسلمين احترام هذه العهود والمواثيق لقوله تعالى : "وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلاً إن الله يعلم ما تفعلون" **(النحل٩١)**. وفي المقابل يجب على الطرف الآخر الالتزام بتلك العهود ظاهراً وباطناً ، كما لا يقبل منهم سلوك طريق

الخيانة . قال تعالى: "وإما تخافن من قوم خيانة فانبذ إليهم على سواء إن الله لا يحب الخائنين" **(الأنفال ٥٩)**.

٥. التسامح مع الأفراد ومعاملة المسيء بالإحسان :

بالرغم من أن كثيراً من غير المسلمين يكنون العداوة للإسلام والمسلمين قال تعالى: "ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفاراً حسداً من عند أنفسهم" **(البقرة ١٠٩)**.

إلا أن المسلمين أمروا بالإحسان إليهم فقال تعالى: "ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم" **(فصلت ٣٤،٣٥)** وقال تعالى: "وجزاء سيئةٍ سيئةٌ مثلها فمن عفا وأصلح فأجره على الله إنه لا يحب الظالمين" **(الشورى ٤٠)**.

المحور الثاني : العلاقة التاريخية بين الإسلام والغرب :

يمكن إرجاع تاريخ العلاقة بين الإسلام والغرب إلى اقتراب ظهور الإسلام في القرن السابع الميلادي . فقد كان الرهبان من النصارى كراهب عمورية وراهب الموصل يدلون طلاب الحقيقة كسلمان الفارسي على موطن بعثه النبي صلى الله عليه وسلم وصفاته . وكان أحبار اليهود ينذرون المشركين من العرب برسول الله صلى الله عليه وسلم ويقولون لهم " قد تقارب زمان نبي يبعث الآن نقلكم معه قتل عاد وإرم" . (السيرة النبوية لابن هشام ١/٢١١ – ٢١٨) .

أولاً : بداية العلاقة الفعلية بين الإسلام والغرب :

بدأت علاقة المسلمين الفعلية بالغرب منذ هجرة المسلمين إلى الحبشة التي كانت تدين بالنصرانية ، وكان ذلك قبل الهجرة النبوية . وفي المدينة المنورة عقد النبي صلى الله عليه وسلم معاهدة سلمية مع اليهود . وأرسل النبي صلى الله عليه وسلم كتباً إلى زعماء النصارى يدعوهم فيها إلى الإسلام. ولما ظهرت الخيانة من اليهود للمسلمين نبذ

الرسول صلى الله عليه وسلم عهدهم إليهم وقاتلهم . وكان أول احتكاك عسكري مع نصارى الغرب في معركة مؤتة ، حيث قدم الرومان من الغرب والشرق لمقاتلة النبي صلى الله عليه وسلم . كما اجتمعوا أيضاً في تبوك فأظهر الله دينه عليهم .

وبعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم توجهت الفتوحات الإسلامية نحو الشرق والغرب ففتحت الأندلس وصقلية وفرنسا وسويسرا واصبح المسلمون القوة الأولى في العالم بعد القضاء على الإمبراطورية الفارسية والإمبراطورية الرومانية . وقد استمرت الفتوحات الإسلامية إلى أن فتح المسلمون الأتراك القسطنطينية سنة (٧٥٣هـ/١٤٥٣م) وحاز المسلمون الأتراك على ثقة العالم الإسلامي في القيادة العسكرية والتفوق على الأمم المعاصرة لها في الصناعة واستخدام الآلات الحربية .

وقد أساء الغرب فهم الفتوحات الإسلامية واعتبروها استعماراً لبلادهم، وقد ترتب على ذلك كراهيتهم للجهاد والإسلام والمسلمين والأتراك، حتى أن البابا اعتبر يوم وفاة محمد الفاتح يوم عيد وأمر أن تقام الصلوات الشكر في الكنائس .

والحقيقة أن الفتوحات الإسلامية لم تكن استعماراً لبلاد الغرب، وإنما كانت تحريراً للشعوب من حكم الطغاة والمستبدين وأعادت للإنسان إنسانيته وحريته وكرامته وعبوديته لله تعالى. ولهذا فضل النصارى واليهود حكم المسلمين على حكم غيرهم من بني جنسهم ، فقد روي عن أبي عبيدة أنه رد الجزية على أهل حمص بعد أن أخذها منهم لعدم القدرة على حمايتهم فرفضوا ذلك وقالوا " والله إن لولايتكم علينا أحب من ولاية بني جنسنا علينا".

وكان جنود الفتوحات الإسلامية أشرف محاربين عرفتهم الأمم والشعوب ، يلتزمون بقيم الإسلام ، من عدل وأمانة ومحافظة على حقوق الأفراد ، ويجتنبون الغدر والتمثيل بالقتلى وقتل الأطفال والنساء ورجال الدين الذين لا يشتركون في القتال .

ومن الأمثلة على الأمانة أن ابن عباس رضي الله عنه سئل عن دجاجة أو شاة من أموال الذميين (غير المسلمين) في أيام الغزو، فقال ابن عباس للسائلين ما تقولون أنتم؟ قالوا : "نقول ليس علينا من الأميين سبيل" فأجاب ابن عباس : "إنهم إذا أدوا الجزية لم

تحل لكم أموالهم إلا بطيب أنفسهم" ومستند هذه الفتوى حديث للنبي صلى الله عليه وسلم حينما سمع مقالة اليهود: "ليس علينا في الأميين سبيل" قال: "كذب أعداء الله ما من شيء في الجاهلية إلا وهو تحت قدمي هاتين إلا الأمانة فإنها مؤداة إلى البر والفاجر".

ومن الأمثلة على عدل المسلمين في الفتوحات الإسلامية " قضية سمرقند" التي فتحها قتيبة بن مسلم الباهلي دون أن ينبذ إليهم عهدهم السابق مع المسلمين . حيث ذهب وفد من أهل المدينة إلى عمر بن عبد العزيز بعد أن تولى الخلافة وشكوا إليه قتيبة . فأمر عمر بن عبد العزيز والي سمرقند" أن يشكل لهم محكمة للحكم بالحق في هذه الظلامة، فحكم قاضي سمرقند جُميع بن حاضر الناجي "بخروج الجيش الإسلامي من المدينة، وكذلك يخرج منها المسلمون الذين دخلوها بعد الفتح . فأحدث هذا الحكم رجة في سمرقند، فاستشار الوالي الخليفة ، فبعث إليه أن ينفذ حكم القاضي. فما كان من الوالي إلا أن طلب من الجيش الخروج كما طلب من المسلمين أن يخرجوا من المدينة. وبينما كان الجيش يفكك معسكراته، والمسلمون يصفون أعمالهم وممتلكاتهم جاءهم وفد سمرقند فقال الوفد : لم يكن هذا الحكم يدور بخلدنا لحظة واحدة، وإن تعاليم الإسلام لا تضيق بمثله، وأمام حسن المعاملة التي وجدنا نعلن تنازلنا عن حقنا وبقاء الحال على ما هو عليه.

وإزاء هذه الرغبة الصادقة من أهل سمرقند أمر الوالي الجيش بالبقاء، وأمر المسلمين بعدم الخروج. ودخل كثير من أهل سمرقند في الإسلام .

وقد وضعت الفتوحات الإسلامية بصمات الحضارة الإسلامية على حضارة الغرب وتقدمه . وقد شهد بذلك الغربيون أنفسهم .

ثانياً : علاقة الغرب بالإسلام :

اتخذت علاقة الغرب بالإسلام شكل الصراع والعداوة وردوا على الفتوحات الإسلامية بكل قسوة وهمجية وحقدوا على الإسلام والمسلمين وتمثل ذلك في الحروب الصليبية، وإخراج المسلمين من الأندلس، والاستعمار، والاستشراق، وغرس إسرائيل في قلب العالم الإسلامي، والقضاء على الخلافة الإسلامية.

وقد ترتب على ذلك :

١. سلب أموال المسلمين وثرواتهم .
٢. قتل النفوس وإلقاء الرعب في قلوب المسلمين .
٣. هتك الأعراض وإفساد المرأة المسلمة .
٤. تشريد شعب فلسطين .
٥. تشويه صورة الإسلام واتهام المسلمين بالتخلف والهمجية .
٦. القضاء على كثير من شعائر الإسلام من البلاد التي احتلوها .
٧. إحلال القوانين الوضعية محل التشريعات الإسلامية .

المحور الثالث: واقع العلاقة بين الإسلام السياسي والغرب :

إزاء الهجمة الشرسة على الإسلام والمسلمين قام أحرار الأمة العربية والإسلامية ومن بينهم شباب الحركات الإسلامية بمناهضة الاستعمار الغربي دفاعاً عن عقيدة الأمة وحفاظاً على ثرواتها وهويتها. ونلخص أهم مواقف الحركات الإسلامية من الغرب الاستعماري في النقاط التالية :

١. مقاومة الاستعمار الغربي والاشتراك في معارك التحرير والاستقلال وكانت الحركات الإسلامية أقوى الحركات المناهضة للاستعمار كما قال "برنارد لويس" في كتاب الغرب والشرق الأوسط ص١٧٣. وقال "أنور السادات" في كتاب صفحات مجهولة من تاريخ الثورة المصرية. "فقد خاض شباب الحركة الإسلامية في مصر أعنف المعارك ضد الإنجليز".

وشارك شباب جماعة " فدائيات إسلام " الإيرانية بزعامة نواب صفوى في تحرير "مصافي عبادان" من النفوذ الإنجليزي .

٢. إعلان الكفاح المسلح ضد اليهود الغاصبين لفلسطين :

ففي مصر دعت الحركة الإسلامية الناس إلى التطوع للجهاد في سبيل الله وشاركت مجموعة من المتطوعين في حرب (١٩٤٨) بقيادة محمد فرغلي ويوسف طلعت . وفي الأردن قاد عبد اللطيف أبو قورة المتطوعين ، وفي سوريا قاد الدكتور مصطفى السباعي مجموعة من المسلمين المتطوعين ، وفي إيران

لبس مجموعة من الشباب المنتمين إلى جماعة " فدائيات إسلام " الأكفان واستعدوا للزحف إلى فلسطين، لكنهم فوجئوا بتوقيع الهدنة قبل سفرهم .

وقد شاركت الحركات الإسلامية في حركات التحرير الفلسطينية التي نشأت في الستينات، وشارك مجموعة من الشباب المسلم في الهجمات الفدائية ضد اليهود، وكانوا ينطلقون من مخيمات خاصة بهم تعرف بمخيمات الشيوخ . ولا تزال الحركات الإسلامية تقاتل اليهود في فلسطين على يد حركة المقاومة الإسلامية (حماس) والجهاد الإسلامي وفي لبنان على يد الحركة الإسلامية وحزب الله .

٣. كشف مثالب الحضارة الغربية .

٤. اعتبار الشيوعية من أخطر الاتجاهات التي تهدد عقيدة الأمة الإسلامية .

٥. رفض الهيمنة الغربية سواء أكانت بريطانية أم أمريكية .

واتخذ الغرب إزاء هذه المواقف العداء السافر للحركات الإسلامية واعتبر هذه الحركات خطراً على مصالحه في الشرق الأوسط ومن ذلك النفط ، وحرية الملاحة في البحار ، وأمن إسرائيل .

ومما يدعم هذا العداء : الحق الموروث على الإسلام والمسلمين . والإعلام الغربي الموجه من قبل اليهود، وتشويه صورة الإسلام واختزاله في "إرهاب" واستعداء اليهود للغرب على الإسلام من حركات إسلامية وأقليات مسلمة في الغرب . وقد ساهم في هذا الاستعداء جماعات الضغط اليهودية في الغرب وقادة اليهود في فلسطين المحتلة مثل هيرتزوغ ورابين ونتنياهو . فقد كتب الأخير كتاباً سماه "استئصال الإرهاب" ركز فيه على الإسلام ووصفه بالإرهاب ، ووضع في الكتاب خطة شاملة لمكافحة الإرهاب مما حدا "كلينتون" تبني هذا الكتاب بما فيه من إجراءات لمكافحة الإرهاب .

المحور الرابع : مستقبل العلاقة بين الإسلام السياسي والغرب :

إذا كان القرن التاسع عشر قرن المسيحية ، والقرن العشرون هو قرن اليهودية وقيام دولة إسرائيل وانتصارها على بضع وعشرين دولة عربية وبضع وأربعين دولة إسلامية ، فإن القرن الحادي والعشرين هو قرن الإسلام .

ومما يؤيد أن الإسلام قادم الآيات القرآنية مثل قوله تعالى :" وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد٠ خوفهم أمناً يعبدونني ولا يشركون بي شيئاً ، ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون". ومن الأحاديث النبوية ما روى تميم الداري قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "ليبلغن هذا الأمر –يعني الإسلام– ما بلغ الليل والنهار ، ولا يترك الله بيت مدر (حجر) ولا وبر إلا أدخله الله هذا الدين بعز عزيز أو بذل ذليل عزاً يعز الله به الإسلام وذلاً يذل به الكفر " . مسند أحمد(١٠٣/٤) وقال الهيثمي : رجال أحمد رجال الصحيح .

هذا بالإضافة إلى قوة منهج الإسلام ، والرصيد الضخم الذي يمتلكه الإسلام من الجماهير، والثروات المذخورة في العالم الإسلامي من نفط ومياه ومعادن طبيعية ، والموقع الاستراتيجي الذي يتمتع به العالم الإسلامي ، فهو ملتقى القارات ، ومنبع الحضارات ومهبط الرسالات السماوية ، ووصول بعض الحركات الإسلامية إلى الحكم مثل إيران والباكستان والسودان وأفغانستان ، وامتلاك بعض هذه الدول للقنبلة الذرية. كل هذا يزيد من احتمال انتصار الإسلام في القرن الحادي والعشرين وظهوره على الدين كله بإذن الله تعالى .

وإذا نظرنا إلى الغرب وجدنا أن نظامه متزلزل الأركان بدأ انهياره بانهيار الاتحاد السوفيتي برغم ما يملك من ترسانة نووية ضخمة ، وأسلحة استراتيجية ، وقوة عسكرية واقتصادية وما ذلك إلا لأن الخراب كان في الباطن لا في الظاهر .

والغرب المتفرد الآن بالقوة والجبروت ليس بأحسن حالاً من نظيره الاتحاد السوفيتي، فهو يعيش أزمات خانقة تنخر في جسمه من الداخل . ومن ذلك: قضايا الحياة الجنسية والجريمة والإرهاب المحلي والمخدرات ، والبطالة ، والهوة الواسعة بني الغالبية

الساحقة من الفقراء والأقلية الضئيلة من فاحشي الثراء وغير ذلك مما يترتب عليه هجرة المال إلى الخارج ومن ثم ضعف الاقتصاد .

فإذا كان الغرب عاجزاً عن معالجة تلك الأزمات ويقف حائراً أمامها فلا بد من محاورة الإسلام للتباحث في أمر العلاج ، لأن الإسلام بما فيه من مبادئ وقوانين قادر على علاج الأزمات التي يتعرض لها الإنسان في كل مجتمع من المجتمعات .

وينبغي على المسلمين أن لا يضنوا على الغرب بما في جعبتهم من علاج ، بل ينبغي عليهم أن يبادروا الغرب بفتح باب الحوار لتحقيق أمانة التبليغ المطلوبة منهم .

ومما يجدر التنبيه عليه في هذا السياق أن لا ينظر إلى الغرب على أنه مؤسسة واحدة تسيطر على جميع القطاعات في المجتمع الغربي ، وإنما ينبغي أن ينظر إلى الغرب على أنه مؤسسات متعددة وقطاعات مختلفة يسهل على الآخرين التفاعل معها والاتصال بها من خلال المؤسسات العلمية الأكاديمية ، والاجتماعية ، والاقتصادية ، ومراكز البحث ، وغير ذلك . فنستطيع اليوم بفضل وسائل الإعلام أن نصل إلى عقل الإنسان الغربي الذي وقع ضحية التاريخ والإعلام فنغيره ونصحح صورة الإسلام لديه . كما نستطيع أن نصل إلى المؤسسات العلمية الأكاديمية التي تبحث عن الحقيقة ونقدم لها الحقائق العلمية . ويستطيع رجال الأعمال المسلمون أن يقدموا الإسلام إلى التجار الغربيين ويصححوا صورة الإسلام لديهم .

كما ينبغي أن أنبه إلى أن الحوار مع الغرب لا بد أن يكون شاملاً شمول الإسلام ومتنوعاً تنوع الغرب وتعدده يأخذ كل نواحي الحياة الثقافية والدينية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والإعلامية والفنية والرياضية وغير ذلك.

وفي نهاية هذا المحور وضعت إطاراً عاماً للحوار وآلياته .

ففي مجال إطار الحوار ذُكرت عدة أطر وهي بمثابة ضوابط للحوار وهي :

١. الحوار جزء من خطة عامة شاملة للإسلام وليس هو كل عمل الإسلام .
٢. أن يكون الطرف الإسلامي قوياً فلا يتنازل عن مصادر قوته .
٣. أن يكون الهدف من الحوار الوصول إلى الحق .

أن لا يترتب على الحوار التنازل عن المبادئ الأساسية في الإسلام .

٤. أن نراعي في الحوار واقع المدعو ونبتعد عن الإثارة والعنف .

٥. أن يكون الطرف الإسلامي هو المبادر للحوار مع الغرب لأنه صاحب دعوة .

٦. أن يتم التعاون بين المتحاورين في المساحات المشتركة التي تشكل أصولاً فطرية وفكرية، بينما يتم التحاور في المساحات المختلفة .

وفي مجال آليات الحوار ذكرت عدة آليات منها :

١. إعداد كوادر علمية وعملية لإدارة الحوار مع الغرب بحيث تقوم بهذا الدور بطريقة علمية وواقعية وتعطى القدوة الحسنة للآخر .

٢. إعداد منابر للحوار كالمؤتمرات والندوات وتبادل الزيارات .

٣. الاهتمام بالمسلمين الغربيين الذين دخلوا في الإسلام للقيام بالحوار .

٤. إنشاء مراكز بحث متخصصة لدراسة الغرب من جميع جوانبه .

٥. توجيه طلبة الدراسات العليا في الجامعات الإسلامية والعربية إلى دراسة قضايا الحوار مع الغرب .

٦. الاهتمام بالجاليات الإسلامية في الغرب لتعطى القدوة الحسنة للآخر .

٧. الاهتمام برجال الأعمال المسلمين لإعطاء القدوة الحسنة للآخر .

المراجع والمصادر

١. استئصال الإرهاب لنتنياهو .
٢. استراتيجية الولايات المتحدة الأمنية .
٣. الاستشراق لإدوارد سعيد .
٤. الأسس الشرعية للعلاقات لفيصل مولوي .
٥. الإسلام الأصولي لإدوارد سعيد .
٦. الإسلام كبديل لهوفمان .
٧. الإسلام على مفترق الطرق لمحمد أسد .
٨. الإسلام والاستعمار لرودلف بيترز .
٩. الإسلام والنصرانية لمحمد عبده .
١٠. أضواء على السياسة الأمريكية لأحمد منصور .
١١. أطروحات الحركة الإسلامية في مجال الحوار مع الغرب لحسن الترابي .
١٢. الأموال لأبي عبد القاسم بن سلام .
١٣. انهيار الحلم الأمريكي لإدوارد سعيد .
١٤. تجربة الإسلام السياسي لأوليفيه روا .
١٥. التسامح في الإسلام لشوقي أبو خليل .
١٦. حركة الفتح الإسلامي لشكري فيصل .
١٧. الدعوة للإسلام لتوماس أرنولد .
١٨. رؤية إسلامية لأحوال العالم الإسلامي لمحمد قطب .
١٩. السيرة النبوية لابن هشام .
٢٠. الغرب والشرق الأوسط لبرنارد لويصس .
٢١. مائة مشروع لتقسيم تركيا لدجوفارا .
٢٢. المبشرات بانتصار الإسلام للقرضاوي .
٢٣. المستشرقون والمبشرون في العالم الإسلامي لإبراهيم خليل أحمد .

دور الأكاديميين في السياسة الخارجية الأمريكية تجاه الإسلام السياسي

د. فتحي ملكاوي*

تمهيد : خطورة سوء استعمال المصطلحات :

لن تتعرض هذه الورقة لمفهوم الإسلامي السياسي، باعتبار أن هذا الموضوع ربما تغطيه أوراق أخرى في هذه الندوة . ويكفي في هذا المجال التأكيد على أن للمصطلح هوية شخصية وسيرة ذاتية، لكنه مع ذلك يمثل طوراً في نمو الأفكار . وبقدر ما يلزم أن يفيد المصطلح في توضيح الرؤية وفهم دلالات الألفاظ المستعملة في الخطاب، فإن سوء استخدام المصطلح يولد نتائج خطيرة.

لقد قدم بعض المتخصصين في الغرب مصطلح الإسلام السياسي ، باعتباره بديلاً أصلح من مصطلح الأصولية الإسلامية ، بسبب الاعتراضات العديدة التي واجهته ، ولكنه مثل غيره من المصطلحات ، ولَّد نتيجة استخدامه في سياقات عدائية ، كثيراً من مشاعر التحسب والقلق والخوف تجاه الإسلام والمسلمين ، وأدخل في القواميس اللغوية الحديثة مصطلح الخوف من الإسلام Islamophopia.

وتمتلئ أجهزة الإعلام بالمصطلحات والأسماء الاختزالية التي تطور مشاعر الخوف والاختلاف والتجزئة، أكثر مما تحقق فهماً مناسباً لحقائق الأمور.

ويفسر الفيلسوف الأمريكي المعاصر وليام كونولّي هذه الظاهرة بملاحظة أن إعطاء اسم معين لشيء ما أو مفهوم ما يجعل فهمنا لذلك الشيء محصوراً في خصائص الفئة التي ينتمي لها ذلك الشيء ؛ وليس الحقيقة التي هي دوماً أكثر تعقيداً مما يتضمنه الاسم، وهو يرى أن وصفنا الموجز للناس باستعمال مثل هذه الفئات يرافقه في كثير من

* المدير التنفيذي للمعهد العالمي للفكر الإسلامي ـ الولايات المتحدة الأمريكية

الأحيان امتهان لكرامتهم الإنسانية، فالعرب والمسلمون والنصارى واليهود والغرب والشرق هي مجرد أسماء ربما تطمس الحقائق المعقدة المتعلقة بأي فئة ، وتخفي كثيراً من الفوارق ضمن كل فئة، وتتجاوز العناصر المشتركة بين الفئات ، في الوقت الذي يلزم فيه ملاحظة الارتباط بين المجموعات وليس فقط كيف تختلف عن بعضها بعضاً . فثمة "آخر" مع كل ذات ، ولكل ذات هويات متعددة ، واختزال الذات الإنسانية في فئة محددة دون ملاحظة الآخر والمشترك مع الفئات الأخرى أمر يحط من إنسانية الذات.

وثمة مصدر آخر لسوء الفهم يتعلق بالصورة النمطية التي يكوّنها الفرد عن الآخر أو الآخرين، وأحياناً تهيمن هذه الصورة النمطية على مفاهيم شعب بأكمله أو شعوب متعددة، هذا المصدر يتمثل في الجهل بالحقائق والقصور عن امتلاك الرؤية الشاملة لها، وقد يعود ذلك إلى الكسل العقلي والرفض النفسي . ويعبر جاري جوربان مستشار التحرير في مركز أدبيات وفهارس الدراسات الدينية عن أثر الجهل بالحقائق في تكوين الصورة النمطية الخطأ بالقول : إن هؤلاء الذين يدينون منا بأديان أخرى (غير الإسلام) يميلون إلى عدم رؤية الخصائص الدقيقة والإيجابية في الإسلام ، لأننا مأخوذون كثيراً بالتطرف الذي يمثله آيات الله والجنرال ضياء الحق ، وصدام حسين ، والعقيد القذافي ، وغيرهم من حكام المسلمين ، الذين يؤكدون المبادئ "البغيضة" من الدين، رغم أن الإسلام قد أنجب كثيراً من المصلحين العمليين من أمثال ابن خلدون الذين يقدمون تفسيراً معتدلاً للإسلام يتناغم مع حقائق الزمن.

ويحتل موضوع تعامل الولايات المتحدة الأمريكية مع الإسلام السياسي موقعاً رئيسياً في قائمة اهتمامات الجماعة العلمية (الأكاديمية) المتخصصة بصنع السياسة في الولايات المتحدة . ويتم الجدل حول هذا الموضوع على مستويات مختلفة : معيارية وفلسفية وحضارية وسياسية واقتصادية، وجغرافية سياسية، وفي دوائر اهتمام متعددة: الصحافة ومراكز البحث وقاعات التدريس الجامعي والسياسة . ومع ذلك فليس ثمة إجماع حول الموضوع، رغم أن مثل هذا الإجماع يعد ضرورياً لصياغة سياسة ثابتة ومتماسكة، تتجنب الغموض الذي يؤدي إلى سوء الفهم، وأحياناً إلى أزمات غير ضرورية. ويبدو أن

السياسة الأمريكية الخارجية وبخاصة تجاه هذا الموضوع تتميز بالأهمية العملية من حيث أثرها، وبالتعقيد من حيث طبيعتها والعناصر التي تدخل في صياغتها، ووجهات النظر التي تلزم لفهمها.

مثلث السياسة الخارجية الأمريكية

ولا شك أن القوى التي تعمل على تشكيل السياسة الأمريكية متعددة . ويميز أحد الباحثين من بينها ثلاث قوى ذات أهمية كبيرة ، يسميها مثلث السياسة الخارجية هي: المصالح والأفكار والتوجهات الإيديولوجية ، وتقف وراء كل قوة منها جماعة متميزة، فالسياسيون الممارسون يحاولون تشكيل السياسة الخارجية على أساس المصالح، والأكاديميون في الجامعات ومراكز البحث العلمي وإصداراته يحاولون تمثل الأفكار التي تتضمنها المبادئ والقيم الأمريكية ويطالبون بأن تكون السياسة الخارجية استجابة لها ، وأخيراً مقاولو السياسات Policy Entrepreneurs الذين يحاولون تشكيل السياسة الخارجية على أساس التزاماتهم المذهبية والإيديولوجية ، التي قد لا تنسجم بالضرورة مع أي من المصالح الأمريكية أو المبادئ الأمريكية.

ومع أن توافقاً مناسباً بين القوى الثلاثة المؤثرة في السياسة الأمريكية تجاه الإسلام السياسي المذكورة سابقاً يبدو مرغوباً فيه على المستوى المفاهيمي ، من أجل تطوير سياسة خارجية ثابتة ، فإن مثل هذا التوافق يبدو صعب المنال . وفي غيابه يمكن أن يميل ميزان القوى المتعلق بمحتوى تلك السياسة أو عملياتها باتجاه الجماعة الأكاديمية حيناً وباتجاه مقاولي السياسة حيناً آخر . وهناك مؤشرات على أن صانعي السياسة المتعلقة بالإسلام السياسي أخذوا مؤخراً يستأنسون بعمليات التحليل والتوصيات التي يقدمها الأكاديميون لصياغة السياسة اللازمة على المدى البعيد . وبعبارة أخرى فإن الأفكار في هذه الحالة هي التي تصوغ المصالح ، ومع ذلك ففي لحظات الأزمات كما حصل مؤخراً عندما فُجرت سفارتا الولايات المتحدة في كينيا وتنزانيا ، فإن عملية التداول حول الموضوع تحولت لصالح التوجهات الإيديولوجية وهُمّشت آراء الأكاديميين.

وفي دراسة حديثة نشرها معهد الولايات المتحدة للسلام بعنوان : "الحركة الإسلامية والسياسة الخارجية للولايات المتحدة" أشير إلى وجود رأيين مختلفين حول الكيفية التي على الولايات المتحدة أن تتعامل بها مع الإسلام السياسي ، وهما رأي الاستبعاد والكبت كما يقول به مقاولو السياسة ، أو الاستيعاب والاحتواء كما يقول به الأكاديميون . وتستخلص الدراسة أن سياسة الاستبعاد والكبت تقود إلى نتائج عكسية على المدى البعيد ، وأن سياسة الاستيعاب والاحتواء لم تقنع الإسلاميين بجدوى المشاركة. ولم توص الدراسة باعتماد أي من السياستين ، وفضلت البحث عن خيار ثالث ، واقترحت فيه تشجيع أفكار المجتمع المدني ، على الطريقة الغربية ، وإلى أن تكون مجتمعات الشرق الأوسط مستعدة لهذا المجتمع فإن على الولايات المتحدة كما توصي الدراسة ، تصميم أهداف قصيرة المدى لا مانع فيه من التخلي عن قيم الديموقراطية وحقوق الإنسان (!) وذلك لأن الإسلاميين في نظر الدراسة عندما يسمح لهم بالمشاركة سيتحولون إلى معارضة خطيرة تهدد الحزب الحاكم.

ويقتصر مجال هذه الورقة على ركن واحد من أركان هذا المثلث ، وهو الركن الذي يمثل الأكاديميين، وستحاول الورقة تحديد مفهوم الأكاديميين الأمريكيون ذوي العلاقة بالإسلام السياسي ، وتصنيفهم تبعاً لمواقعهم وخبراتهم ومواقفهم.

من هم الأكاديميون؟ وما فئاتهم وتوجهاتهم ؟

يقصد بالأكاديميين في حدود هذه الورقة أساتذة الجامعات والباحثين والمتخصصين والمهتمين منهم بقضايا الإسلام السياسي والإسلام بوجه عام. وتشمل قائمة هؤلاء الأكاديميين أساتذة الجامعات الذين بنوا سيرتهم العلمية (الأكاديمية) من خلال البحث والتدريس الجامعي وما تتطلبه مهنتهم في العادة من تأليف للكتب ونشر للمقالات والأبحاث في الدوريات العلمية المتخصصة. لكننا سنجد عدداً ليس قليلاً من أفراد هذه الفئة دخلوا الميدان الأكاديمي بعد أن مارسوا العمل في مواقع سياسية وإدارية ودبلوماسية، سواء في إدارات الحكومة الأمريكية وأجهزتها في داخل أمريكا أو في أقطار العالم الإسلامي، واكتسبوا في أثناء ذلك من الخبرات والتجارب والمعلومات، ثم عرفوا

بقدر من المرجعية في الحديث والكتابة، الأمر الذي أدّى إلى استقطابهم في البحث والتدريس الجامعي الأكاديمي. ولتوضيح ذلك نضرب مثالاً على هذه الفئة ديفيد نيوصم David Newsom الذي عمل سفيراً للولايات المتحدة ونائباً لوزير الخارجية، ثم أصبح الآن أستاذاً جامعياً متميزاً في العلاقات الدولية بما يتمتع به من خبرة مباشرة في الثقافتين الأكاديمية والعملية.

ويمكن أن نصّنف الأكاديميين المهتمين بدراسة الإسلام والمسلمين في الولايات المتحدة الأمريكية على أساس التخصص الأكاديمي إلى أربع فئات :

١. المتخصصون بدراسة الأديان أو تاريخ الأديان أو الأديان المقارنة . وكان من دوافع التطور والنمو في هذا الدراسات فهم الصورة التي شكل فيها الإسلام تحدياً للمسيحية وعائقاً دون انتشارها . ويلاحظ في هذا المجال أن مجلة العالم الإسلامي التي تصدرها جامعة هارتفورد التبشيرية ، قد بدأت بالصدور قبل وقت طويل من اكتشاف البترول في الشرق الأوسط .
٢. المتخصصون في دراسة المناطق والأقاليم في العالم المهتمين بمناطق مثل آسيا الوسطى والشرق الأوسط وإيران وتركيا وجنوب شرق آسيا و شمال إفريقيا..الخ. حيث يكون الإسلام أحد المكونات التاريخية أو الاجتماعية أو الثقافية . ورغم العمق التاريخي لهذه الدراسات في الدوائر الجامعية الأمريكية ، إلا أن تزايد حاجة أمريكا فيما بعد الحرب العالمية الثانية ، ودخولها في مرحلة الحرب الباردة إلى تعميق فهمها بالمواقع الاستراتيجية في العالم ، وارتباط مصالحها ونفوذها بهذا الفهم كان حافزاً على تحصيل المعرفة الكافية باعتبار أن المعرفة قوة . (Knowledge is power) .
٣. المتخصصون بالدراسات السياسية والاقتصاد السياسي والعلاقات المعاصرة . وتتداخل حوافز الاهتمام في الفئة لتشتمل على قضايا البترول وفلسطين ، وتتضمن هذه الفئة كثيراً من اليهود الأمريكيين المهتمين بدراسة الإسلام من موقع المصالح الإسرائيلية ، ويرى معظمهم الإسلام وإسرائيل من خلال لعبة

الجمع الصفري Zero-Sum Game فأي كسب للإسلام يعني خسارة لإسرائيل . وحتى تكسب إسرائيل يجب أن يخسر الإسلام .

٤. الأكاديميون المسلمون في الجامعات الأمريكية الذين تزايد عددهم من خلال موجات الهجرات السابقة ، وتعزز حضورهم نتيجة استقطاب الجامعات الأمريكية لبعض الطلبة المسلمين الذين جاءوا للدراسة ثم استقروا في الولايات المتحدة ، ونتيجة لاستقطاب هذه الجامعات لعدد من الأساتذة المتخصصين بالإسلاميات من الأقطار الإسلامية لتلبية الحاجات المتزايدة للجامعات في هذا المجال. ولعل من المفيد أن تضاف إلى هذه الفئة مجموعة الأكاديميين الأمريكيين الذين أسلموا. ويلاحظ أن هؤلاء يشاركون في العمل الأكاديمي المتعلق بموضوع السياسة الخارجية الأمريكية تجاه الإسلام من موقع الاهتمام وليس التخصص ، إذ تتوزع تخصصاتهم الأكاديمية على مجالات واسعة .

وتتوزع اهتمامات الأكاديميين وتوجهاتهم حول موضوعات الإسلام وشعوبه وقضايا المجتمعات والمنظمات والحركات الإسلامية ، ما بين تقديم المعلومات التي يعتبرونها صحيحة عن هذه القضايا للراغبين في الحصول عليها سواء من طلبة العلم في الجامعات أو صانعي القرار في الإدارة السياسية، وتحديد المبادئ التي تصلح أن تعتمد في السياسة الأمريكية الخارجية تجاه الإسلام السياسي ، وتحليل المواقف التي تتخذها الإدارة من قضايا الإسلام وبيان مدى انسجامها وتلك المبادئ .

ويمكن النظر إلى فئات الأكاديميين من خلال عدد من المعايير ، يمثل كل معيار منها أساساً للتصنيف في عدد من الفئات ، فإذا اعتبرنا معيار الانتماء الديني يمكن تصنيف الأكاديميين الأمريكيين المهتمين بالإسلام السياسي إلى مسلمين وغير مسلمين .

I) أكاديميون مسلمون :

ورغم الانتماء الديني المشترك للإسلام ، فإن هؤلاء المسلمين يتفاوتون إلى حد كبير فيما بينهم من حيث توجهاتهم ومواقفهم من الإسلام السياسي . فمنهم :

١. العلمانيون ، الذين هاجروا إلى الغرب هجرة ليست مادية فقط وإنما ثقافية وفكرية أيضاً. وقد صنف هؤلاء ضمن المسلمين لأنهم ينحدرون من عائلات إسلامية مهاجرة معظمها من العالم العربي وإيران وتركيا ، لكنهم لا يمارسون الإسلام ويحملون عادة مشاعر معادية للتوجهات الإسلامية ، ويدافعون بقوة عن التوجه القومي العلماني ، ولبعضهم خلفيات يسارية .

٢. المنهجيون ، وهؤلاء مثل سابقيهم ينحدرون من عائلات مسلمة أو عربية أو من جنوب شرق آسيا ؛ تشربوا الفلسفة والمنهجية الغربية للعلوم الاجتماعية ، وربما يتصف بعضهم بالتدين في السلوك الفردي أو يجمعون بين المشاعر الدينية القومية. لكنهم لا يعادون التوجه الإسلامي بل ينظرون إليه في ضوء النتائج التي تقودهم إليها بحوثهم ودراساتهم. ويظهر أن هؤلاء قد حسموا في نفوسهم الجدل بين الدين والمعرفة العلمية لصالح المعرفة المتخصصة في العلوم الاجتماعية . ويقع ضمن هذه الفئة عدد من النساء ذوات التوجه الأنثوي .

٣. الإسلاميون ، وينتمي هؤلاء الأكاديميون إلى مؤسسات إسلامية مثل المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، وجمعية العلماء الاجتماعيين المسلمين ، والاتحاد الإسلامي لأمريكا الشمالية ، ويرون أن مهمتهم تتمثل في عرض الصورة الصحيحة عن الإسلام أمام الغرب، ويحاول بعض هؤلاء الجمع بين العمل الأكاديمي المتخصص والعمل التبشيري الإسلامي وخدمة الجاليات الإسلامية . وينتمي معظم هؤلاء في أصولهم إلى العالم العربي والهند وباكستان وبنغلادش وإيران وبعض البلدان الأفريقية. وهناك عدد قليل من الأكاديميين الأمريكيين الذين أسلموا وبدءوا يأخذون مواقف متميزة في فهمهم لظواهر الصحوة الإسلامية، والتأكيد على أهمية الأبعاد التاريخية والثقافية ، وعلى الدور الحضاري للإسلام ليس في مستقبل المسلمين فحسب بل في مستقبل الغرب والعالم .

II) **أكاديميون غير مسلمين :**

ويمكن جمع اليهود والنصارى في فئة واحدة فبعض هؤلاء الأكاديميين الأمريكيين في هذه الفئة لا يبدو للدين أثر ملموس في توجهاتهم نحو الإسلام السياسي . ولكن هذا الأثر يبدو واضحاً في حالات عديدة أخرى .

١. **اليهود :** معظم الأكاديميين اليهود لا يحملون مشاعر إيجابية نحو الإسلام ، ويرون الإسلام من منظور إسرائيلي معاد له . ويحمل الكثير منهم الجنسية الأمريكية والإسرائيلية في آن واحد. ويلاحظ أن الخبراء الأكثر شهرة في دراسات الإسلام السياسي هم من اليهود المعادين للإسلام. وتتعزز الهوية الأكاديمية لهؤلاء بالاحتراف الصحفي والإعلامي وبمواقع النفوذ السياسي لآخرين ليشكل الجميع حلقة فكر ومجموعة ضغط هي الأشد عداوة للإسلام السياسي في الولايات المتحدة .

ورغم الموقع المحترم الذي تعطيه الدوائر الأمريكية لبعض هذه الشخصيات مثل برنارد لويس ومارتين كريمر والتي تؤصل للموقف المعادي تأصيلاً فكرياً نظرياً وبشيء من الذوق الأكاديمي، فإن الدوائر الأكاديمية تغلق أبوابها أحياناً أمام شخصيات أخرى يتجاوز خطابها المحرض والمعادي كل مستويات الأدب والذوق بالشكل الذي يمثله دانيال بابيس وجودي ميلر.

ويشارك هذه الفئة من اليهود الأمريكيين من أصل أوروبي يهود من أصول أخرى ينافسون غيرهم في العداء للإسلام ، على أساس من موثوقية خبرتهم بالمجتمعات الإسلامية التي عاشوا فيها أو عاش فيها آباؤهم .

ومن هؤلاء شاول بخاش اليهودي الأمريكي من أصل إيراني ، وإيلي خضوري اليهودي الأمريكي من أصل عراقي . ويتضمن خطاب هؤلاء الإشارة إلى أولوية الحقوق السياسية للأقليات غير المسلمة في العالم الإسلامي .

وللتمثيل على الصورة التي يرسمها الأكاديميون اليهود عن الإسلاميين ، نعرض فيما يلي معالم الصورة التي يعرضها مارتين كريمر مدير مركز موشى دايان لدراسات

الشرق الأوسط وأفريقيا في جامعة تل أبيب وأحد الأكاديميين الذين لهم حضور ملموس في دوائر الأكاديميين الأمريكيين وفي المؤتمرات والدوريات ، حتى لكأنه لا يغيب عن أي منها .

يحذر كريمر من القناعة السائدة لدى قطاع من الأكاديميين الأمريكيين بأن الإسلاميين فئات متعددة ، يمكن ملاحظة المعتدلين والمتطرفين بينها ، ويسخر من مجرد قيام صانعي السياسة الأمريكية باختبار محاولة تصنيف الإسلاميين إلى معتدلين ومتطرفين. ويرى كريمر أن الإسلاميين رغم أنهم يتفاوتون في تشكيلهم للأحزاب السياسية أو الأجنحة العسكرية ، ويستعملون في الوقت نفسه الرصاص وصناديق الاقتراع (Bullets and Ballots)، إلا أنهم يحملون نفس التوجهات في كل مكان ، لكنهم يلجئون إلى أساليب مختلفة حسب الظروف والموقف ، والذي يحركهم هو فطرة أساسية مشتركة تتمثل في السعي نحو السلطة بأقصر طريق متاح .

كما يرى أن جهود علماء الاجتماع الغربيين والحكومات الغربية في تصنيف الإسلاميين إلى معتدلين ومتطرفين خلقت نقطاً عمياء عديدة ، وأخفت خيارات الإسلاميين، وأن الخط الفاصل بين المعتدلين والمتطرفين إذا طبق على المبادئ وليس على الأساليب فقط ، فإن الإسلاميين لا يمكن أن يقعوا في أي من الفئتين ؛ فإذا نظرت إلى السياسات الاقتصادية لدى إحدى فئات الإسلاميين فإن هذه الفئة يعدها الغرب ضمن المعتدلين ، وعند النظر إلى السياسة الاجتماعية لدى الفئة نفسها فإن الغرب سيعدها من المتطرفين .

ويرى كريمر أن أحد الأبعاد الواضحة في فكر الإسلاميين موقفهم الرافض لهيمنة الغرب في العالم ، وأن الإسلاميين لا يمكنهم التمتع بهذه الهيمنة إلا بتدمير قوة الغرب، وأن هذه الظاهرة تمثل بحق " صدام الحضارات " التي يسخر كريمر من محاولة بعض الغربيين تجنبها. ويعترف كريمر بأن الغرب لن يسمح لأي دولة إسلامية أن تحصل على موقع القوة العظمى ، لكنه يحذر من أن التعاون الاقتصادي والعسكري المتزايد مع بعض هذه الدول ربما يتضخم وينتهي إلى تلك القوة العظمى .

ويحرض كريمر الغرب والحكومات الموالية له على مواجهة الإسلاميين بالقهر والاضطهاد ، مشيرا إلى النتائج الإيجابية التي تحققت حيثما اعتمدت هذه السياسة في الحد من نجاحاتهم وتفريق الجماهير عنهم ، ويؤكد أن هذه الأساليب رغم أنها ليست محط إعجاب وتتطلب الإدانة أحياناً ، إلا أنها الطريقة التي نجحت ، ويمكن أن ينجح في الحد من فرصة ظهور الإسلاميين . ويستخلص كريمر في النهاية أن على الغرب أن لا يخلط بين أمرين : أن ثمة خطرا إسلاميا يهدد الغرب بالفعل وأن ثمة أملا أن معظم المسلمين يمكن أن يتوصلوا إلى قناعة بأن الإسلام الذي يفهمه الإسلاميون هو مجرد مشكلة أخرى تضاف إلى مشكلاتهم ، وأن على ملايين المسلمين أن يقتنعوا بأن حاجاتهم إلى القوة التي تزودهم بالمطعم والملبس والسكن والتعليم هي أمر ممكن ، لكنه غير متوقف على الإسلاميين .

٢. **النصارى** : ويمكن أن نميز بينهم فئة من الأكاديميين المهتمين بدراسات الإسلام على المنهج الاستشراقي . ويتمتع هؤلاء عادة بخلفية قوية في الشعوب الإسلامية وتاريخها. وكثير منهم يؤثر بطريقة غير مباشرة في تشكيل فهم المسلمين لتاريخهم . وقد أنجز هؤلاء أعمالا مهمة تعد مراجع أساسية عن الفكر الإسلامي في عالم الغرب وبخاصة ما يتعلق بابن خلدون وابن رشد وتاريخ التعلم الإسلامي . ورغم أن اهتمام هؤلاء بالإسلام السياسي المعاصر أقل من اهتمامهم بتاريخ الإسلام وعناصر حضارته، إلا أن هذا الاهتمام القليل لا يخلو من التحيزات التقليدية في الخطاب الاستشراقي .

ولكن هناك فئة يتزايد عددها من المفكرين الأمريكيين المهتمين بالدراسات الإسلامية المعاصرة ، الذين يحملون مشاعر إيجابية نحو الإسلام دينا وحضارة ، ويترددون على أقطار العالم الإسلامي ، ويتقنون العربية وقد اكتسب بعضهم ثقة شخصيات مرجعية في الحركات الإسلامية ، وحصل بعضهم على جوائز مهمة من أقطار إسلامية لقاء مواقفهم المتفهمة لوجهة النظر الإسلامية أو المتعاطفة معها . وقد أسهم

هؤلاء في إنتاج تراكمات ملموسة في الأدبيات الغربية المتعلقة بالإسلام لها أثرها الإيجابي المتزايد في تحسين صورة الإسلام في الغرب .

ومن هؤلاء فريق من الأساتذة والباحثين يعمل في مركز التفاهم الإسلامي المسيحي في جامعة جورج تاون برئاسة جون إسبوزيتو وجون فول ، ويلحق بهذه الفئة في توجهاتها الإيجابية نحو قضايا الإسلام مجموعة من الأكاديميين الأمريكيين النصارى من أصل عربي ، مثل إدوارد سعيد (من أصل فلسطيني) وإيفون حداد (من أصل سوري)، ولعل دوافع هؤلاء تجمع بين الإنصاف للحقيقة العلمية والموضوعية من جهة، والمشاعر القومية العربية والوطنية من جهة أخرى ، ويعمل هؤلاء أحيانا بتوافق مع عدد من النشطاء السياسيين من المسيحيين العرب الأمريكيين الذين يرون أن العروبة هي قلب الإسلام ، مثل كلوفيس مقصود .

ويبدو أن شخصية أكاديمية مهمة مثل جون إسبوزيتو وأمثاله تمثل ظاهرة فريدة في حضورها الأكاديمي في الدوائر الأمريكية ، والغربية عموما ، وتفاعلها الفكري الإيجابي مع نشاطات التيارات الإسلامية في الغرب وفي العالم الإسلامي ، وتفتح آفاقا واعدة في التخفيف من حدة الخصومة التي تمارسها مجموعات الضغط الأكاديمي المعادية للإسلام والقضايا المرتبطة به .

مواقف منصفة وتحول إيجابي

ويهتم الأكاديميون عادة بالطريقة التي تحاول بها أجهزة الإعلام والحكومات في الغرب تصوير الإسلام على أنه خطر كوني جديد بعد انهيار جدار برلين وتفكك الاتحاد السوفيتي ، وتنتقد سياسات الإدارة الأمريكية وتقوم بدور بناء في تحديد المبادئ ، والتوجهات الخاصة بتلك السياسات .

وفي الوقت الذي انشغل فيه مقاولو السياسة والإعلاميون في السنوات الأخيرة في جهود حثيثة لتصوير الإسلام على أنه الخطر الجديد الذي يواجه العالم الحر ، استطاع هؤلاء الأكاديميون بناء مدرسة فكرية بديلة تتحدى تلك الصياغة السطحية ، التي ولدت صورة نمطية خاطئة ، ومارست سياسات غير حكيمة نتيجة لاستعمال تلك الصياغة خبط

عشواء ويعطي أسبوزيتو مثالا على هذا الخلط بالإشارة إلى تسمية دول مثل إيران والسعودية وليبيا بالأصولية ، مع الفارق بين إيران الإسلامية المعادية للولايات المتحدة، والملكية المحافظة في السعودية التي تعد أفضل حليف للولايات المتحدة في المنطقة، وليبيا الاشتراكية التي تواجه احتمالات الصحوة الإسلامية بالقدر نفسه الذي يواجه دولا أخرى مثل تونس والمغرب . إن استعمال مصطلح الأصولية الإسلامية في رأي أسبوزيتو أمر عدائي يستهدف المبالغة في خطر الصحوة الإسلامية .

وينتقد الأكاديميون العاملين في أجهزة الإعلام والحكومة لنظرتهم للصحوة الإسلامية من منظار المواجهة مع إيران الخميني ، ولتجاهلهم التفرع والتعدد في الحركات الإسلامية المعاصرة ، ويرون أن هذه الحركات التي تمارس عملها في المجتمعات الإسلامية باعتبارها قوى سياسية واجتماعية تقدم خدمات اجتماعية وتوعية سياسية تحتاجها هذه المجتمعات ، وإطلاق لفظ التطرف عليها هو محاولة لتبرير استعمال العنف القمع للعديد من الحركات الإسلامية المعتدلة . ويرى الأكاديميون أن الإسلاميين المعتدلين مثل حركة الإخوان في مصر والأردن ، والجماعة الإسلامية في باكستان وحزب الرفاه في تركيا ، وحتى جبهة الإنقاذ في الجزائر ، قدموا إسهامات حقيقية لتطوير المؤسسات المدنية في مجتمعاتهم ، وأثاروا النبض الديمقراطي في المجتمعات الإسلامية المعاصرة. أما العنف والإرهاب الذي ينسب إلى الأصولية الإسلامية في المنطقة فهو يقتصر على فعل أقلية محدودة للغاية ، وغالبا ما يأتي بمثابة رد فعل للقمع الحكومي ، أو للممارسات الإسرائيلية القمعية ضد الفلسطينيين أو ضد الشعب اللبناني ، وبذلك يكون لوم الإسلام إزاء هذه الأفعال أمراً مضللا . ويرى الأكاديميون كذلك أن على الولايات المتحدة أن تأخذ بالاعتبار المناخ السياسي ، والظروف الاقتصادية ، ووتيرة التنمية ، والبطالة، وسوء توزيع الثروة والسلطة ، في تقييمها للظروف التي تعاني منها المجتمعات الإسلامية .

ويشير الأكاديميون إلى مواقف الإسلاميين في الأردن وباكستان وتركيا وماليزيا حيث سمح للإسلاميين أن يشاركوا في العملية السياسية ، كوسيلة لاستيعابهم في النظام، وأن هذه الظاهرة يجب أن تشجع الغرب على الدخول في حوار مع المعتدلين الإسلاميين

والسماح لهم بدخول العمل السياسي في مناطق أخرى ، ويرون أن الإسلام والديمقراطية ليسا على طرفي نقيض . وأن البلدان الغربية يجب أن لا تتخلى عن قيمها الديمقراطية إذا وصل الإسلاميون إلى الحكم بالطريقة الديمقراطية.

ويستنكر الأكاديميون ما يسمونه بالأصولية العلمانية ، فالافتراض بأن العلمانية قيمة كونية على الجميع الإيمان بها بقطع النظر عن المعتقدات والقيم الأخرى ، أمر يقود إلى مشكلات معقدة . فالأصولية العلمانية تقود إلى سياسات تفضل الأنظمة العلمانية حتى لو كانت قمعية وتسلطية على الأنظمة غير العلمانية حتى لو كانت شعبية تمثيلية ، كما يرى الأكاديميون في هذا السياق أن على الولايات المتحدة من حيث المبدأ أن لا تعترض على تطبيق الشريعة أو مشاركة النشطاء الإسلاميين في الحكم في بلادهم .

إن هذه النصائح التي يقدمها الأكاديميون للحكومة الأمريكية تبدو نصائح إيجابية ومعقولة ومبنية على فهم عميق للتوجهات المعاصرة في العالم الإسلامي . وهم حيث يوجهون هذه النصائح يلاحظون أيضاً المصالح الأمريكية على المدى البعيد ، لكن هذه النصائح قد لا تنسجم دائما مع حاجات الساعين للانتخاب للمواقع الرسمية في الإدارة ، حيث تتأثر سياساتهم عادة بالاعتبارات الشخصية ومصالح الجهات التي تدعمهم . كما أن هذه الفئة المنتخبة تهتم عادة بالأهداف القصيرة المدى التي تعطي نتائج تبرر إعادة انتخابها ، ولذلك فإن طبيعة السياسات الديمقراطية وديناميكياتها أحيانا وربما غالبا تجعل نصائح مقاولي السياسة أكثر فائدة وأهمية للرئيس الأمريكي من نصائح الأكاديميين الذي يهتمون بالغد البعيد أكثر من اهتمامهم باستطلاعات الرأي العام التي تجري اليوم أو ستجري في الغد القريب !

ويشكك الأكاديميون في وجود شيء اسمه " الإرهاب الإسلامي " ويرون أنه إذا استخدم بعض المسلمين العنف فلأهداف وأغراض سياسية . ويصرح جون فول الرئيس السابق لجمعية دراسة الشرق الأوسط وأحد المفكرين المرموقين برأيه في هذه المسألة على الوجه التالي :

"من الواضح أن بعض المنظمات في العالم الإسلامي استخدمت أساليب العنف والعمليات العسكرية ضمن برامجها لتغيير القائم في مجتمعاتهم وبالنسبة لأكثر هذه الجماعات وضوحا فإن تسميتهم إرهابيين أو مقاتلين من أجل الحرية أو أي اسم آخر يعتمد على وجهة النظر المراقب أكثر من خصائص مجموعة بعينها ، فمثلا في أثناء الثمانينات كان أكثر المراقبين الغربيين يسمون من يضع قنبلة في سوق كابل مقاتلا من أجل الحرية ، وأن عمله هذا مشروع ، بينما يعتبرون من يضع قنبلة في أحد أسواق القاهرة أو الجزائر أو بيروت متطرفا وإرهابيا . ويكفي لأغراض هذه المناقشة أن نسمي هذه المجموعات بأنها مجموعات مسلحة ، وملاحظة أن هذه التسمية هي أيضاً عشوائية هدفها مجرد إعطاء وصف للمجموعات المعارضة للنظام التي تستخدم وسائل العنف والعمليات المسلحة في تحقيق أهدافها".

ويخشى الأكاديميون أن سوء استعمال مصطلح الإرهابي الإسلامي سيدخل الولايات المتحدة نفسها في حرب باردة أخرى ضد العالم الإسلامي ، وبخاصة إذا استمرت في سياساتها الحالية تجاه قضايا الشرق الأوسط ، ويؤكدون أن أساليب العنف التي تمارسها فئات قليلة ومحدودة من الإسلاميين واللغة القاسية التي يستخدمها إسلاميون آخرون أيضا هي رد فعل لدعم الولايات المتحدة للحكومات القمعية ولعدوانية إسرائيل، ويفضلون أن تعمل الولايات المتحدة على محاربة التطرف وليس الإرهاب الإسلامي، ويدعون إلى تشجيع التوجه الديمقراطي وبناء مؤسسات المجتمع المدني واحترام حقوق الإنسان في الشرق الأوسط.

ويتنبأ الأكاديميون بأن التوجهات الأحدث في الصحوة الإسلامية سوف تستمر في الميل نحو الاعتدال رغم أن بعض المتطرفين يستمرون بين الفترة والأخرى بإزعاج مجتمعاتهم، لكن عملية الاعتدال هذه تأخذ طريقها في المؤسسات السياسية والاجتماعية وأن ذلك سيؤدي في النهاية إلى تنمية المجتمعات الإسلامية من جهة وتحسين علاقتها بالغرب.

يرى ديفيد صم عميد كلية الخدمات الخارجية في جامعة جورج تاون أن الأكاديميين يخالفون الإدارة الأمريكية في بعض ممارساتها تجاه قضايا الإسلام والإسلام السياسي، ولكنهم مع ذلك يتفقون معها على مبادئ السياسة المعلنة . ويرى أن الموقف الرسمي للإدارة الأمريكية كان يتحول مع الوقت طيلة العقود الثلاثة الأخيرة باتجاه موقف الأكاديميين، وكانت الأدلة في أثنائها تؤكد صحة موقف الأكاديميين . ولذلك كانت هذه الإدارة تتحقق باستمرار من حكمة البحث العلمي الأصيل وقيمة العمل الأكاديمي المتخصص . فالأكاديميون في هذا المجال لا يبالغون في التجريد والتنظير، لأنهم يفهمون تماما حاجة صانعي القرار ويقدرون الحدود والضغوط التي يعملون ضمنها .

السياسة الرسمية للولايات المتحدة نحو الإسلام .

لم يكن من المعهود في حديث الرؤساء الأمريكيين إلى عهد قريب التعبير عن رؤيتهم للإسلام في تصريحات عامة ، وربما كانت صدمة الأمريكيين بالثورة الإسلامية في إيران عاملا مهما في اهتمامهم بفهم الإسلام وألوان الخطاب الذي تقدمه فئات متعددة من الناطقين باسم الإسلام ، على مستوى زعماء الحكومات أو زعماء الحركات والتنظيمات . ولعل الجميع يتذكر مبادرة الرئيس الأمريكي جيمي كارتر لدعوة شخصيات أكاديمية للاستفسار منهم عن عدد من القضايا التي يطرحها الخطاب الإسلامي ، وانتباهه أيضا إلى التفكير في الخلفيات الإيديولوجية والمذهبية لهؤلاء الأكاديميين .

لكن الأمر اختلف في العقدين الأخيرين ، وبخاصة في تعدد المواقف والمناسبات التي كان على الرؤساء الأمريكيين فيها أن يقدموا تصريحات رسمية حول قضايا العنف والاضطرابات التي يكون بعض المسلمين طرفا فيها ، أو يحتمل أن تتضمن هذه التصريحات ما يمس مشاعر المسلمين في العالم الإسلامي أو المواطنين المسلمين في داخل الولايات المتحدة نفسها .

ويبدو أن الأمر تطلب تطوير سياسة خارجية محددة ومعلنة نحو الإسلام . ويشير مساعد وزير الخارجية الأمريكية إدوارد دجير جيان إلى أن الإدارة الأمريكية قد طورت صياغة معلنة لهذه السياسة تم اعتمادها في عهد الرئيسين الأخيرين بوش وكلينتون . وقد

اعتمدت هذه السياسة على كثير من المعطيات التي يقدمها الأكاديميون المتخصصون في شؤون الإسلام في الجامعات الأمريكية .

وتتخلص هذه السياسة بالتأكيد على أن الولايات المتحدة لا تعتبر الإسلام أيديولوجيا مواجهة للغرب، بل تحترم الإسلام وتعتبره واحدا من أعظم الأديان . أما أولئك النفر الذين يلجئون إلى العنف واضطهاد الأقليات ، وعدم التسامح ، ويرفضون التعددية السياسية ويخالفون الأعراف المقبولة دوليا حول حقوق الإنسان ، فإن الولايات المتحدة تعارضهم بغض النظر عن انتماءاتهم الدينية .

وتلاحظ الولايات المتحدة أن عددا من الحركات الإسلامية هي استجابة للظلم الاجتماعي وغياب الفرص الاقتصادية والتعليمية والسياسية في كثير من الأقطار . ولذلك فإن الولايات المتحدة تدعم جهود التوسع في المشاركة السياسية في هذه الأقطار ، ومع ذلك فهي تشكك في تلك المجموعات التي ربما تسيء استعمال العملية السلمية إن هي وصلت إلى السلطة بهدف الاحتفاظ بها لضمان الهيمنة السياسية .

ويدعو دجيرجيان إلى أن تبذل الولايات المتحدة جهودا أكبر لفهم التعقيد والعمق في أقطار وشعوب قوس الأزمات الممتد من البلقان ، عبر القوقاز والشرق الأوسط وشمال أفريقيا ، وإلى ضرورة التمييز بالقول والفعل بين التيار الرئيسي في الإسلام وبين أولئك الأفراد والمجموعات والأنظمة التي تحارب المصالح الأمريكية من خلال العنف والاضطهاد والرغبة في الحكم الفردي .

ويحذر دجيرجيان من حساسية فرض الأفكار العلمانية التي تطرحها عمليات التحديث على النمط الغربي ، لأن ذلك يثير مقاومة أولئك الأفراد وتلك الفئات المحرومة من المشاركة ، والتي تعتبر نفسها ضحية عمليات التحديث ، مما يولد أساسا للتطرف. كما يحذر من محاولة فرض النماذج السياسية الغربية في المجتمعات الإسلامية التقليدية التي تتميز بأنظمة حكم خاصة بها يمكن تطويرها تدريجيا باتجاه المبادئ الديمقراطية الغربية، مع الانتباه إلى تفصيل تصور خاص بكل قطر على حده .

كيف يفهم الأكاديميون السياسة الخارجية للإسلام السياسي ؟

يعبر عدد من الأكاديميين عن صعوبة فهم السياسة الخارجية للإسلام السياسي، لتفاوت الممارسات والمواقف بين حكومات دول عديدة تصنف بالأصولية الإسلامية، كما هو الفارق بين حكومتي المملكة العربية السعودية وباكستان من جهة وإيران والسودان من جهة أخرى ، وكما هو الفارق بين ألوان الخطاب السياسي الخارجي بين جماعات الإسلام السياسي في الشرق الأوسط ونظرائهم في جنوب شرق آسيا. ويستغرب زاكيري كارابيل الباحث في كلية كنيدي للحكم بجامعة هارفارد قلة اهتمام الدراسات الأكاديمية بهذه الظاهرة ويشير إلى خطورة التعميم من دراسات حالات خاصة. وبعد أن يستعرض كارابيل السياسة الخارجية المعلنة لعدد من الدول المعروفة بأنها إسلامية وعدد من التنظيمات والشخصيات الإسلامية ذات النشاط السياسي وأدبيات الخطاب والممارسة بين هذه الدول والتنظيمات ، يتوصل إلى قناعة بأن الأصولية الإسلامية لا تعني سلوكا معينا، وأن لدى قياداتها مهارة في تبرير أي سلوك ، وأن العلاقة بين الفكر الأصولي والسياسة الفعلية هي علاقة غامضة ، ويمكن لهما أن يتعايشا ، ويغلب الظن على أن السياسة الخارجية هي سياسة متلونة وواقعية، وتشبه إلى حد كبير السياسات العملية لأغلب الدول.

ومع ذلك فإنه يمكن تمييز عدد من المواصفات الخاصة بهذه السياسة ومنها: اعتناق فكرة الأمة وعدم احترام سيادة الدول العلمانية الموجودة ضمن إطار الأمة، ورفض الهيمنة الغربية على العالم الإسلامي وبخاصة هيمنة الولايات المتحدة، والعداء للصهيونية وإسرائيل باعتبارها تجسيدا للنظام الدولي الغربي الذي يقسم الأمة ويسعى لتحطيمها.

ويرفض كارابيل توجهات صانعي السياسة الخارجية الأمريكية نحو الإسلام السياسي وقلقهم من خطورته في تهديد المصالح الأمريكية، أو تحدي الولايات المتحدة في عقر دارها. ويبرر هذا بأن الفكر الأصولي الإسلامي يرفض الهيمنة الأمريكية على العالم الإسلامي، ويقاوم توسيع سيطرتها العالمية. وعندما تتحدد أهداف الولايات المتحدة ومساعيها في أمنها الوطني وقضايا الازدهار العالمي، فإن الأصولية الإسلامية لا تعود

خطرا عليها. أما مصالح الولايات المتحدة المتمثلة بالنفط والأسواق، فإن مصالح الإسلام السياسي في حالة سيطرته سوف تتوازن مع مصالح الآخرين. كما أن تحولات الاقتصاديات الصناعية ستعيد التوازن بعد فترة وجيزة .

ويستنكر كارابيل سياسة الولايات المتحدة تجاه الإسلام السياسي التي تفضل شر الدكتاتورية في الشرق الأوسط على شر الأصولية ، الأمر الذي يعطي المعارضة الإسلامية قوتها، والإحساس بأن الأنظمة العلمانية والديكتاتورية ليست شرعية، لأنها من وضع الهيمنة الغربية، وليست نتاجا أصيلا نابعا من الأمة .

ويوصي في النهاية بأن تطبع الولايات المتحدة علاقاتها مع الأصولية الإسلامية وتتكيف معها، ويتنبأ بأن جميع محاولات تحجيم الأصولية سيصيبها الفشل ، ولن تعمل هذه المحاولات إلا على إبقاء حالة التوتر بين الإسلام السياسي والغرب .

الفصل الخامس

ملامح التحول في حركة الإسلام السياسي في الشرق الأوسط والتوجهات الغربية القادمة في التعامل معه وتوصيات نحو تحويل العلاقة بين الغرب وبينه من الشك إلى الانفتاح والتعاون

ملامح التحول في حركة الإسلام السياسي والتوجهات الغربية نحوها

د. محمد عويضة*

إن التصور الأساسي في نظرة الإسلام للآخرين يرسخ فكرة عموم الإنسانية، إنه يثبت وحدة الأصل الإنساني التي هي-كما نص القرآن-" من نفس واحدة ". إنه يقر بكرامة كل من تحدر من نسل آدم عليه السلام بغض النظر عن دينه أو عرقه، و يكرس – كنقطة بدء أساسية في العلاقة بين الأديان – الغاية في التصالح والتواد والتعاون في سبيل الصالح العام. وتبقى هذه النظرة قائمة طالما أن المسلمين غير مستهدفين بعدوان إذ أن الإسلام يحرم على أتباعه مبادأة الناس العداء، ومن هنا يجب أن يكون واضحا أن غاية الإسلام هي تعايش الأمم والحرص على العلاقات المتبادلة على أساس من السلام والصداقة. إن مفهوم الجهاد في الإسلام يأخذ مكانه ضمن هذا السياق الإنساني العام، إلا أن جزءا من هذا السياق الإنساني هو السعي لتحرير الإنسان-مسلما كان أم غير مسلم- من العبودية لضلالات المادة. و لأنه كذلك فهو ليس مجرد حمل السلاح للدفاع عن غاية، بل ان معناه أوسع من ذلك وأشمل محيط بكل المحاولات المادية و المعنوية التي تهدف إلى الارتقاء بالجنس البشري إلى مرتبة أعلى من السعادة والاكتفاء.

وتشهد العلاقة بين الإسلام والغرب لتشهد حقيقية قابلة للانفجار والتدمير الكبير، ومن البديهي وجود هذه الأزمة في ظل تراشق التهم ورسم "الآخر" منبعا للخطر والشرور. ورغم أن استيعاب المسلمين للغرب في تحسن -إذ أن الفضل يعود للأعداد المتزايدة من المسلمين الذين يتعرضون لثقافة الغرب وأدبه بل ويصلون حد الإعجاب والتقليد-، إلا أن نسبة الغربيين الذين يتعلمون اللغة العربية أو يدرسون الثقافة الإسلامية،

* عميد شؤون الطلبة ـ جامعة الزرقاء الأهلية.

وبالذات طبقة الصحفيين والسياسيين والاقتصاديين والمفكرين، لا تزال نسبة صغيرة، بل هي في تناقص مستمر.

إن الإسلام دين قد أسيء فهمه ، وأكثر الناس يتعرفون عليه من خلال التصرفات والسلوك المتطرف لبعض المسلمين. وهكذا فإن الصورة السلبية التي بدأت بالتشكل أيام الحملة الصليبية قد كرست بعد أن عززت طوال القرون الماضية بأشكال النزاع ،ومع سقوط الشيوعية حل الإسلام محلها وبات مصدر الخوف.

و قد قامت وسائل الإعلام الغربي، بقصد أو بجهل، باستغلال جهل الرأي العام الغربي بالإسلام وتاريخه، ونجحت أو كادت في عزل المسلمين وتصوير الإسلام خصماً للغرب وحضارته.

ومع أنه لا يمكن اعتبار المسلمين مسؤولين عن أي عمل أو تصريح "لا مسؤول" أو إرهابي أو عدائي يشوه صورة الإسلام إلا أن الإعلام الغربي ما فتئ –منذ اندلاع الثورة الإيرانية– يغذي الرأي العام بصور مشوهة توجد الرفض و الخوف في النفوس مما يربط الإسلام بالخطر ويظهره كما لو أنه يقف ضد القيم السامية و مطامح الإنسانية في تحقيق السلام والتقدم والحرية والمساواة.

إن السلوك السلبي نحو الإسلام قد اعتلى منصة الدعاية و الإعلام ويمكن في الحقيقة رد ذلك إلى الجهل و التحليل الفلسفي والتاريخي المتذرع بأن الصراع مع الإسلام حتمية تاريخية واستراتيجية. ومثال صارخ على ذلك نظرية للدكتور صامويل هنتنغتون الأستاذ في جامعة هارفارد المصوغة في مقالة (صيف ١٩٩٣) في مجلة الشؤون الخارجية .FOREIGN AFFAIRS "بعنوان صدام الحضارات"، Clash of Civilization.

الصراع والتعاون :

إن الصراع، تماما كما هو التعاون والتفاعل، كان دائما يميز العلاقات بين الحضارات و الأديان والشعوب والقبائل، والقرآن يقر بحقيقة أن النزاع و التنافس إنما هما خصلتان طبيعيتان في التطور وموازنة القوى على صعيد الفرد و المجتمع و العالم.

إن القرآن الذي يدعو للجهاد و كذلك استخدام الوسائل السلمية في إرساء العدل والمساواة يدين العدوان والكبت و القهر، و يحذر من الوقوع فريسة الشهوة و الأنانية، بل إن القرآن يعترف بحق المقهور في الدفاع عن نفسه و المقاومة لردع الطغيان، ولكنه يحذر من اقتراف الظلم ؛ ويصرح القرآن بوضوح "إن الله لا يحب المعتدين" و "لا عدوان إلا على الظالمين". إن تعاليم القرآن في الواقع تشجع الناس على استشراف العدل، وعلى التعاون على تحقيق الخير و اكتشاف الكون و استغلال موارد الأرض في خدمة المصلحة الإنسانية التي تعد أسرة واحدة من أب واحد، خالقها واحد، وهو وحده يستحق العبادة. ولهذا يعترف الإسلام بالاختلاف و تعدد الأجناس والثقافات حقيقة من حقائق الحياة، كما يدعو إلى الاعتراف المتبادل و التعايش ؛ "يا أيها الناس إنّا خلقناكم من ذكر و أنثى و جعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم"

إن الإسلام متفرد في اعترافه بالتعددية داخل حدوده وخارجها، وفي الداخل لم يعرف أنه قامت حروب دينية أبداً. وفي حين أن الإسلام ضمن لأتباعه حق الاجتهاد في النصوص القرآنية إلا أنه لا يعترف بكنيسة أو مؤسسة أو فرد كسلطة منفردة تتكلم باسمه أو تدعي تمثيله. إن اتخاذ القرار بالشورى هو من حق المجتمع كله، ولهذا فقيم الديموقراطية و التعددية السياسية والتسامح متناغمة تماما مع الإسلام. خارج المجتمع الإسلامي، يعترف الإسلام بالتعددية الدينية و الحضارية و يعارض استخدام القوة في نقل حضارة أو الإكراه في الدين . بل إنه يدين استخدام الدين لأغراض مادية بداعي الهيمنة.

من خلال النداء القرآني للإنسانية "يا أيها الناس" لا يسع المرء إلا تخيل مرحلة في التاريخ تقصر فيها المسافات و تتيسر الاتصالات و تزال الحدود و يتنقل البشر دون قيود أو محظورات في سعي للتآزر و التعاون .

إن عقيدة واحدة فقط، وهي تلك التي تؤكد أن الله واحد و منبع الأديان واحد و أصل الإنسانية واحد و أن الرب الذي يحكم الكون واحد، لقادرة على الانسجام مع عالم مفتوح و محكوم بقانون عالمي مبني على العدالة.

ومن وجهة نظر إسلامية ومع أخذ مثل هذه الحقيقة الكونية بعين الاعتبار في أن مصير الإنسان مشترك فإن المعيار هو السلام والتعاون و الاعتراف المتبادل. ليست الحرب أبدا هي المعيار، وبخاصة عندما تستثمر لاستبعاد الآخرين أو انهاء تعددية حضارية أو دينية أو عرقية. فإذن ما المعنى من الحديث عن صراع شرقي - غربي، أو إسلامي – مسيحي؟

إن الدلالة الوحيدة هي تاريخية حيث إن الحروب دارت في الماضي بين الإسلام و الغرب. بيد أن الحروب الداخلية في العالم الغربي القديم و المعاصر لم تكن أقل دموية أو مأساوية من الحرب التي دارت بين الغرب والأمم الشرقية. وفي المقابل قامت حروب دامية بين الأمم الشرقية، ولهذا فإنه من السذاجة تبسيط المشكلة أو تجاهل تعقيدها .

إن إصرار فريق ثالث (إسرائيل و اللوبي الصهيوني) على عزف لحن الصراع الشرقي الغربي أو الإسلامي الغربي لن يخدم فكرة السلام و التعايش. وسريعا بعد انتهاء كرنفال الحرب الباردة قام الذين جنوا معظم ثمارها –خوفا من تضييع ما اكتسبوه حتى تلك اللحظة– بترشيح الإسلام خطراً جديداً. ولضمان الحفاظ على التدفق المستمر للمساعدات و الدعم و لمراكمة الابتزاز قام مثيرو الكراهية و الفساد بزرع الخوف في قلوب الغربيين. إن الفريق الثالث يرافقهم تجار السلاح الذين ساءهم التراجع في أوضاع تجارتهم نتيجة انتهاء الحرب الباردة، في محاولتهم للحفاظ على أرباحهم، انضموا إلى من ذهبوا يبحثون عن عدو جديد هو الإسلام.

إن المشاعر المضادة للغرب في العالم الإسلامي لفي تزايد بسبب السياسة الازدواجية التي يعتقد أن الغرب يمارسها تجاه القضايا الإسلامية. ورغم التزام الغرب بحقوق الإنسان و الديموقراطية إلا أنه ومنذ سنة ١٩٤٥ قد ساند و حرض زعامات ديكتاتورية أكثر من تلك الديموقراطية في العالم غير الغربي. إن تأثير النظام العالمي الذي تقوده أمريكا اليوم على حقوق الإنسان في العالم الإسلامي ليس بحال من الأحوال أقل دمارا من النظام العالمي الذي ساد في الحقبة الاستعمارية . لقد أثبت قادة النظام العالمي الجديد –الليبراليون الديموقراطيون– لنا أنه ما لم تكن مصالحهم الخاصة في

خطر، كما في الكويت، فلن يخاطروا بشيء في سبيل الديموقراطية أو حقوق الإنسان. وليس ذلك فحسب بل إنهم يصرحون أن استقلال الأمم لا يعني أن لن يتدخلوا في الشؤون الداخلية لبلد ما إذا كان هنالك دليل على انتهاك حقوق الإنسان فيه، وبعبارة أخرى فقد أعطوا أنفسهم الحق في أن يكونوا الخصم و الحكم في سلوك الأمم و شعوب البلدان الأخرى.

وبينما تؤكد الحكومة الأمريكية أنها بطل الديموقراطية وحقوق الإنسان في الشرق الأوسط نجد أن الذين لهم نصيب الأسد من الوجود المادي و العسكري للولايات المتحدة في المنطقة هم أنفسهم أكبر منتهكي حقوق الإنسان . مصر هي إحدى الأمثلة على حكومة محلية تلقت عشرات البلايين من الدولارات من المساعدات الخارجية لأمريكا لأكثر من عقد، ولم تكن ظروف حقوق الإنسان فيها مطابقة أبدا للمعايير العالمية، بل انحدرت في معظم الأحيان إلى مستوى الانتهاكات الصارخة . و تستمر فيها الانتهاكات المبطنة لحقوق الإنسان مثل أحكام الطوارئ والتي لا تزال سارية منذ مقتل الرئيس السادات في أكتوبر ١٩٨١، أو فقر الحرية والانتخابات النزيهة دون أي بادرة للإصلاح.

إسرائيل المتلقي الرئيس لمساعدات الولايات المتحدة الخارجية في أي مكان في العالم، فرضت الأحكام العسكرية على مليوني مواطن فلسطيني في الضفة و قطاع غزة لمدة ٢٧ عاما دون أي احترام للمعايير الدولية لحقوق الإنسان. إن اتفاق أوسلو مع منظمة التحرير الفلسطينية الذي تدعمه أمريكا بلا شروط لا يضمن بأي شكل من الأشكال وقف إسرائيل انتهاكاتها لحقوق الإنسان التي ما زالت في أوجها. ولا تزال إسرائيل تستقبل دعما أمريكيا ماديا و معنويا و سياسيا كاملا رغم سياستها الوحشية اليومية مع شعب جنوب لبنان ضحايا القصف الإسرائيلي اليومي الجوي و الأرضي.

إن الولايات المتحدة وحلفاءها الأوروبيين يدعمون اليوم كل ديكتاتوري في العام الإسلامي يدين لهم بالولاء ويعدهم برعاية مصالحهم. وفي بعض الدول تنتهك حقوق شعوب برمتها، ومع ذلك فحكومات تلك الشعوب تعد حليفة وصديقة بدون الديمقراطية وحقوق الإنسان في النظام العالمي الجديد .

إن ازدواجية المعايير تجاه متطلبات الديموقراطية في أوروبا الشرقية والعالم الإسلامي تشكل تناقضاً واضحاً في السياسة الغربية. في الحالة الأولى-أوروبا الشرقية- تلقت الحركات الديموقراطية دعما أوروبيا كاملا ليس لأن قيم الديموقراطية مقدسة بل لأنهم كانوا سلاحا فعالا في مواجهة التجمع الاجتماعي بقصد تفتيته. بينما في العالم الإسلامي أو حتى في العالم الثالث كله نجد أن الغرب لا يتحمس بالطريقة نفسها لدعم الميول الديموقراطية وحقوق الإنسان، لأن تشكل الديموقراطية في هذه الحالة عامل مساند للشعوب وموحد لها يهدد الديكتاتوريين الذين يرعون مصالح الغرب على حساب شعوبهم. ومن الواضح تزوير نتائج الانتخابات في تونس، أو سحق صناديق الاقتراع بالدبابات والمدرعات في الجزائر.

إن نفي الفائزين في الانتخابات الجزائرية إلى مخيمات الإبعاد في الصحراء لم تشكل خطراً على المصالح الغربية في المدى القصير ولذلك لا يعترض الغرب .

وفي الوقت نفسه ينظر المسلمون بألم وغضب عميقين إلى الموقف المنافق للغرب تجاه إبادة شعوب مسلمة بأكملها. الشيشان (الجمهورية السوفيتية سابقاً) مثل بوسنيا (الجمهورية اليوغسلافية سابقاً المطهرة عرقياً) هي أمة حكمها الإسلام في السابق، وهي تصارع البقاء في حملة انقضاضية متعصبة من قبل حاكم شيوعي سابق. إن الشيشان كالبوسنة تنتظر أن يحترم المجتمع الدولي " المبدأ الأسطوري في حق الأمم في استقلالها وتقرير مصيرها".

إن وضع النظام العالمي قد مثل حديثاً بوضوح عندما صرح الأمين العام للأمم المتحدة بطرس بطرس غالي مشيراً إلى أن الأحداث في الجمهورية الشيشانية يجب أن ينظر إليها على أنها أمر روسي داخلي، وهذا يذكر بموقفه من البوسنة عندما أخبر السكان العزل الجياع المحاصرين في سراييفو أن مأساتهم لم تكن شيئاً غير عادي " إن بوسعه تسمية عشرة أماكن في العالم تماثل وضع البوسنة أو تزيد سوءاً عنها.

العنف السياسي :

إن ظاهرة العنف السياسي التي تعم العالم العربي ليست شيئاً في جوهرها لكنها رد فعل على عنف الولايات المتحدة التعسفي، العنف قاد إلى خلق جو قمعي حيث يوجد نقص حقيقي في الحريات الأولية وإهمال تام لحقوق الإنسان، فالقوة تستخدم للحفاظ على الوضع الراهن ولإسكات المنتقدين وفي غياب حكم القانون، في مثل هذا الجو، لا يمكن اجتناب استجابة بعض الناس للقمع بأعمال العنف، وترد الأنظمة بتحريك قوات الأمن أو الجيش لسحق المتمردين وإحباط مخططاتهم، ومع الزمن تصبح هذه الدائرة المفرغة من العنف والعنف المقابل نمط حياة. ويركز دائرة العنف سلوك الغرب الذي يدعم –بغير شروط– هذه الأنظمة القمعية تحت ستار محاربة التطرف أو الحفاظ على المصالح الحيوية. ويحتاج الغرب إلى أن يدرك أن هذه الظاهرة تعزى أيضاً إلى ما يعتبر محاولات غربية مستمرة في فرض الثقافة الغربية ونماذجها على المسلمين.

إن الحوار واحترام حقوق الإنسان هما أنجح الأسلحة لمقاومة الراديكالية . وإن العديد من الحركات الإسلامية كتلك التي في تركيا و الباكستان وماليزيا والكويت والأردن قد لعبت بفضل الديمقراطية – دوراً هاماً في تهميش الاتجاهات المتطرفة، وفي ارتكاب العنف من قبل الأفراد الراديكاليين .

التقديرات المستقبلية :

لقد آن الأوان لأن يفهم الغرب طبيعة الأزمة. إن المسلمين الذين يصارعون لأجل الحرية والكرامة في أزمة، والعالم العربي يعيش حالة سياسية حرجة ووضعية إطباق نتيجة لاستقطابه وتردده بين الإسلاميين والأنظمة المسيطرة المدعومة من الغرب، وبذلك شلت الحياة السياسية وتحولت إلى برنامج أمني .

إن الصراع الذي نشهده في معظم البلدان العربية والإسلامية هو بين الشعب الذي يقاتل من أجل الحق – الذي منحه إياه الله – في الحرية والمال والكرامة والتعليم، وبين الأنظمة التعسفية التي ترفض الإصلاح أو الديمقراطية، ومن غير شك سيفوز الشعب بهذه

الجولة من الصراع، ورغم كل شيء فالإنسان مخلوق ذكي قد يقهر ويرغم على قبول مالا يقبل، لكن ليس للأبد، وقد قدمت التجربة الشيوعية أفضل شاهد. إن معظم الحكومات القائمة أفلست في مجال الفكر وتقف على حافة الإفلاس في مجال الاقتصاد.

والمشروع البديل الذي يجذب الجيل الجديد ويمثل آماله في العدالة والكرامة والمساواة والحرية والازدهار والاستقرار هو المشروع الإسلامي. اليوم يقاوم هذا المشروع وينكر عليه الوصول إلى السلطة من قبل سلطات القمع المحلية المدعومة من الغرب.

وعلى كل حال فالعنف وحده أضعف من أن يقف في مواجهة الحركات الشعبية طويلاً. وعما قريب الإسلاميون قادمون.

السؤال هو: ما هو موقف الديمقراطيات الأوروبية تجاه التطور في المنطقة العربية؟ هل سيكونون مخلصين للمبادئ التحررية ويدعمون العملية الديمقراطية في العالم العربي حتى لو أدى ذلك إلى وصول الإسلاميين للسلطة. أم انهم سيلتزمون الموقف المتحيز، أم هل سيلعبون الدور الغاشم أكثر ويجرون المنطقة إلى حالة حرب أهلية لحظة أن ينفجر البركان ويفلت زمام الأمور . عندها سيجد الديمقراطيون الغربيون أنفسهم غير قادرين على فعل شيء يحفظ مصالحهم .

المشكلة الحقيقية هي كيف نقنع العلمانيين المزعومين ومساندیهم في الغرب بأن لا يطبقوا معايير مزدوجة، وأن لا يتآمروا على الديمقراطية حين توفر للإسلاميين فرصة الوصول إلى السلطة عن طريق صناديق الاقتراع . لقد أثبتت التجربة أنه حين يعطى الإسلاميون الفرصة لاستيعاب قيم الغرب العصرية كالديمقراطية وحقوق الإنسان فإنهم يبحثون بإخلاص عن مثيلاتها في الإسلام ويرعونها وينعشونها تماماً كما فعل الغربيون من قبل حينما زرعوا مثل هذه القيم في تربة أقل خصوبة من الإسلام بكثير.

هل سيستمر الغرب في وصف للإسلام على أنه جامد وراديكالي وقاتل وبائس، أو أنه مهدد لمصالحه وللسلام والحرية والتقدم وحقوق المرأة وحقوق الأقليات وكل القيم السامية ؟

هل سيستمر الغرب بصم آذانه خشية سماع الأصوات الناصحة مثل صوت الأمير تشارلز وعدد من وجهاء المثقفين الغربيين الذين يطالبون بإخلاص لإعادة اكتشاف الإسلام والتعلم من نظرته العالمية لهذه الحياة الدنيا والآخرة، عن المادة والروحانية، عن المرئي وعن الغربي ؟

في عالم انقلب بثورة الاتصالات إلى قرية صغيرة، هل سيستمر الغرب بالتعامل مع الآخرين على أساس تقسيمهم إلى غربيين وشرقيين لا يلتقون أبداً ؟

رغم استمرار السلوك السلبي الغربي تجاه الإسلام. هناك مؤشرات إيجابية بأن علاقات أفضل ممكنة في المستقبل، ونأمل أن هذه المؤشرات ستتزايد وتجلي نفسها بوضوح أكبر، ومن غير شك فإن هذا الاجتماع يشكل خطوة مهمة أخرى في الطريق السليم نحو إيجاد حوار بناء في السعي للتعاون والتسامح والفهم المتبادل .

ملامح ومعالم التحول في حركة الإسلام السياسي في الشرق الأوسط

هشام جعفر*

د.أحمد عبد الله**

أولاً: مناقشة للمصطلحات:

"ملامح ومعالم التحول في حركة الإسلام السياسي في الشرق الأوسط" هو العنوان الذي اقترحه منظمو الندوة، وهو يثير عدداً من الملاحظات والإشكالات أبرزها:

أولاً: أنه لا يمكن الحديث عن **حركة الإسلام السياسي** باعتبارها وحدة واحدة، فالتعددية في الرؤى والتصورات، والاستراتيجيات والتكتيكات، والتنظيمات والجماعات باتت حقيقة واقعة في الساحة السياسة العربية والإسلامية، بل تجاوزت هذه التعددية التنظيمات المختلفة لتطال التنظيم الواحد، ومن شأن هذا أن يفرض علينا الحديث عن "حركات الإسلام السياسي" وليس "حركة الإسلام السياسي". ولكن إضفاء صبغة السياسي على الإسلام تحدث خلطاً وتشويشاً يتعلق أساساً بأن مصطلح "الإسلام السياسي" هو مصطلح يجزئ الإسلام كدين، وهو أمر يرفضه أتباعه ومعتنقوه، لذا فإن الأفضل من ذلك هو أن نستخدم مصطلح "الحركات السياسية الإسلامية"، ونحن نقصد بها –في هذه الورقة– ليس عموم الحركات الإسلامية التي تباينت وتعددت مواقفها من العمل السياسي، وإنما الحركات الإسلامية التي قبلت الدخول أو الاشتراك في ساحة العمل السياسي المشروع، من منطلق قبول التعامل مع النظام السياسي القائم من خلال قواعده. وإن كان هذا الحصر والقصر لا ينفى وجود قواسم مشتركة بين أغلب الحركات الإسلامية، فالإسلاميون يشتركون في حقيقة أنهم يريدون أن يستعيدوا "مرجعية الإسلام" لتنظم شئون

* رئيس قسم البحوث – المركز الدولي للدراسات- القاهرة.

** مدرس مساعد الطب النفسي – جامعة القاهرة.

الحياة جميعاً، إلا أن هذا القاسم المشترك يُعبَّر عنه في سياقات اجتماعية واقتصادية وسياسية وثقافية شديدة التباين، وفي مجتمعات لكل واحد منها خصوصيات مختلفة عن خصوصيات غيره بدرجة من الدرجات، مما يفرز أنماطاً مختلفة من الحركات الإسلامية.

ثانياً: أما مصطلح "**الشرق الأوسط**" فهو من المصطلحات الغامضة التي تثير من الإرباك والارتباك أكثر مما تفيد في المناقشة والتحليل؛ إذ يعرِّف منطقتنا من خلال منظار الآخرين، فهي شرق أوسط بالنسبة للولايات المتحدة والغرب. كما أنه يمتد مكاناً ليشمل بقعة جغرافية متسعة تتعدد فيها وتتباين تجارب الحركات الإسلامية وخبراتها، وهو يدخل دولة "الاحتلال الإسرائيلي" في صلب المنطقة، لذا فهو غير دال فيما نحن بصدد مناقشته في هذا المؤتمر؛ لأن الحركات الإسلامية في فلسطين المحتلة من طبيعة مختلفة – على الأقل من حيث الأهداف والغايات – عن بقية الحركات الإسلامية في المنطقة، فهي تواجه وتقاوم كياناً محتلاً، لذا فهي بالأساس حركات تحرر وطني.

للاعتبارات السابقة، وتأسيساً عليها فإنا سنَقْصُر حديثنا في هذا المقال على المنطقة العربية أساساً، وإن كان لا يخفى على كل ذي عينين أن هناك تأثيراً متبادلاً بين تجارب الحركات السياسية الإسلامية في المنطقة وتجارب الحركات السياسية الإسلامية خارج المنطقة، وإذا قصرنا حديثنا على المنطقة العربية فهنا تبرز حركة "الإخوان المسلمون" بامتداداتها، وتفريعاتها، وتنويعاتها التنظيمية في الأقطار المختلفة، والمحتجين عليها وعلى منهجها، فتجربة "الإخوان المسلمون" في المنطقة العربية، بل وخارجها، فرضت نفسها على تجارب الحركات الإسلامية في مختلف الأقطار، بل إن ما نشأ بعيداً عنها كان أساساً احتجاجاً على نهجها (الجماعة الإسلامية وحركة الجهاد في مصر)، أو رفضاً لبعض ممارساتها (حزب النهضة في الجزائر)، أو انفكاكاً من روابطها التنظيمية (الجبهة القومية الإسلامية في السودان).

إلا أن الحديث عن "غلبة" تجربة "الإخوان المسلمون" على تجارب الحركات الإسلامية الأخرى في المنطقة العربية لا يعنى وجود ظاهرة عامة واحدة تحمل جميع خصائص التحولات واتجاهاتها لدى الحركات الإسلامية كافة، ويمكن الحديث – من

خلالها – عن مسار واحد لتحولاتها وتغيراتها، بل هناك ظواهر فرعية تتأثر بالقسمات العامة لكل بلد عربي أو حركة إسلامية أو مجموعة من البلدان أو الحركات تشترك فيها، وهو ما يؤثر عليها في اكتساب كل منها خصائص قد لا تتطابق بالضرورة مع خصائص الأخرى.

ولا شك أن الانطلاق من ذلك يعنى قبول القول بوجود اتجاهات تغير أو تحولات متنوعة لكل ظاهرة فرعية، ولكن يبقى صحيحاً – أيضاً – الحديث عن وجود قسمات وخصائص متقاربة، واتجاهات للتغير، تسمح بالحديث عما هو مشترك في تلك الخبرات والتجارب.

ويبقى – أخيراً – أن نؤكد وجود ظلال من الحالة المصرية على هذه الورقة، بحكم الانتماء الجغرافي للباحثين، ونتيجة متابعتهما التفصيلية لشئون الحركات الإسلامية فيها. ومصر هنا لا تعنى نطاقاً جغرافياً محدداً، وإنما "ثقل" يلقى بظلاله على بقية المنطقة، وتجارب حركات الإسلام فيها.

ثانياً: لماذا نتحدث كثيراً عن التحول والتغير الآن؟

أظن أن هذا راجع إلى أن الفترة التي نشهدها الآن فترة انتقالية – بكل معاني كلمة انتقالية – في جميع المجالات، وعلى كل المستويات، هي فترة انتقالية لأنها تشهد تحولات كبرى في المجالين السياسي والاقتصادي، كما في المجالين الاجتماعي والثقافي..إلخ، وعلى المستويين الإقليمي والدولي، كما على المستوى المحلي، وفي جانب الحركات والقوى السياسية والاجتماعية، كما في جانب كيان الدولة القومية والواقع المحيط بها.

هذه الفترة الانتقالية تشهد "ميلاداً جديداً" أو "طوراً جديداً" مختلفاً بالكلية عن الطور السابق (نوعاً وكماً)؛ فمن المتوقع أن تشهد "نقلة نوعية" كبرى، هذه النقلة التي نطلق عليها: "إعادة الهيكلة"، وتعنى أن الماضي بحلوه ومره، وخيره وشره، وتنظيماته وشيوخه، وأحزابه وقياداته، وأنظمته ونخبه ومؤسساته – قد آذن بالرحيل مخلياً الأرض لواقع جديد، لا ندرى حتى الآن ما شكله، وإن بدت بعض ملامحه!

وهكذا، فإن "الواقع الذي نعرفه مرتحل"، وهناك "واقع جديد" الآن تتحدد ملامحه،

وتبرز تضاريسه، وتستقر فيها "مراكز ثقل" مختلفة عن سابقتها، فكيان الدولة "يتآكل" في ظل "العولمة" التي تجسدها ثورة الاتصالات وآليات السوق الواحدة والشركات متعددة الجنسية، حتى تزايد الحديث عن "نهاية الدولة القومية" أو "موت الدولة القومية"، نتيجة تنامي الكيانات فوق القومية (منظمات وشركات...)، وزيادة الحركات والأفكار ما دون القومية (العصبية لجنس أو لغة أو قوم أو جنسية). كما تحولت مراكز الممارسة السياسية في واقعنا العربي من الأحزاب وأشباهها إلى أشكال جديدة أكثر تأثيراً وأشد فاعلية (منظمات حقوق الإنسان، أجهزة الإعلام المختلفة، العائلات والعصبيات...). وما جرى على العمل السياسي طال العمل الإعلامي، الذي قلت فيه أهمية المطبوع والمقروء لصالح المرئي والمشاهد (الفضائيات، والإنترنت، والكمبيوتر...).

إلا أن الأهم فيما نحن بصدده هو أن أزمة القوى والتيارات الفاعلة، وفي مقدمتها الحركات الإسلامية، قد جعلت الملامح والتضاريس تتكون خارج الأطر والأدوات والمؤسسات القائمة أو المطروحة، فظاهرة التدين –على سبيل المثال– أصبحت تنمو وتتكون الآن خارج الأدوات والتنظيمات والمؤسسات القائمة –رسمية وغير رسمية– وكأن الناس تريد أن تقول: "إن خطاب هذه المؤسسات، وأولويات عملها، والقضايا التي تشغلها لم تعد مناسبة، أو تُجْدِ في التعامل مع الواقع الجديد الذي يتشكل، فقد استنفد كثير منها غرضه، ونحن الآن نريد فكراً جديداً، وأساليب جديدة تحسن التعامل مع الواقع الجديد".

أبرز التحولات في الإسلام السياسي في مصر كانت على النحو التالي:

- **التحول إلى السياسة.**
- **والتحول في السياسة.**
- **والتحول عن السياسة.**

ونقصد بالسياسة هنا الدخول المتزايد والمتسع من جانب الحركات الإسلامية في الأقطار المختلفة إلى ساحة العمل العام بوجه عام، والعمل السياسي على وجه الخصوص، وقد أدى هذا الدخول المتزايد والمتسع إلى أن تصبح الحركات الإسلامية مكوناً رئيسياً من

مكونات الأنظمة السياسية العربية، وليست على هامشها.

وهذا الدخول –وإن كان يرجع إلى تاريخ متطاول من تاريخ الحركات الإسلامية (أكثر من خمسين عاماً)– إلا أنه قد اكتسب قوة دفع، وحدثت فيه نقلات كمية ونوعية منذ ترشح الإخوان في مصر على قوائم الوفد في انتخابات مجلس الشعب المصري عام ١٩٨٤، ففي هذه اللحظة التاريخية انبعث "السياسي" داخل الحركات الإسلامية، وتحول من مجرد تفاعلات فكرية أو نظرية إلى ممارسات عملية يمكن التعامل معها بالتحليل.

إن تحليلاً دقيقاً لهذه اللحظة التاريخية –ما أحاطت بها من ظروف وملابسات، وما اتُّخِذ فيها من ممارسات ومسارات على مدار العقد والنصف الذي تلاها– من شأنه أن يساعدنا في رصد التغيرات والتحولات التي طالت الحركة الإسلامية وفهمها وتحليلها، وبخاصة أن حصاد هذه الفترة كان كبيراً: فقد نجح للحركات الإسلامية نواب في المجالس التشريعية، وشاركوا في حكومات بحقائب وزارية قلت أو كثرت، وانفردوا بالسلطة كاملة غير منقوصة في أحد الأقطار العربية (السودان).

ثالثاً: التحول إلى السياسة

في ضوء حقيقة الدلالات التي تحملها مبادرة وقف العنف التي أطلقها قياديون في جماعتي الجهاد والجماعة الإسلامية المصريتين، يبدو أن التفسير الأكثر رجحاناً للمبادرة هو أن الجماعات الإسلامية العنيفة في مصر على وشك الدخول إلى مرحلة السياسة، بمعنى القبول بقواعد الممارسة السياسية القائمة والتفاعل معها.

وإذا كان هذا المثال الأول يدلنا على انتقال أو تحول في جماعة إسلامية تنتهج "العنف" سبيلاً للتغيير، فإن التجربة المغربية تدلنا على خبرة أخرى تنتقل فيها الحركة الإسلامية السلمية إلى الممارسة السياسية، إذ لأول مرة في تاريخ الحركات الإسلامية المغربية يفوز عدد من أعضائها بعضوية المجلس التشريعي المغربي.

إن التحول إلى السياسة بالشكل الدراماتيكي في الحالة الأولى، وبالشكل التدريجي في الحالة الثانية يثير عدداً من الملاحظات تتعلق بمنهج التحول في الحركات الإسلامية ومستقبله:

الملاحظة الأولى: تختص بمداخل التغير أو التحول في الحركات الإسلامية، فالمثال الأول يطرح أحد أنماط التحول في الحركات الإسلامية، وهو الاستجابة للأزمة والتفاعل معها، وهذه الاستجابة بالطبع لا تتم منعزلة أو منفصلة عن "الثابت" الذي تنطلق منه الحركة في رؤيتها الفكرية والعملية، ولكن هذا "الثابت"، ونتيجة للأزمة، تحدث له حركة مراجعة نتيجة بروز أصوات نقد تلقى استجابة أو نتيجة تطوير تتبناه قيادة قائمة أو نتيجة للأمرين معاً.

الملاحظة الثانية: تتعلق بمتصل التغيير، فالمثال الثاني يبرز المتصل أو الدائرة التي يأخذها عادة العمل الإسلامي (وهذا بالمناسبة ما تدلنا عليه أيضاً الخبرة المصرية التي سنناقشها بالتفصيل في الفقرة التالية)، فالعمل الإسلامي يبدأ عادة "بالدعوة" في جموع الناس بغرض جمع الأنصار وحشد المؤيدين، ثم ينتقل بعد ذلك إلى التمأسس التنظيمي، ثم يحدث تغير في إدراك السياق الذي تتحرك فيه (تغير في توازن القوى أو العلاقات أو الأطراف أو فيهم جميعاً)، وهذا التغير يتطلب استجابة أو تفاعلاً مع معطيات الممارسة الواقعية. وهنا مسألة جديرة بالتأمل، وهي أن "الممارسة الواقعية" في الحركات الإسلامية عادة ما تسبق "التنظير" أو وضوح الرؤية الكلية، فالرؤية لا تسبق العمل، وهذا يجعل من العملية الواضحة – التي قد تصل إلى البراجماتية – السمت المميز لتحولات الحركات الإسلامية.

رابعاً: التحول في السياسة

إن هذا الجزء من الورقة يهدف إلى دراسة ما يحدث من تحولات وتغيرات في الطرف الإسلامي الذي يدخل ساحة العمل السياسي(*)، وفي هذا الإطار يمكن أن ينظر إلى هذا التغير من جهات عدة:

أ) من جهة النموذج السياسي الذي تهدف الحركة إلى إقراره في الحياة السياسية،

(*) **انظر: دراسة هشام جعفر حول هذا الموضوع في مجلة قضايا شرق أوسطية، العددان ٥، ٦ أغسطس ١٩٩٨.**

ويرتبط بذلك تطور المواقف الفكرية التي بات يتبناها الطرف الإسلامي.

ب) من جهة ترتيب أولويات الخطاب.

جـ) من جهة شكل التنظيم المعبر عن الحركة السياسية، وعلاقته بالبناء التنظيمي السابق، والأوضاع المؤسسية الخادمة للعمل السياسي.

د) من جهة تأثير العمل السياسي على أولويات العمل، ومهام الحركة ومجالاتها ووظائفها.

هـ) من جهة بناء وتكوين النواة أو الفرد المنتمى لهذه الحركة، وتطور الوعي أو اختلافه داخل الجماعة الواحدة، نتيجة الاحتكاك بالعمل العام عموماً، والعمل السياسي بخاصة.

و) من جهة تأثير الاشتراك على بقية أجزاء العمل الأخرى (الأوزان النسبية لمكونات العمل)، وبخاصة في التنظيمات التي تتسم بشمولية الوظائف، والمهام التي تناط بالتنظيم لتنفيذ الفكرة الإسلامية وتطبيقها.

ويمكن الإشارة – بقدر قليل من التفصيل – إلى ما حدث من تغيرات للحركة الإسلامية نتيجة لممارستها السياسة:

١. إعمال النسبي في المطلق:

بعد أن كانت الممارسة السياسية من جانب الحركات الإسلامية انتقالاً بالدعوة، التي هي مطلقة، من جهة أنها مناداة بالمبادئ الأساسية والقيم العليا للإسلام، إلى الحيز الرسمي، تم إعمال النسبي، التي هي هنا السياسة، من جهة أنها اجتهادات وآراء متعددة ووجهات نظر متباينة، في المطلق، وبعد أن كان الهدف هو "تديين السياسة"، أي إخضاعها للمبادئ الأساسية للإسلام وقيمه العليا، وتحقيق أو بناء أرضية شرعية دينية للممارسة السياسية، تم "تسييس الدين"، ليس بمعنى النظر إلى السياسة باعتبارها جزءاً من التصور الديني الإسلامي، ولكن من جهة إعادة تفسير الدين ليتضخم فيه الشق أو الجزء السياسي على بقية مكونات البناء الإسلامي. (وهذه بالمناسبة إشكالية قائمة في الفكر الإسلامي المعاصر، وبدت واضحة في السجال الذي دار بين كل من المودودى والندوى

حول التفسير السياسي والتفسير الحقيقي للإسلام، بالإضافة إلى الحوار بين فكر الإخوان وفكر سيد قطب كما برز في كتاب دعاة لا قضاة).

السياسة تحولت –في إطار ممارسة السياسة من قبل أتباع الحركة الإسلامية التي دخلت ساحة العمل السياسي– إلى "تفسير مطلق" أو حقيقة كلية تعيد تفسير الدين أو تفكيكه، بإعطاء بعض أجزائه ومكوناته حجمًا أكبر من حجمه الطبيعي في التصور والرؤية الإسلامية. وقد خلق هذا ذهناً خاصاً يرى كل شيء بالمنظار السياسي، وبعد أن كانت الممارسة السياسية حقيقة وقتية ارتبطت بظروف وملابسات معينة، تحولت إلى حقيقة دائمة مطلقة. وقد امتدت هذه الحقيقة "المطلقة" إلى تفكيك الواقع القائم وإعادة بنائه، فلا يرى الطرح السياسي الأزمة المجتمعية التي نعاني منها، وإنما يريد القفز إلى السلطة، تلك العصا السحرية القادرة على حل كل معضلات ومشكلات الواقع، ومن ثم يتم اختزال المشروع الإسلامي – باعتباره مشروعاً شاملاً يستهدف إصلاح حال الأمة – إلى جانب سياسي يتمحور حول السلطة : وصولاً إليها – كما في الطرح المعتدل ، أو وثوباً عليها –كما في الطرح العنيف– وعندئذ تصير المهمة الأولى "لإقامة الدين" هي إقامة السلطة السياسية الحاكمة باسم الإسلام، حتى يتسنى تطبيق "النظام الشرعي الكامل"، بدلاً من إقامته في النفوس والأفئدة وواقع الأمة المعاش قبل إقامته في واقع المؤسسات السياسية.

إن اختزال الإسلام إلى سياسة وسياسة فقط، وسلطة وسلطة فقط، ودولة ودولة فقط – هو أهم الأسباب الكامنة والباعثة لمسألة العنف أو التغيير بالقوة التي تبناها فصيل من الحركة الإسلامية، ولا سيما إذا تحول الصراع حولها من صراع سياسي إلى صراع بين "الحق والباطل"، والحق بالطبع هنا هو الذي يجسده الطرف الإسلامي، أما الباطل فهو السلطة السياسية، التي حرمت الحركة الإسلامية من العصا السحرية القادرة – كما يتوهم هؤلاء – على حل جميع مشاكل الواقع، كما حدث في التجربة الجزائرية، أو التي فشل الإخوان المسلمون في مصر في الوصول إلى السلطة في ظلها. فالعنف الذي تشهده مصر كان – في جزء كبير منه – ردة فعل – كما ترى أدبيات جماعتي الجهاد والجماعة الإسلامية في مصر – على فشل حركة الإخوان في إقامة الدولة الإسلامية.

٢. الخلط بين المطلق والنسبي:

تجلى هذا الخلط في كثير من الحركات الإسلامية التي دخلت مجال العمل السياسي، حيث تجاور بها نوعان من الطرح: الطرح الدعوى، والطرح السياسي، غافلة أو مُغْفِلة أن لكل طرح مقتضياته وشروطه؛ لأنهما من طبيعتين مختلفتين؛ فبعض الحركات نظرت إلى نفسها باعتبارها "دعوة" تسعى إلى تجميع أكبر عدد من الأنصار حول أهدافها التي تعلنها، ومن ثم فإنها تقوم بعرض مبادئ عامة تستقطب فئات معينة لاحتوائها داخل أطر تنظيمية لأهداف محددة ومعروفة. وهذا لا ضير فيه طالما أنها تعرض أهدافاً إسلامية عامة يتجمع الجميع حولها، إلا أن المفارقة تأتى من أن هذه الحركات نفسها دخلت إلى ساحة العمل السياسي، وهو ما يعنى ضرورة اتخاذ مواقف محددة تجاه القضايا والموضوعات، مع ضرورة تقديم صورة التغيير الذي تنشده وعرضه على الناس، حتى تأخذ موقفاً من هذا المشروع: تتبناه أو ترفضه، تدافع عنه أو تتخلى عنه.

إن تعاطى فصائل من الحركات الإسلامية مع السياسة، أي دخولها لساحة العمل السياسي وطرح نفسها كإحدى قواه الفاعلة، قد يتطلب منها اتخاذ مواقف أكثر وضوحًا وتحديدًا تجاه الأحداث الجارية أو القضايا السياسية والفكرية المطروحة؛ وذلك لأن ساحة العمل السياسي لها منطقها الذي تفرضه على أية قوة سياسية. وقد تجلى هذا بوضوح في خبرة جماعة الإخوان في مصر التي تغيرت أولويات خطابها، وتطورت مواقفها الفكرية بعد دخولها إلى ساحة العمل السياسي عام ١٩٨٤، فاحتلت قضية الحريات الأولوية الأولى في سلم ترتيب الخطاب الإخواني، متقدمة بذلك على قضية تطبيق الشريعة. وتطور موقفها الفكري فيما يخص مسألة "التعددية"، من الرفض المطلق الذي استمر منذ الثلاثينيات والأربعينيات حتى منتصف العقد الثامن من هذا القرن حيث بدأ التفكير في ذلك الوقت (بعد ١٩٨٤) في تأسيس موقف نظري وممارسة عملية تتجاوز موقف الرفض لها، والميل إلى القبول المشروط للتعددية، كما بدا في بيان مارس ١٩٩٤.

خامساً: التحول عن السياسة

لقد كانت إحدى النتائج المهمة لحدوث التغير في السياسة إدراك اتباع الحركات الإسلامية لوجود آفاق أخرى للعمل العام بجوار العمل السياسي، مثل الجهاد الثقافي والاقتصادي والتنموي والاجتماعي. إلا أن "الحقبة السياسية" التي حكمت العقد ونصف العقد الماضيين طغت على مجالات العمل الأخرى، وأعادت تعريفها.

ويلاحظ أنه قد حدثت مجموعة من الظروف الموضوعية أدت إلى إعادة التفكير في موقع السياسة والسياسي من المشروع التغييري الذي تحمله الحركات الإسلامية، فالمتأمل للجدل الثقافي والفكري في أوساط الإسلاميين الآن يلحظ اهتماماً متزايداً بهذا المشكل(*)، وهو بالمناسبة مشكل قديم .

سادساً: خلاصات واستنتاجات

أولاً: إن "حركة الإسلام السياسي" مصطلح يُعطى دلالات غير معبِّرة بدقة عن حقيقة فكر فصائل هذا التيار وعملهم وتعددهم ، لذا نقترح أن يُسْتبدل به مصطلح "الحركات السياسية الإسلامية". كما نتساءل عن استخدام وصف "تحولات" لما يحدث أو حدث في هذه الحركات، فربما يكون "تغيرات" أنسب منه بحكم حجمها، وإمكانية العودة السهلة عنها.

ثانياً: إن التعددية – حتى غير المعبَّر عنها داخل الفصيل الواحد – موجودة وهامة، لكنها أيضاً لا تلغي وجود قواسم مشتركة بين مختلف الفصائل في الأقطار المختلفة، ولا يبعد عن هذا وجود اختلافات – بحكم الواقع – بين الأنظمة الملكية، والجمهورية مثلاً، أو بين الحركات التي وصلت إلى السلطة (السودان)، أو تلك التي لا زالت تحاول الوصول إليها... وهكذا.

(*) انظر على سبيل المثال: مقال الأستاذ راشد الغنوشي في العدد الأول من المنار الجديد، والحوار الذي انبعث عقب مقال الأستاذ صالح كركر في الحياة بتاريخ ١٩٩٨/٧/١١، ومقالات الأستاذ منير شفيق، والأستاذ إبراهيم غرايبة من الأردن، وخاصة في مجلة الأمة التي يرأس تحريرها.

ثالثاً: نعنى في ورقتنا هذه حين نستخدم مصطلح "الحركات السياسية الإسلامية": الحركات التي قبلت الدخول أو الاشتراك في ساحة العمل السياسي القانوني من منطق القبول بقواعده.

ونعنى بـ "التحول إلى السياسة" في الحركات الإسلامية: الانتقال من مرحلة التفاعلات الفكرية والنظرية إلى ممارسات عملية يمكن التعامل معها بالرصد والتحليل، مثل: دخول الانتخابات البرلمانية، والتمثيل البرلماني، والمشاركة في الوزارة...إلخ.

كما يعني هذا التحول بالنسبة لحركات أخرى: القبول بقواعد الممارسة السياسية القائمة، والدخول طرفاً فيها بدلاً من استخدام العنف سبيلاً للتغيير.

رابعاً: تحاول ورقتنا تقديم بعض المعطيات والإشكالات، ولا تتبع إحداها أو بعضها بالفحص لتبيان أبعادها، إنها ورقة تتحدث في "المنهج" أكثر مما تتحدث في "المحتوى".

كما أنها اختارت التحولات أو التغيرات فيما يتعلق بالسياسة، بوصفها المعْلم الحاكم في منظومة الحركات المدروسة هنا.

خامساً: إن التغيرات التي تشهدها تلك الحركات تأتي نتيجة لعوامل متعددة ومتشابكة، ذكرنا منها – على سبيل المثال:

- التحولات التي يشهدها العالم كله على محاور متعددة.
- والاستجابة لأزمة أو التفاعل معها، ونتيجة لذلك تبرز أصوات نقد وتطوير يجرى الاستجابة لها، أو تلقى القبول من قيادات الحركة أو قواعدها أو كليهما.
- وتبنى مصطلحات أو تحليلات أو أهداف أو ممارسات الآخر، أو على الأقل التأثر بها، والآخر هنا قد يكون نخبة محلية أو تجربة حضارية أو مؤسسة دولية، والتأثر قد يكون عن وعي أو بغير وعي.
- والتفاعل مع معطيات الممارسة الواقعية دون تنظير لهذا التفاعل، ومن ثم دون رؤية واعية تحكم الفعل، فالممارسة عادة تسبق الرؤية، حيث النزعة العملية البراجماتية هي الطابع الغالب على التغيرات الحادثة في الفكر والممارسة.

سادساً: حاولنا بعد ذلك أن نرصد أهم التغيرات التي طرأت وتطرأ على الحركات

الإسلامية حين تتحول إلى السياسة كفعل وممارسة بالمعنى سالف الذكر؛ وقلنا: إنه يمكن النظر إلى تلك التغيرات على محاور مختلفة، مثل: أولويات الخطاب والممارسة، وهيكل التنظيم السياسي وعلاقته بالكيان الحركي، وتكوين الفرد الناشط، وتأثير السياسة على بقية أنشطة الحركة.

منشورات مركز دراسات الشرق الأوسط

١- الإمكانات النووية العربية، التحديات وآفاق المستقبل، التقرير (١٠،١١).

المؤلف: وحدة البحوث والدراسات، ٢٢٤ صفحة، الطبعة الأولى- عمان، ٢٠٠٠، السعر ٣ دنانير داخل الأردن، ٥دولار خارج الأردن.

٢-معاهدة السلام الأردنية – الإسرائيلية..دراسة وتحليل.

المؤلف: فريق من الباحثين، ٢٠٠ صفحة، الطبعة الثانية – عمان، ٢٠٠٠، السعر ٥ دنانير داخل الأردن، ٨دولار خارج الأردن.

٣- توجهات إسرائيل السياسية تجاه الشرق الأوسط في عهد باراك، التقرير (٨،٩).

المؤلف: وحدة البحوث والدراسات، ٢٠٠ صفحة، الطبعة الأولى- عمان، ١٩٩٩، السعر ٣ دنانير داخل الأردن، ٥دولار خارج الأردن.

٤- قضايا شرق أوسطية (١٠)، ديسمبر / ١٩٩٩.

المؤلف: فريق من الباحثين، ١٥٠ صفحة، الطبعة الأولى- عمان، ١٩٩٩، السعر ٣ دنانير داخل الأردن، ٥دولار خارج الأردن.

٥- القدرات النووية الإسرائيلية، الخطر الاستراتيجي على الأمن والسلام في الشرق الأوسط، التقرير (٧).

المؤلف: وحدة البحوث والدراسات، ٧٠ صفحة، الطبعة الأولى- عمان، ١٩٩٩، السعر ٣ دنانير داخل الأردن، ٥دولار خارج الأردن.

٦- قضايا شرق أوسطية (٩) سبتمبر/١٩٩٩.

المؤلف: فريق من الباحثين، ١٥٠ صفحة، الطبعة الأولى – عمان ١٩٩٩، السعر ٣ دنانير داخل الأردن، ٥دولارات خارج الأردن.

٧- الأوضاع الاقتصادية والإنسانية في الضفة الغربية وغزة.

المؤلف: فريق من الباحثين، ٢٠٠ صفحة، الطبعة الأولى، عمان-الأردن، ١٩٩٩، السعر ٥ دنانير داخل الأردن، ٧دولارات خارج الأردن.

٨- دور مراكز الدراسات في صناعة القرار في الدولة الأردنية الحديثة.

المؤلف: مجموعة من الباحثين، ١١٨صفحة، الطبعة الأولـــى، عمـــان، ١٩٩٩، الســـعر ٣ دنانير داخل الأردن، ٤,٥دولار خارج الأردن.

٩- توجهات السياسة الخارجية الأردنية في عهد الملك عبد الله الثاني، التقرير (٦).

المؤلف: وحدة البحوث والدراسات، ٨٠ صفحة، الطبعة الأولى – عمان، ١٩٩٩، السعر ٣ دنانير داخل الأردن، ٥ دولارات خارج الأردن.

١٠- قضايا شرق أوسطية،(٧،٨) مارس/١٩٩٩.

المؤلف: فريق من الباحثين، ١٦٠صفحة، الطبعة الأولى – عمان، ١٩٩٩، السعر ٣ دنانير داخل الأردن، ٥دولارات خارج الأردن.

١١- مستقبل الأمن القومي العربي في ظل السلام مع إسرائيل.

المؤلف: جواد الحمد، ٤٠ صفحة، الطبعة الثانية – عمان، ١٩٩٩، السعر دينـــارين داخـــل الأردن، ٣دولار خارج الأردن.

١٢- المواجهة بين حماس والموساد، التقرير (٤،٥)،

المؤلف: وحدة البحوث والدراسات، ١٠٠صفحة، الطبعة الأولى – عمان، ١٩٩٨، السعر ٥ دنانير داخل الأردن، ١٠ دولارات خارج الأردن.

١٣- قضايا شرق أوسطية، (٥،٦) أغسطس ١٩٩٨.

المؤلف: فريق من الباحثين، ١٩٠صفحة، الطبعة الأولى – عمان، ١٩٩٨، السعر ٣ دنانير داخل الأردن، ٥دولارات خارج الأردن.

١٤- نصف قرن على الكارثة الفلسطينية، التقرير (٢،٣).

المؤلف: وحدة البحوث والدراسات، ٧٢ صفحة، الطبعة الأولى – عمان، ١٩٩٨، السعر ٣ دنانير داخل الأردن، ٥ دولارات خارج الأردن.

١٥- المواجهة بين العراق وأمريكا، التقرير (١).

المؤلف: وحدة البحوث والدراسات، ٢٥ صفحة، الطبعة الأولى – عمان، ١٩٩٨، السعر ٣ دنانير داخل الأردن، ٥ دولارات خارج الأردن.

١٦- مستقبل الحياة المدنية في مناطق الحكم الذاتي الفلسطينية.

المؤلف: مجموعة من الباحثين، ١٤٠ صفحة، الطبعة الأولى – عمان، ١٩٩٨، الســـعر ٥ دنانير داخل الأردن، ٧دولارات خارج الأردن.

١٧- **أمـــن الخليج في ظل النظام الدولي الجديد.**

المؤلف: فريق من الباحثين، ٢٥٠ صفحة، الطبعة الأولـــى – عمـــان، ١٩٩٨، الســـعر ٥ دنانير داخل الأردن، ٧دولارات خارج الأردن.

١٨- **القمة الاقتصادية للشرق الأوسط وشمال إفريقيا(MENA).**

المؤلف: وحدة البحوث والدراسات، ١٠٠ صفحة، الطبعة الأولى – عمان، ١٩٩٧، الســـعر ٣ دنانير داخل الأردن، ٥ دولارات خارج الأردن.

١٩- **قضية القدس ومستقبلها.**

المؤلف: فريق من الباحثين، ٢٨٥ صفحة، الطبعة الأولـــى – عمـــان، ١٩٩٧، الســـعر ٧ دنانير داخل الأردن، ١٠دولارات خارج الأردن.

٢٠- **اتفاق الخليل .. نموذج لمنهج الليكود في الحل النهائي.**

المؤلف: وحدة البحوث والدراسات، ١٠٠ صفحة، الطبعة الأولى – عمان، ١٩٩٧، الســـعر ٣ دنانير داخل الأردن، ٤,٥ دولارات خارج الأردن.

٢١- **قضايا شرق أوسطية ، (٣،٤)، إبريل/ ١٩٩٧.**

المؤلف: فريق من الباحثين، ١٩٣ صفحة، الطبعة الأولـــى – عمـــان، ١٩٩٧، الســـعر ٣ دنانير داخل الأردن، ٥دولارات خارج الأردن.

٢٢- **المدخل إلى القضية الفلسطينية .**

المؤلف: فريق من الباحثين، ٦٥٦ صفحة، الطبعة الخامسة – عمان، ١٩٩٩، الســـعر ١٠ دنانير داخل الأردن، ١٥دولارا خارج الأردن.

٢٣- **دراسة في الفكر السياسي لحركة (حماس) (١٩٨٧-١٩٩٦).**

المؤلف: فريق من الباحثين، ٤٣٦ صفحة، الطبعة الثالثـــة – عمـــان، ١٩٩٩، الســـعر ١٠ دنانير داخل الأردن، ١٥دولارا خارج الأردن.

٢٤- **إسرائيل تستولي على بيت المقدس وفق مخطط استراتيجي.**

المؤلف: وحدة البحوث والدراسات، ٦٠ صفحة، الطبعة الأولى- عمـــان، ١٩٩٦، الســـعر ١,٥ دنانير داخل الأردن، ٣دولارات خارج الأردن.

٢٥- **قضايا شرق أوسطية (٢)، أغسطس /١٩٩٦.**

المؤلف: فريق من الباحثين، ١٤٣ صفحة، الطبعة الأولى – عمان، ١٩٩٦، السعر ٣ دنانير داخل الأردن، ٥دولارات خارج الأردن.

٢٦- عملية السلام في الشرق الأوسط وتطبيقاتها على المسارين الفلسطيني والأردني.

المؤلف: جواد الحمد، ١٠٠ صفحة، الطبعة الأولى – عمان، ١٩٩٦، السعر ٣,٥ دنانير داخل الأردن، ٦دولارات خارج الأردن.

٢٧- مستقبل السياسات الدولية تجاه الشرق الأوسط.

المؤلف: فريق من الباحثين، ٣٥٠ صفحة، الطبعة الأولى – عمان، ١٩٩٧، السعر ٧,٥ دنانير داخل الأردن، ١١,٥دولارا خارج الأردن.

٢٨- السلطة الوطنية الفلسطينية في عام (١٩٩٤-١٩٩٥)، (باللغة الإنجليزية).

المؤلف: وحدة البحوث والدراسات، ٩٠ صفحة، الطبعة الأولى – عمان، ١٩٩٦، السعر ٣,٥ دنانير داخل الأردن، ٥,٥دولارات خارج الأردن.

٢٩- قضايا شرق أوسطية (١)، مارس /١٩٩٦.

المؤلف: فريق من الباحثين، ٥٢ صفحة، الطبعة الأولى – عمان، ١٩٩٦، السعر ٣ دنانير داخل الأردن، ٥دولارات خارج الأردن.

٣٠- توجهات أمريكية تجاه الشرق الأوسط.

المؤلف: جواد الحمد، ٢٠١ صفحة، الطبعة الأولى – عمان، ١٩٩٥، السعر ٣,٥ دنانير داخل الأردن، ٨,٥دولارات خارج الأردن.

٣١- السلطة الوطنية الفلسطينية في عام (١٩٩٤-١٩٩٥).

المؤلف: وحدة البحوث والدراسات، ١٨٨ صفحة، الطبعة الأولى – عمان، ١٩٩٥، السعر ٣,٥ دنانير داخل الأردن، ٨,٥دولارات خارج الأردن.

٣٢- التغيرات في النظام الدولي وانعكاساتها على منطقة الشرق الأوسط.

المؤلف: مجدي عمر، ١٠٢ صفحة، الطبعة الأولى – عمان، ١٩٩٥، السعر ٣,٩٠٠ دنانير داخل الأردن، ٦,٥دولارات خارج الأردن.

٣٣- في الذاكرة الإنسانية: الشعب الفلسطيني ضحية الإرهاب والمذابح الصهيونية.

المؤلف: جواد الحمد، ١٥٣ صفحة، الطبعة الأولى – عمان، ١٩٩٥، السعر ٤,٣٠٠ دينار داخل الأردن، ٧دولارات خارج الأردن.

٣٤- المفاوضات الثنائية ومتعددة الأطراف للسلام في الشرق الأوسط (السيناريوهات المتوقعة).

المؤلف: فريق من الباحثين، ٩٢ صفحة، الطبعة الأولى – عمان، ١٩٩٥، السعر ٤ دنانير داخل الأردن ، ٦,٥دولارات خارج الأردن.

٣٥- الانعكاسات السياسية لاتفاق الحكم الذاتي الفلسطيني.

المؤلف: فريق من الباحثين، ٢٠٦ صفحة، الطبعة الأولى – عمان، ١٩٩٥، السعر ٥,٥٠٠ دينار داخل الأردن، ٨,٥٠ دولار خارج الأردن.

٣٦- مستقبل السلام في الشرق الأوسط.

المؤلف: جواد الحمد، ٢٢٠ صفحة، الطبعة الأولى – عمان، ١٩٩٤، السعر ٥ دنانير داخل الأردن، ٨دولار خارج الأردن.

٣٧- أبعاد الاتفاق الاقتصادي الفلسطيني- الإسرائيلي.

المؤلف: مجموعة من الباحثين، ٩٠ صفحة، الطبعة الأولى – عمان، ١٩٩٤، السعر ٣ دنانير داخل الأردن، ٥دولار خارج الأردن.

٣٨- انتخابات الحكم الذاتي الفلسطيني.

المؤلف: مجموعة من الباحثين، ١٩٩ صفحة، الطبعة الأولى – عمان، ١٩٩٤، السعر ٥ دنانير داخل الأردن، ٨دولار خارج الأردن.

٣٩- المؤتمر الإقليمي للسلام في الشرق الأوسط.

المؤلف: مجموعة من الباحثين، ٣٥١ صفحة، الطبعة الأولى – عمان، ١٩٩١، السعر ٤ دنانير داخل الأردن، ٧دولار خارج الأردن.

٤٠- الانتفاضة الفلسطينية مستقبلها ودورها في التحرير.

المؤلف: مجموعة من الباحثين، ١٣٠ صفحة، الطبعة الأولى – عمان، ١٩٩١، السعر دينارين داخل الأردن، ٤دولار خارج الأردن.

٤١- نظرات وتطلعات في واقع ومستقبل الشرق الأوسط.

المؤلف: فريق من الباحثين، ٧٠ صفحة، الطبعة الأولى – عمان، ١٩٩١، السعر دينار واحد داخل الأردن، ٢,٥دولار خارج الأردن.

Contents

Introduction ٧

Opening ٩

First Chapter

The main changes in the West-Islam (Muslims) relation during the ٢٠th century ٢٣

Second Chapter

The Role of the Arab-Israeli conflict in shaping the relation between the West and the Islamic world ٣٧

Third Chapter

The effect of Islamic movements & governments (political Islam) experience in dealing with West on the Western Trends towards political Islam in general (past and Future) ١١٣

Forth Chapter

West & the political Islam in the Middle East … Civilization. Competition and Social interference. ١٥٩

Fifth Chapter

General Discussion & Recommendations ١٩١

The Western Trends Towards
The Political Islam
In The Middle East

Introduction

Mahmoud Al-Shareef

Editors

Ahmad Al-Bursan Mohammad Saqer

Contributors

Eiad Al-Bargothi
Abdulfattah Al-Rashdan
Fathi Malkawi
Faisal Al-rfo'a
Mohammad Shobair
Sa'ad Naji Jawad
Graham Ruller
Francois Burgat
Michael Willis
Mohammad Owaideh
Hesham Ja'afar

The views of the contributors does not necessarily stand to MESC position

First Edition

Amman – ٢٠٠٠

Copy Rights Reserved to MESC

To order our publication:

Middle East Studies Centre

P.O.Box ٢٠٥٤٣ – Amman ١١١١٨ – Jordan

Tel: ٩٦٢-٦-٤٦١٣٤٥١٤ / Fax: ٤٦١٣٤٥٢

E-mail: mesc@mesc.com.jo
http:// www.mesc.com.jo

and All Jordanians & Arabic Libraries

The Western Trends Towards

The Political Islam

In The Middle East